شرح توحيد الرسالة

للشيخ محمد بن قاسم جسوس

(1089 هـ - 1182 هـ)

الجزء الأول

دراسة وتحقيق
الأستاذة إحسان النقوطي

منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المملكة المغربية

شرح توحيد الرسالة

شرح توحيد الرسالة

للشيخ محمد بن قاسم جسوس
(1089هـ - 1182هـ)

دراسة وتحقيق
الأستاذة إحسان النقوطي

الجزء الأول

منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المملكة المغربية

الكتـــــاب : شرح توحيد الرسالة للشيخ محمد بن قاسم جسوس

دراسـةوتحقـيق : الأستاذة إحسان النقوطي

مـنشـــورات : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المملكة المغربية

الطبـعـــــة : الأولى 1429هـ/2008م

الـطـبـــــع : مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء

الإيـــــداع : 2008 MO 1790

ردمـــــك : 978-9954-0-5144-9


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

(ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا)

إن الباحث في التراث المغربي المكتوب يجد أن الشروح عند العلماء المغاربة من أهم مظاهر التأليف منذ عدة قرون، ربما يكون القاضي عياض من الأوائل الذين تعاطوا لهذا النوع من التصنيف الذي نجده قد شمل فيما بعد مختلف أنواع العلوم، وقد تجاوزت هذه العملية حدود الشرح إلى مستوى التحشية على شروح أخرى رغبة من واضعيها في المزيد من الشرح والتوضيح، وفي أحيان أخرى بسط الكثير من الإضافات والتعليقات.

و لم يقتصر اهتمام الشراح المغاربة على شرح متون مغربية فقط، بل تجاوزوا ذلك إلى الاهتمام بمتون مشرقية وأندلسية فأثروا بذلك التراث المغربي وخدموا علوما جليلة كعلم التوحيد الذي حظي باهتمام خاص، يتجلى في تأليف المتون وشرحها ونظمها ووضع الحواشي، ومن بين أهم المتون الموضوعة في هذا العلم على سبيل المثال لا الحصر :

1 – عقيدة أهل التوحيد المخرجة من ظلمة التقليد لابن مرزوق، وهو تصنيف مهم وقيم تشتمل الخزانة الحسنية بالرباط على نسخة منه برقم 12080.

2 – عقيدة الإمام الجزولي وهي مخطوطة بالخزانة الحسنية بالرباط برقم 5427.

3 – عقيدة أهل الإيمان للشيخ عبد القادر الفاسي، وتوجد نسخة منه في المكتبة العامة بتطوان برقم 647 ونسخة أخرى بالخزانة العامة بالرباط ضمن مجموع برقم 2582د.

4 – العقيدة الصغرى والوسطى والكبرى للشيخ السنوسي، وهي متداولة مع شروحها المتعددة.

ونستطيع أن نميز بين ثلاثة أصناف من الشروح :

الصنف الأول : أن يكون واضع الشرح هو صاحب المتن المشروح، وأبرز مثال على ذلك شروح السنوسي على الصغرى والوسطى والكبرى.

الصنف الثاني : أن يكون واضع الشرح غير صاحب المتن المشروح كنموذج على ذلك أذكر المصنفات التالية :

1 – شرح كبرى السنوسي للشيخ اليوسي، ورقمه بالخزانة العامة بالرباط 2645ك.

2 – شرح صغرى السنوسي لعبد الرحمن الفاسي، وهو مخطوط بالخزانة العامة بالرباط ورقمه 1811د.

3 – شرح عقيدة الغزالي للشيخ زروق، وهو مخطوط بالخزانة العامة بالرباط ورقمه 2738د.

ثم الصنف الثالث : ويهتم بالتركيز على متون معينة سواء كانت تصنيفا قائما بذاته كما هو الشأن بالنسبة لشروح على صغرى السنوسي مثلا، أو كانت جزءا من مصنف كما هو الشأن بالنسبة للشروح التي وضعت على خطبة الرسالة وعقيدتها وهي كثيرة منها شرح الشيخ جسوس على توحيد الرسالة موضوع هذا البحث، بحيث يعد من أهم الشروح التي وضعت على الرسالة، إذ عرفت انتشارا واسعا بين صفوف العلماء والمتعلمين. وقد قدر لي أن أطلع عليه خلال بحثي عن موضوع الأطروحة، فأعجبت به وعرضته على أستاذي الجليل الدكتور إدريس خليفة الذي وافقني عليه وشجعني على المضي في تحقيقه، وبالتالي تفضل وقبل الإشراف عليه.

أسباب اختيار الموضوع :

أما عن الأسباب الداعية لاختيار موضوع "شروح توحيد الرسالة" للشيخ محمد بن قاسم جسوس، دراسة وتحقيق، فهي كثيرة منها :

1) كون الكتاب من إنتاج عالم مغربي كبير، دلت مصنفاته على علمه الغزير وتحريه الكبير. وموضوعه في صميم علم التوحيد أو علم العقائد الذي يخدم التخصص الذي ننشده في دراستنا الإسلامية العليا بهذه الكلية المباركة.

2) الفوائد الجمة التي اشتمل عليها هذا الكتاب، فقد جاء جامعا لأشتات ما تفرق في الشروح قبله مع التحرير والتهذيب وجلب النصوص المعتمدة والأدلة المصححة.

3) قيمة المؤلف محمد بن قاسم جسوس ووزنه الكبير بين علماء المغرب، وأهمية إنتاجه الفكري الغني والمتنوع، فمحاولة تحقيق كتاب من كتبه يعتبر فتحا لباب التعريف بفكره ومذهبه.

4) اهتمامي الكبير بتراثنا المغربي المخطوط، وإيماني بضرورة إخراجه من عتمة رفوف المكتبات العامة والخاصة إلى نور البحث العلمي الجاد الذي يمكن من الكشف عن الثقافة الإسلامية الأصيلة بهذا البلد.

وما كدت أمضي في تحقيق هذا الكتاب حتى واجهتني صعوبات كثيرة غالبا ما يواجهها الباحث المبتدئ، خاصة إذا اختار ميدان التحقيق الذي يتطلب الكثير من الجهد والصبر، غير أن ما بذله لي أستاذي المشرف من توجيه وإرشاد أنار السبيل أمامي وساعدني على تخطي الصعاب التي واجهتني، فقد أعطاني الكثير من علمه الغزير وتوجيهاته الدقيقة ووقته الثمين، فإليه خالص شكري وعظيم امتناني وتقديري على ما بذله من جهد في المراجعة والتصحيح، وما وجهه إلي من نصائح قيمة، فجزاه الله خيرا ووفقه لما يحبه ويرضاه.

خطة البحث

جعلت موضوع الأطروحة في قسمين :

القسم الأول : دراسة عن حياة العالمين ابن أبي زيد القيرواني ومحمد بن قاسم جسوس وآثارهما العلمية.

القسم الثاني : تحقق نص الكتاب "توحيد الرسالة" ومحاولة إخراجه كما كتبه مؤلفه.

أما القسم الأول فقد جعلته في مقدمة ومدخل وثلاثة فصول، تحدثت في المقدمة عن ظاهرة الشروح عند العلماء المغاربة وعن سبب اختياري للموضوع ومنهجي فيه، أما المدخل فقد تناولت فيه الرسالة وشروحها بنوع من التركيز، ثم الفصل الأول : ذكرت فيه شخصية ابن أبي زيد القيرواني وقسمته إلى خمسة مباحث :

المبحث الأول : عصره.

المبحث الثاني : اسمه ونسبه ونشأته.

المبحث الثالث : شيوخه.

المبحث الرابع : تلاميذه.

المبحث الخامس : وفاته وآثاره ومنزلته.

الفصل الثاني : وخصصته لشخصية محمد بن قاسم جسوس وقسمته إلى خمسة مباحث :

المبحث الأول : عصره.

المبحث الثاني : التعريف به وبأسرته.

المبحث الثالث : شيوخه.

المبحث الرابع : تلاميذه.

المبحث الخامس : وفاته ومكانته وتراثه.

الفصل الثالث : وخصصته لدراسة الكتاب وقسمته إلى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : اسم الكتاب ونسبته إلى مصنفه.

المبحث الثاني : محتوى الكتاب وأسلوب مؤلفه فيه.

المبحث الثالث : نسخ الكتاب الخطية في خزائن المغرب.

منهج التحقيق

1 – إثبات الفروق بين النسخ بالهامش.

2 – تحديد بداية الصفحات من النسخة الأم.

3 – شرح بعض الألفاظ التي رأيتها تستدعي البيان.

4 – التعريف بالأعلام الذين ذكرهم المصنف في المتن بحسب الإمكان.

5 – التعريف بالأماكن المذكورة في المتن.

6 – العودة بالنصوص إلى مصادرها التي اعتمدها المصنف والمظان التي رجع إليها حسب المستطاع .

7 – تخريج الآيات القرآنية وتبيين مواقعها من سورها وإثبات أرقامها.

8 – تخريج الأحاديث والآثار الواردة في النص بحسب الإمكان، وقد اعتمدت أولا كتب الصحاح بما فيها الموطأ، ثم كتب السنن ثم بعض المسانيد كمسند الإمام أحمد، وعند تعذر إيجادها اعتمدت كتب التفسير كالدر المنثور للسيوطي وتفسير ابن كثير وغيرها.

مدخل : الرسالة وشروحها.

تعتبر رسالة ابن أبي زيد القيرواني من أهم ما وضع في الفقه المالكي من المختصرات، لذلك حظيت بما تستحقه من الاهتمام من طرف العلماء دراسة وشرحا. وقد كثرت شروحها حتى قال الشيخ جسوس : "وقد مدح الناس هذا الكتاب واعتنوا بشرحه حتى لقد كان بعض الفضلاء يقول : منذ كانت

الرسالة إلى الآن يظهر لها في كل سنة شرح يقصر أو يطول "[1]. وقال الدكتور الهادي الدرقاش : "واستمر الإقبال على الرسالة منذ تأليفها إلى عصرنا هذا، إذ وجدت بالجمهورية الإسلامية الموريتانية أثناء عملي هناك من لا يزال متفرغا لدراستها وشرحها، وبذلك نرى أن العناية التي حظيت بها رسالة ابن أبي زيد لم تحظ بها غيرها من الكتب الفقهية، وليس هذا إلا بسبب شهرتها"[2].

فمن هؤلاء العلماء الذين اعتنوا بشروح الرسالة والتعليق عليها :

1) أبو بكر محمد بن موهب القرطبي المعروف بالمقبري، له شرح على رسالة شيخه ذكرها من ترجم له إلا أنها مفقودة[3].

2) القاضي أبو محمد عبد الوهاب البغدادي، شرح الرسالة بمؤلف يقع في نحو ألف ورقة منطوري، وأول نسخة من هذا الشرح بيعت بمائة مثقال ذهبا[4]، وتوجد قطعة من إحدى نسخة بمكتبة الأستاذ محمد بوخبزة.

3) القاضي أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الحق الزرويلي المعروف بالصغير المتوفى سنة 719هج، له تقايید على الرسالة جمعها تلاميذه[5].

4) تاج الدين أبو حفص عمر بن علي بن سالم بن صدقة اللخمي الفاكهاني المتوفى سنة 731هج،، له شرح على الرسالة سماه "التحرير والتحبير" وهو من الشروح المهمة، وقد أفاد منه الشيخ جسوس في شرحه للرسالة، توجد نسخة منه في الخزانة الحسنية بالرباط وهي مبتورة الأول[6].

---

(1) شرح جسوس على الرسالة ص:19.

(2) أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني حياته وآثاره ص:359.

(3) شجرة النور الزكية 111/1.

(4) دعوة الحق العدد 3 السنة21 ص:60.

(5) دعوة الحق العدد 3 السنة 21 ص:61.

(6) رقمه بها 7800.

5) أبو سالم إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي بكر المتولي المعروف بابن أبي يحيى المتوفى سنة 748هج، له شرح على الرسالة عظيم الفائدة[7].

6) أبو الحجاج يوسف بن عمر الأنفاسي المتوفى سنة 761 هج، له شرح على الرسالة نقل عنه معظم الشراح المتأخرين ومن بينهم الشيخ جسوس، وإليه تنسب جل الإستشكالات الموجهة لكلام ابن أبي زيد. وتوجد نسخة منه بالخزانة العامة بالرباط[8] وخزانة القرويين وغيرها من المكتبات العالمية.

7) أبو الفضل قاسم بن عيسى التنوخي القيرواني المتوفى سنة 862 هج، شرحه على الرسالة مطبوع مع شرح الشيخ زروق.

8) أبو محمد سعيد بن سليمان الكرامي السملالي الجزولي المتوفى سنة 862هج، وقد سمى شرحه على الرسالة "مرشد المبتدئين إلى معرفة ألفاظ الرسالة"، توجد نسخة منه بالمكتبة العامة بتطوان[9] .وأخرى بمكتبة الزيتونة بتونس[10]

9) أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله القلشاني المتوفى سنة 863هج، سمى شرحه على الرسالة "تحرير المقالة في شرح الرسالة"، توجد نسخة منه بالمكتبة العامة بتطوان[11] وبالخزانة العامة بالرباط[12] وغيرها .

10) أبو العباس أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الشهير بزروق المتوفى سنة 899 هج، له شرحان على الرسالة أحدهما مطبوع مع شرح ابن ناجي على الرسالة.

(7) الديباج 1/271-272 ، ودعوة الحق العدد 3 السنة 21 ص:61.

(8) رقمه بالخزانة 256 ج.

(9) رقمه بالمكتبة العامة بتطوان 35.

(10) دعوة الحق العدد 3 السنة21ص: 61—62.

(11) رقمه بالمكتبة العامة بتطوان 15-16.

(12) رقمه بالخزانة العامة بالرباط 841د.

11) أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن محمد بن يخلف المنوفي المصري الشاذلي المتوفى سنة 939 هج، له ستة شروح على الرسالة أشهرها وأكثرها تداولا "كفاية الطالب الرباني"[13]

12) أبو عبد الله شمس الدين محمد بن محمد بن إبراهيم التتائي المتوفى سنة 942 هج، له شرح على ألفاظ الرسالة سماه"تنوير المقالة في حل ألفاظ الرسالة"، توجد نسخ منه بالمكتبة العامة بتطوان والخزانة العامة بالرباط.[14]

13) الشيخ علي بن محمد الأجهوري المتوفى سنة 1066 هج، له حاشية على تنوير المقالة في حل ألفاظ الرسالة للتتائي، توجد نسخ منه بالخزانة العامة بالرباط[15] والزيتونة والقاهرة[16]، وقد أفاد منه الشيخ جسوس في شرحه كثيرا.

14) أبو العباس أحمد بن غنيم النفراوي المتوفى سنة 1125 هج،له شرح للرسالة سماه "الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني"وهو مطبوع متداول.

15) محمد بن محمد بن عبد الرحمن الحطاب المتوفى سنة 993 هج،له تعليقات على الرسالة جمعها ولده يحي وأخرج منها تأليفا ذكر في مقدمته أنه ليس له فيه إلا الجمع والترتيب[17]، توجد نسخة منه بالمكتبة العامة بتطوان[18].

16) أبو عبد الله الطيب بن محمد بن عبد المجيد بن كيران المتوفى سنة 7221هج، له شرح على توحيد الرسالة لم يكمله، وهو عبارة عن إعادة كتابة لشرح شيخه جسوس، توجد نسخة منه بالخزانة العامة بالرباط[19].

---

(13) دعوة الحق العدد 3 السنة 21 ص : 62.
(14) رقمه بالمكتبة العامة بتطوان 358 وبالخزانة العامة بالرباط 1362د.
(15) رقمه بالخزانة العامة بالرباط 2456ك.
(16) أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني للهادي الدرقاش ص :366 .
(17) دعوة الحق العدد 3 السنة 21 ص: 26ك .
(18) رقمه بالمكتبة العامة بتطوان 14.
(19) رقمه بالخزانة العامة بالرباط 2334د وعدد صفحاته 334 صفحة.

17) أبو الحسن علي بن محمد بركة التطواني[20]، العالم الجليل، عاش بمدينة تطوان في النصف الثاني من القرن الحادي عشر، تتلمذ على العربي بردلة وحمدون المزوار وغيرهما، توفي سنة 1120 هج. له حاشية على شرح أبي الحسن على الرسالة، توجد نسخة منها بمؤسسة علال الفاسي بالرباط[21].

18) أما الشيخ أبو عبد الله محمد بن عمر بن يوسف بن بشكوال المعروف بابن الفخار القرطبي[22]، الذي كان من أحفظ الناس في وقته إذ كان حافظا للمدونة ينصها من حفظه كما كان حافظا لكتاب النوادر لابن أبي زيد فقد صنف كتابا في الرد على ابن أبي زيد سماه "كتاب الرد على ابن أبي زيد في رسالته"[23]، قال فيه ابن فرحون : "ورد على أبي محمد بن أبي زيد في رسالته ردا تعسف عليه فيه"، وقد توفي سنة 419 هج.

19) كما علق أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن الفخار الجذامي[24] الفقيه الفاضل الذي عرف بعكوفه على العلم وكثرة التأليف، تعليقا على الرسالة سماه "نصح المقالة في شرح الرسالة". وقد توفي سنة 723 هج.

إضافة إلى الشرح والتعليق حظيت الرسالة بالنظم من طرف جماعة من العلماء كمحمد بن أحمد بن الغازي العثماني المكناسي المتوفى سنة 919هج[25]، وقد سمى نظمه "مشكلات الرسالة"، وعبد الله بن الفقيه الطالب أحمد بن الحاج الغلاوي الشنقيطي المتوفى سنة 1209هج[26].

---

(20) له ترجمة وافية في كتاب تاريخ تطوان لمحمد داود 347/1 (طبع معهد مولاي الحسن لسنة 1959م).

(21) رقمه بها .86

(22) ترجمته في الديباج 236-235/2 (طبع مكتبة دار التراث) وشجرة النور الزكية .121/1

(23) توجد نسخة منه بخزانة الأستاذ محمد بو خبزة.

(24) ترجمته في الديباج 288/2 وشجرة النور .121/2

(25) ترجمته في شجرة النور الزكية 2 76/1.

(26) أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني للهادي الدرقاش ص : .367

و لم يتوقف أمـر الاهتمام بالرسالة عند حدود الـعا لم الإسلامي بل تجاوزه إلى الـمحافل العلمية الأوروبية، إذ نـجد من عكف عليها من المستشرقين ترجمة ودراسة، فقد نشرت مترجمة إلى اللغة الإنجليزية بعناية المستشـرق أ.درسل وعبد الله المأمون السهروردي مرفقة بالنص العربي وذلك بلندن سنة 1906م، ثم نشـرت ترجمة لها إلى اللغة الفرنسية من طرف السيد بارشي مع تعليق نشر بالجزائر سنة 1945م[27].

(27) دعوة الحق العدد 3 السنة 21 ص :.64

الفصل الأول

الشيخ ابن أبي زيد القيرواني
وكتابه "الرسالة"

المبحث الأول : عصر الشيخ ابن أبي زيد القيرواني

عرفت الفترة التاريخية التي عاش فيها الشيخ ابن أبي زيد القيرواني صراعا شديدا بين علماء القيروان والسلطة الحاكمة المتمثلة في الدولة الفاطمية التي قامت سنة 297هـج، فقد كان الصراع مذهبيا صرفا بين الأفارقة عامة والقيروانيين خاصة الذين عرفوا بتمسكهم بالمذهب المالكي منذ رحل العديد من علمائهم ولقوا الإمام مالك وأخذوا عنه، وبين الحكام الشيعيين، وقد دخل الفقهاء في صميم الصراع رافضين الإكراه المذهبي مجاهدين في سبيل السنة، فلحقهم بسبب ذلك التقتيل والسجن والمطاردة[1]، فقد أورد القاضي عياض في ترجمته للشيخ أبي الفضل عباس الممسي ما ملخصه:" إن شيوخ القيروان اتفقوا على الخروج على ملوك أهل الشيعة بني عبيد وقتالهم منهم أبو إسحاق السبائي وأبو الحسن علي بن سعيد الخراط وأبو العرب محمد التميمي وأبو الفضل عباس الممسي وربيع القطان ومروان العابد وإبراهيم المثنى، وقد جندوا الجنود ثم خرجوا إلى المهدية وكانت الهزيمة عليهم ، فاستشهد عالم كثير، فمن الأئمة والعباد خمس وثمانون منهم ربيع القطان وأبو الفضل الممسي"[2]، ومن سلم من القتل من العلماء سجن أو ضرب، فأكبر شيوخ ابن أبي زيد أبو بكر بن اللباد يسجن ويضرب ويلاقي من المحن الشيء الكثير في سبيل عقيدته، وبعد خروجه من السجن يلازم بيته فيأتيه تلاميذه ومنهم ابن أبي زيد خفية ويجعلون الكتب في أوساطهم حتى تبتل بعرقهم[3]، فقد شهد ابن أبي زيد مصرع كثير من شيوخه وامتحانهم فأثرت هذه الأحداث في حياته ومؤلفاته التي لم تخرج عن الدفاع عن السنة والذب عن مذهب الإمام مالك رضي الله عنه[4].

---

(1) دعوة الحق العدد 3 السنة 21 ص: 52 .

(2) ترتيب المدارك 3/318-319-320-321 .

(3) أبو محمد عبد الله ابن أبي زيد القيرواني للدرقاش ص: 115.

(4) دعوة الحق العدد 3 السنة 21 ص : 52.

المبحث الثاني: نسبه ونشأته

هو العالم الجليل أبو محمد عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن النفزي القيرواني، إمام المالكية في وقته.[5] وقد شك بروكلمان في اسمه فقال:" هو عبد الله أو عبيد الله" [6] ، إلا أن المعول عليه أن اسمه عبد الله وهو ما اتفقت عليه كتب التراجم قديما وحديثا وجزم به الشيخ جسوس في شرحه لكتابه الرسالة[7] . ويلقب بالنفزي نسبة إلى نفزاوة قبيلة من قبائل إفريقية، وهو ما ذهب إليه كل من الشيخين التتائي وزروق[8]، وأكده الشيخ جسوس[9].

ولد بالقيروان سنة 310هـج على ما ذكره ابن مخلوف في شجرة النور الزكية[10] والشيخ جسوس في شرح الرسالة[11]، أما الشيخ زروق فقد ذكر أنه ولد سنة 316هج[12]، فإذا قابلناه على إجماع المؤرخين بأنه صنف رسالته سنة 327هج كان عمره يومئذ على قول الشيخ زروق إحدى عشرة سنة وهذا بعيد[13].

وبالقيروان نشأ وتربى ودرس، ولم تذكر المصادر شيئا عن أسرته ولا عن ماضي حياته وكيف تلقى دراسته الأولية إلا ما هو معروف من طريقة التعليم

---

(5) شجرة النور الزكية 96/1.

(6) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان 286/3.

(7) شرح جسوس على الرسالة ص: 18

(8) شرح زروق على الرسالة 5/1.

(9) شرح جسوس على الرسالة ص : 23

(10) شجرة النور الزكية 96/1.

(11) شرح جسوس على الرسالة ص : 21.

(12) شرح زروق على الرسالة 5/1.

(13) دعوة الحق العدد 3 السنة 21 ص : 52

في عصره وبيئته، فقد حفظ القرآن الكريم وكان مؤدبه الشيخ محرز بن خلف، ثم انتقل إلى دراسة علوم الإسلام والعربية ، وظهر نبوغه مبكرا حيث تذكر المصادر أنه ألف الرسالة سنة 327هـ وهو إذ ذاك ابن سبع عشرة سنة، ومعروف أن الرسالة تلخيص للمذهب المالكي وفيها أربعة آلاف مسألة وأربعمائة حديث، مما يشهد له بالتفوق العلمي والرسوخ في فقه المذهب في هذه السن المبكرة[14].

(14) نفس العدد ص : 53.

المبحث الثالث: شيوخه

إن تفوق الشيخ ابن أبي زيد ونبوغه المبكر صقله وأنضجه أخذه عن شيوخ من أئمة عصره، اختلف عددهم حسب الدارسين وذلك لأن كثرة شيوخه دفعت بالذين ترجموا له إلى إضافة كل واحد منهم جماعة من هؤلاء الشيوخ إلى ما ذكره غيره، وقد يزيد وقد ينقص عن هذا الغير، وسبب ذلك أن أبا محمد أخذ عن غير واحد وفي أمكنة متعددة سواء داخل حواضر إفريقية ورباطاتها الكثيرة أو خارج إفريقية بمصر والمدينة ومكة أثناء أدائه فريضة الحج، وكذلك أخذ عن بعضهم عن طريق الإجازة، ومنهم من أخذ عنه الفقه ومنهم من أخذ عنه علم الكلام ومنهم من أخذ عنه العربية وغيرها[15].

فمن شيوخه الذين تأثر بهم كثيرا:

1) أبو بكر محمد بن محمد بن وشاح ويعرف بابن اللباد القيرواني[16]، ولد سنة 250هج وتوفي يوم السبت الرابع عشر من صفر سنة 333هج وهو ابن ثلاث وثمانين سنة، سمع من علماء كثيرين منهم يحي بن عمر ومن أخيه محمد ابن عمر وحمديس القطان، وتخرج على يديه علماء كثيرون منهم ابن التبان وعبد الله ابن أبي زيد الذي كان اعتماده عليه في الفقه وغيرهما، كانت له تآليف كثيرة منها كتاب فضائل مالك بن أنس وكتاب الآثار والفوائد وكتاب عصمة الأنبياء وغيرها، وقد كان من جملة من امتحنوا على يد العبيدين في سبيل عقيدتهم السنية ومذهبم المالكي.

(15) أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني للهادي الدرقاش ص : 106.

(16) ترجمته في ترتيب المدارك 340/3 وسير أعلام النبلاء 360/15 والديباج 196/2 وشجرة النور الزكية 84/1.

2) أبو الفضل عباس بن عيسى بن محمد بن عيسى الممسي[17]، نسبة إلى قرية ممس، الفقيه الورع الزاهد المجاهد ، أخذ عن ثلة من العلماء منهم موسى القطان وجبلة بن حمود وأحمد بن سليمان وغيرهم، كما أخذ عنه جماعة منهم ابن أبي زيد وكان يتشبه به، وأبو حارث . له تآليف كثيرة منها كتاب تحريم الخمر وكتاب أصول الأعمال ومختصر كتاب الموازية، استشهد في حرب بني عبيد قرب المهدية في رجب سنة 333هج.

3) أبو عبد الله محمد بن مسرور العسال[18] العالم الجليل المعروف بالعلم والصلاح وإجابة الدعاء، سمع من يحي بن عمر وأخيه عمر العسال وأحمد ابن معتب وعبد الجبار بن خالد وغيرهم، وعنه أخذ جماعة من العلماء منهم ابنه عمر الذي ابتلي بوفاته سنة 343هج، وابن أبي زيد والقابسي ، وقد توفي رحمه الله في ذي القعدة سنة 346هج وهو ابن ست وتسعين سنة.

4) أبو محمد عبد الله بن قاسم بن مسرور التجيبي المعروف بابن الحجام[19]

الفقيه الحافظ ، سمع من عيسى بن مسكين وأخيه محمد وسعيد بن إسحاق وعبد الله بن سهل الأندلسي وابن عياش ويحي بن زكرياء وغيرهم، وعنه أخذ جماعة من العلماء منهم أبو محمد بن أبي زيد وأبو الحسن القابسي وأبو عبد الله الصدفي، وبالإضافة إلى اشتهاره بالتدريس فقد ترك كتبا كثيرة بلغ وزنها تسعة قناطير كلها بخط يده إلا كتابين ، كان لا يحتمل أن يراهما لأنهما ليسا بخط يده. وقد صنف في مختلف العلوم كتبا شتى منها كتاب المواقيت ومعرفة النجوم والأزمان، أما وفاته رحمه الله فكان سببها أنه اصطلى فنعس فالتهبت النار في ثيابه وذلك سنة 346هج.

(17) ترجمته في سير أعلام النبلاء 372/15 والديباج 129/2 وشجرة النور الزكية 83/1.

(18) ترجمته في شجرة النور الزكية 84/1-85.

(19) ترجمته في سير أعلام النبلاء 505/15-506 والديباج 423/1-424 وشجرة النور الزكية 85/1.

5) أبو سليمان ربيع بن سليمان بن عطاء الله القطان القرشي[20]، لسان إفريقية في وقته في الزهد والرقائق والأدب والشعر، أخذ العلم عن جماعة من العلماء منهم أبو يعقوب الجوهري وأبو سعيد بن الأعرابي ، وكانت له حلقة بالمسجد الجامع بالقيروان فكان ممن أخذ عنه أحمد بن نصر وابن أبي زيد وأبو القاسم بن شلبون. وكان مولده سنة 288هج ووفاته سنة 333هج.

6) أبو العباس عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن إسحاق التونسي المعروف بالأبياني[21]، الإمام القائم على مذهب مالك ، الثقة العمدة، تفقه بيحي بن عمر وأحمد بن سليمان وحمديس القطان ويحي بن عبد العزيز وغيرهم، وتخرج على يديه جماعة من العلماء منهم الأصيلي وسعيد بن ميمون والقابسي وابن أبي زيد القيرواني الذي كان كثيرا ما يبعث له بالنوازل المشكلة ليبينها له، توفي رحمه الله سنة 352هج وقد قارب عمره مائة عام .

7) أبو محمد عبد الله بن أبي عثمان سعيد بن محمد الحداد[22]، سمع من أبيه الذي اشتهر في مجال المناظرات التي وقعت بين الشيعة وأهل السنة في بداية الدولة العبيدية، وأحمد بن يزيد وغيرهما، وعنه أخذ أبو محمد بن أبي زيد وغيره من طلبة القيروان وقد عرف بالعقل وعلو الهمة، توفي سنة 320هج.

8) أبو عثمان سعدون بن أحمد الخولاني[23]، أحد العلماء العاملين والفقهاء المتعبدين المرابطين بقصر المنستير، كان عظيم القدر سمع من محمد بن عبد الحكم وابن رمح وغيرهما . وعنه أخذ جماعة منهم أبو محمد بن أبي زيد وربيع القطان وأبو بكر بن سعدون وابن اللباد، توفي سنة 324 وقيل 325 هج

(20) ترجمته في ترتيب المدارك 332/3 وشجرة النور الزكية 83/1.

(21) ترجمته في الديباج 425/1-427 وشجرة النور الزكية 85/1.

(22) ترجمته في ترتيب المدارك 340/3.

(23) ترجمته في شجرة النور الزكية 82/1.

وهو ابن مائة سنة صحيح العقل والبصر، وكانت جنازته مشهودة نفر الناس إليها من القيروان وغيرها.

9) عثمان بن سعيد الغرابلي، ذكره الشيخ جسوس[24] ضمن شيوخ ابن ابي زيد القيرواني كما ذكره القاضي عياض في ترتيب المدارك[25] ونقله عنه صاحب الديباج[26]، إلا أنه قد يكون وقع تصحيف في هذا الاسم.

10) دراس بن إسماعيل الفاسي الفقيه أبو ميمونة[27]،المعروف بالعلم والصلاح، تفقه بشيوخ بلده وسمع بالإسكندرية من ابن أبي مطر، وأخذ عنه جمع من العلماء من مختلف الأقطار ، منهم ابن أبي زيد والقابسي وابن عبدوس وغيرهم، وهو أول من أدخل مدونة سحنون إلى مدينة فاس وبها توفي سنة 357 هج.

11) أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم بن تمام بن تميم التميمي[28]، وكان جده أبو الجهم تميم بن تمام من أمراء إفريقيا، سمع من يحي بن عمر وأبي داود العطار وعيسى ومحمد ابني مسكين وسعيد بن الحداد وحمديس القطان وغيرهم، إذ لم يكن يبلغه خبر عن شيخ من الشيوخ حتى يذهب إليه وينضم إلى حلقته حتى بلغ عدد شيوخه مائة وعشرين ونيفا، وأخذ عنه تلاميذ كثيرون منهم إبناه تميم وتمام وأبو الحسن الخراط وربيع القطان وابن أبي زيد وغيرهم. من مصنفاته الكثيرة طبقات علماء إفريقية وكتاب فضائل مالك وسحنون وكتاب عباد إفريقية وغيرها، فقد بلغت كتبه ثلاثة آلاف وخمسمائة كلها بخط يده، وقد شارك أبو العرب في ثورة الفقهاء إذ خرج مع جملة من خرج منهم، وفي أثناء هذه الخرجة أسمع الناس كتابي الإمامة لمحمد بن سحنون وكان يقول: "والله لسماع هذين الكتابين علي هنا أفضل من كل ما كتب لكثرة من سمعهما من

---

(24) شرح الشيخ جسوس على الرسالة ص :18-19.

(25) ترتيب المدارك 493/4.

(26) الديباج 428/1.

(27) ترجمته في نيل الابتهاج ص : 175وجذوة المقتبس 400/1 وشجرة النور الزكية 103/1.

(28) ترجمته في الديباج 428/1 وشجرة النور الزكية 1/38.

العلماء والعامة من الثائرين على بني عبيد، وقد امتحن وقيد مع ابنه مدة بسبب بني الأغلب ، واستمر يجاهد باللسان والقلم والسيف حتى توفي سنة 333 هج وكان مولده سنة 250 هج.

12) أبو القاسم حبيب بن الربيع[29] مولى أحمد بن سليمان الفقيه الذي كان من أبرز تلاميذ الإمام سحنون، سمع حبيب من مولاه أحمد ومن يحي بن عمر وأخيه محمد وابن الحداد وابن بسطام وغيرهم ، وأخذ عنه ابن أبي زيد وابن إدريس وعلي بن إسحاق وغيرهم، وكانت وفاته سنة 339هج وهو ابن نيف وثمانين سنة.

13) أبو بكر محمد بن عبد الله بن صالح الأبهري التميمي[30]،الفقيه الحافظ الصالح ، تفقه بالقاضي أبي عمر وابنه أبي الحسن ، وأخذ عن أبي الفرج وابن بكير وسمع من أبي بكر بن الجهم وأبي زيد المروزي وغيرهم ، وأخذ عنه جماعة منهم إبراهيم بن مخلد وابنه إسحاق وأبو القاسم الوهراني وابن الجلاب وأبو بكر الباقلاني والقاضي عبد الوهاب وابن القصار، وقد استجازه ابن أبي زيد القيرواني فأجازه. ومن تصانيفه المهمة شرح المختصر الكبير والصغير لابن عبد الحكم وكتاب الأصول وكتاب إجماع أهل المدينة وغيرها . توفي سنة 375 وقيل 395 هج وسنه نيف وثمانون سنة.

14) أبو إسحاق محمد بن القاسم بن شعبان المصري[31]، يمتد نسبه إلى عمار ابن ياسر الصحابي الجليل، انتهت إليه رياسة المالكية بمصر في وقته، عرف بالحفظ والتدين والورع، وقد أخذ عنه ابن أبي زيد إجازة، ومن مصنفاته كتاب أحكام القرآن وكتاب مناقب مالك وكتاب شيوخ مالك وكتاب الرواة عن مالك وغيرها، كان شديد البغض لبني عبيد ويقال أنه كان يدعو على نفسه بالموت لما علم بتفكيرهم في الانتقال إلى مصر وقد توفي في جمادى الأولى سنة 355هج.

---

(29) ترجمته في الديباج 336/1 وشجرة النور الزكية 1/83-84.

(30) ترجمته في ترتيب المدارك 466/4 والديباج 2/206-210.

(31) ترجمته في ترتيب المدارك 293/3 والديباج 194/2 وشجرة النور الزكية 91/1

المبحث الرابع: تلاميذه:

تعدد تلاميذ الشيخ ابن أبي زيد القيرواني وتنوعت اختصاصاتهم واختلفت أمصارهم كما تعدد شيوخه واختلفت أمصارهم، إذ مكانته العلمية وشهرته جعلتاه مقصد طلاب العلم من مختلف البلاد ومنهم علماء أجلاء[32].

1) أبو القاسم خلف بن أبي القاسم الأسدي المعروف بالبراذعي[33]، من حفاظ المذهب المالكي ومن كبار أصحاب ابن أبي زيد والقابسي وبهما تفقه وغيرهما كأبي بكر هبة الله بن عقبة ، له تصانيف مشهورة منها التهذيب اختصار المدونة وكتاب الشرح والتمامات لمسائل المدونة وكتاب اختصار الواضحة وغيرها، استقر بصقلية بعد صدامه مع شيوخ القيروان ،وبها ألف معظم كتبه، وقد توفي بعد وفاة ابن أبي زيد إذ كتب التراجم لم تنقل تاريخا محددا لوفاته.

2) أبو بكر أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله الخولاني[34]، الفقيه الحافظ وشيخ إفريقية والمغرب في وقته ، تفقه بابن أبي زيد وأبي الحسن القابسي وسمع من أبي بكر عتيق بن موسى المصري وأبي القاسم عبد الرحمن الجوهري وغيرهم وكلهم أجازوه، وانتفع به الناس وتفقه به علماء كثيرون كأبي حفص العطار وابن بنت خلدون وابن إسحاق التونسي وابن محرز وعدد كبير من الطلبة اشتهر منهم نحو مائة وعشرين يعتمد على فتواهم، وقد توفي سنة 432 هج.

(32) دعوة الحق العدد 3 السنة 21 ص :54 .

(33) ترجمته في الديباج 349/1 وشجرة النور الزكية 105/1.

(34) ترجمته في ترتيب المدارك 700/4 والديباج 177/1 وشجرة النور الزكية 107/1.

3) أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد الحضرمي المعروف باللبيدي القيرواني[35]، الفقيه الإمام من مشاهير علماء إفريقية ، تفقه بالقيروان بابن أبي زيد وأبي الحسن القابسي كما أخذ عن أبي الحسن اللواتي وأبي إسحاق الساحلي ، وانتفع به جماعة منهم أبو عبد الله بن سعدون، وقد بعث به شيخه القابسي إلى المهدية لتعليم أبنائها فكان له هناك تلاميذ كثيرون، له عدة مؤلفات منها كتاب في الفقه كبير يقع في مائتي جزء في مسائل المدونة وكتاب نوادر الروايات وكتاب الملخص وهو عبارة عن مختصر للمدونة ، توفي بالقيروان سنة 440 وقيل 446 هج.

4) أبو عبد الله محمد بن العباس الأنصاري المعروف بالخواص[36]، سمع من ابن أبي زيد وأبي الحسن القابسي، اشتهر بالعلم والعبادة والفضل ، وتخرج على يديه جماعة منهم عبد الجليل الربعي وابن المرابط المري وابن سهل القروي، توفي سنة 426 هج.

5) أبو محمد مكي بن أبي طالب محمد بن مختار القيسي[37]، العالم العامل شيخ الصوفية وأهل السنة، أخذ عن ابن أبي زيد والقابسي وأعلام من أهل المشرق والمغرب، ولما حج لقي أبا القاسم المالكي وإبراهيم المروزي وغيرهما من العلماء وأخذ عنهم، ودخل قرطبة سنة393 هج وعلا ذكره هناك ورحل الناس إليه وأخذوا عنه منهم ابن عتاب وحاتم بن محمد الطرابلسي وأبو الوليد الباجي، له عدة مؤلفات منها الإيجاز واللمع في الإعراب، والكشف في علم القراءات وغير ذلك، ولد بالقيروان سنة 355 هج وتوفي بقرطبة سنة 437 وقيل 439 هج.

(35) ترجمته في الديباج 484/1 وشجرة النور الزكية 105/1.

(36) ترجمته في ترتيب المدارك 710/4.

(37) ترجمته في ترتيب المدارك 737/4 والديباج 342/2 وشجرة النور الزكية 107/1-108.

6) أبو بكر محمد بن موهب التميمي المعروف بالمقبري القرطبي[38]، جد أبي الوليد الباجي لأمه الفقيه العالم المحدث ، أخذ عن شيوخ بلده ثم رحل إلى القيروان فأخذ عن ابن أبي زيد وأبي الحسن القابسي، فتفقه بهما ورجع إلى بلده، وأخذ عنه جماعة منهم حمزة بن إسماعيل وغيره، له تآليف مفيدة منها شرح على رسالة شيخه ابن أبي زيد، توفي سنة 406هج.

7) أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي المعروف بابن الفرضي[39]، أخذ عن جماعة من الشيوخ منهم أبو زكرياء يحي بن مالك بن مفرج القاضي كما تفقه بإفريقية بأبي محمد بن أبي زيد وأبي الحسن القابسي، وأخذ بمصر عن ابن ضرار وبمكة عن ابن الزجاج وغيرهم، وعنه أخذ جماعة من العلماء منهم ابنه أبو بكر مصعب وأبو عمر بن عبد البر وأبو محمد بن حزم،ومن آثاره تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس وكتاب في المؤتلف والمختلف، إضافة إلى التدريس فقد ولي قضاء بلنسية، وكانت وفاته سنة 403 هج.

8) أبو عبد الله محمد بن يحي بن أحمد بن محمد بن الحذاء التميمي[40]، أخذ عن جماعة من العلماء منهم ابن بطال وابن القوطية وابن المفرج ورحل إلى القيروان فلقي ابن أبي زيد وحمل عنه تآليفه، وأخذ بمصر عن ابن شعبان وعبد الغني الحافظ وغيرهم ، ثم رجع إلى الأندلس فأخذ عنه علماء كثيرون منهم الطرابلسي وابن الحصار القبري ، وقد ولاه أمير الأندلس خطة الوثائق والشورى والقضاء في أماكن متعددة من أرض الأندلس، ومن مصنفاته كتاب الاستنباط لمعاني السنن وكتاب التعريف برجال الموطأ وكتاب البشرى في عبارة الرؤيا وكتاب الأنباء على أسماء الله تعالى وغيرها، قال القاضي عياض:

---

(38) ترجمته في الديباج 234/2 وجذوة المقتبس 150/1 وشجرة النور الزكية 111/1.

(39) ترجمته في الديباج 452/1.

(40) ترجمته في ترتيب المدارك 733/4 والديباج 234/2 وشجرة النور الزكية 237/2.

"مولده سنة سبع وأربعين وثلاثمائة في المحرم وتوفي سنة عشرة وقال ابنه ست عشرة وأربعمائة وهو ابن سبعين سنة".

9) أبو مروان عبد الملك الكوري(41)، ارتحل إلى القيروان حيث تفقه بأبي محمد بن أبي زيد وعنه أخذ عثمان بن مالك وغيره ، توفي سنة 407 هج.

10) أبو عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن أحمد الكتامي المعروف بابن العجوز السبتي(42)، كانت إليه الرحلة في المغرب في وقته وعليه كانت تدور الفتيا، رحل إلى الأندلس وإلى القيروان ولازم ابن أبي زيد واختص به وسمع منه كتبه النوادر والمختصر وجاء بهما وبغيرهما إلى سبتة، وسمع أيضا من دراس ابن إسماعيل الفاسي وأبي محمد الأصيلي وغيرهم، وعنه أخذ جماعة منهم أبناؤه عبد العزيز وعبد الرحمن وعبد الكريم وقاسم بن محمد الميموني ومحمد ابن عبد الرحمن بن سليمان توفي سنة 413 هج.

11) أبو بكر خلف بن أحمد بن خلف الرهوني1, كان من تلاميذ ابن أبي زيد القيرواني، وعنه أخذ جماعة من العلماء منهم أبو الوليد الباجي وأبو القاسم الطرابلسي وأبو جعفر بن مغيث وغيرهم.

12) أبو محمد عبد الله بن غالب بن تمام بن محمد الهمذاني(44)، سكن سبتة وابتدأ تعليمه بها ثم ارتحل إلى الأندلس حيث أخذ عن الزبيدي والأصيلي، ثم ارتحل إلى القيروان مع ابن العجوز حيث سمع من ابن أبي زيد مؤلفاته ثم واصل رحلته في طلب العلم، وأخذ عنه جماعة منهم ابنه أبو عبد الله القاضي وإسماعيل بن حمزة وغيرهما، قال فيه ابن فرحون: "وكان متفننا في علوم جمة قائما بمذهب المالكية نظارا حافظا بليغا أديبا شاعرا مجيدا"، وقد توفي سنة 434 هج.

---

(41) ترجمته في ترتيب المدارك 630/4.
(42) ترجمته في الديباج 476/1 وشجرة النور الزكية 115/1.
(43) ترجمته في الديباج 351/1.
(44) ترجمته في الديباج 435/1.

المبحث الخامس: وفاته ومنزلته وآثاره

بعد مسيرة علمية غنية للشيخ الجليل أبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني شملت مجال التدريس والتأليف والمناظرة ، لبى هذا العالم الكبير داعي ربه مساء الاثنين ثلاثين شعبان سنة ست وثمانين وثلاثمائة للهجرة ، وسنه ست وسبعون عاما، وهو ما ذكره القاضي عياض[45]، وكانت وفاته بالقيروان خلافا لما ذكره بروكلمان من أنه توفي بمدينة فاس[46]. وقد خلف موته حزنا وحسرة شديدين في نفوس العلماء والطلبة والعامة، فرثاه الشعراء بقصائد خلدت ذكراه، قال ابن الخواص الكفيف:

هذا لعبد الله أول مصرع ... ترزأ به الدنيا وآخر مصرع
كادت تميد الأرض خاشعة الربى ... وتمور أفلاك النجوم الطلع
عجبا أيدري الحاملون لنعشه ... كيف استطاعت حمل بحر مترع
علما وحكما كاملا ويراعة ... وتفتي وحسن سكينة وتورع
وسعت فجاج الأرض سعيا حوله ... من راغب في سعيه متبرع
يبكونه ولكل باك منهم ... ذل الأسير وحرقة المتوجع[47]

وقال أبو علي بن سفيان:

غصت فجاج الأرض حتى ما ترى ... أرض ولا علم ولا بطحاء
ما زلت تقدم جمعهم هديا لهم ... في موكب حفت به النجباء[48]

إضافة إلى المكانة العلمية المشهود له بها ، كان مشهودا لابن أبي زيد بالورع والتقوى مع الزهد وإنفاق المال[49]، يقول الشيخ جسوس :"كان المصنف رضي الله

(45) ترتيب المدارك 496/4.
(46) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان 286/3.
(47) ترتيب المدارك 496/4
(48) ترتيب المدارك 497/4.
(49) دعوة الحق العدد3 السنة 21 ص : 55.

عنه ممن حاز قصب السبق في العلم والعمل ، ذكر من عرف به أن الله وصله بأربعة أشياء السعة في العلم والدين المتين والسعة في المال وصحة البدنس[50]، "أما السعة في المال فكان نفعنا الله به ذا مال كثير ملك ثلث القيروان فكان خراج ماله كل يوم ألف درهم على ما قال البعض أو دينار على ما قال آخر، و لم تجب عليه الزكاة قط لأنه كان يصرفه في وجوه البر، فكان ينفق على طلبة العلم ويحمل مع كل غاز في سبيل الله تعالى ويقري الأضياف وينفق على الفقراء والمساكين"[51].

وقد ترك تراثا علميا ضخما حوالي أربعين مصنفا في مختلف فنون العلم ، الفقه وعلم التوحيد، وفي الرد على المارقين والمخالفين للسنة، وفي المواعظ وغيرها، إلا أن معظم هذا التراث ضاع بسبب الظروف التاريخية التي مرت بها القيروان، وقد ذكر القاضي عياض أسماء كتبه قائلا: "له كتاب النوادر والزيادات على المدونة مشهور أزيد من مائة جزء، وكتاب مختصر المدونة مشهور أيضا، وعلى كتابيه هذين المعول في التفقه، وكتاب تهذيب العتبية وكتاب الاقتداء بأهل المدينة وكتاب الذب عن مذهب مالك وكتاب الرسالة المشهور، والتنبيه على القول في أولاد المرتدين ومسألة الحبس على أولاد الأعيان وكتاب تفسير أوقات الصلاة وكتاب الثقة بالله والتوكل على الله وكتاب المعرفة واليقين وكتاب المضمون في الرزق وكتاب المناسك ورسالة فيمن تأخذه عند تلاوة القرآن والذكر الحركة، وكتاب رد المسائل وكتاب حماية عرض المؤمن وكتاب البيان في إعجاز القرآن وكتاب الوسواس، ورسالة إعطاء القرابة من الزكاة ورسالة النهي عن الجدل ورسالة في الرد على القدرية ومناقضة – رسالة البغدادي المعتزلي – وكتاب الاستظهار في الرد على البكرية وكتاب كشف التلبيس في مثله ورسالة الموعظة والنصيحة ورسالة طلب العلم ، وكتاب فضل قيام رمضان ورسالة الموعظة الحسنة لأهل الصدق

(50) شرح جسوس على الرسالة ص : 18.

(51) شرح جسوس على الرسالة ص : 21.

ورسالة إلى أهل سجلماسة في تلاوة القرآن ورسالة في أصول التوحيد، وجملة تآليفه كلها مفيدة بديعة غزيرة العلم"[52].

فما ذكره القاضي عياض وباقي المترجمين من تآليف ابن أبي زيد لا يعتبر عددا نهائيا بل ذكروا ما بلغ إلى علمهم فقط. والمطبوع من هذه المؤلفات ثلاثة كتب، الأول الرسالة[53] والثاني كتاب الجامع[54] وأخيرا الكتاب القيم "النوادر والزيادات على المدونة" الذي طبع في خمسة عشر مجلدا حققه مجموعة من الأساتذة منهم محمد بوخبزة وعبد الله الترغي وعبد العزيز الدباغ. أما الكتب المخطوطة فهي:

1) مجموعة أحاديث توجد بالمتحف البريطاني برقم 888.8 ولعلها جزء من كتاب الجامع في السنن والآداب[55].

2) قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم[56] وتوجد بنفس المتحف برقم 1617.

3)العقيدة مع شرح لها بقلم أحمد بن عيسى البرنسي وتوجد بمكتبة يني[57] برقم 744.

وجملة أسماء مصنفات ابن أبي زيد حسب المترجمين له هي كالتالي:

1) أحكام المعلمين والمتعلمين[58].

(52) ترتيب المدارك 4494

(53) وقد تم طبعها مرات عدة منها طبعة دار الفكر لسنة 1414 هج/ 1993م.

(54) وقد تم طبعه من طرف مؤسسة الرسالة ببيروت والمكتبة العتيقة بتونس.

(55) دعوة الحق العدد 3 السنة 21 ص : 57.

(56) نفس العدد والصفحة.

(57) نفس العدد والصفحة.

(58) مقدمة ابن خلدون ص :(طب مكتبة الهلال ببيروت سنة 1986م).

2) رسالة طلب العلم[59].

3) رسالة فيمن تأخذه عند تلاوة القرآن والذكر حركة[60]

4) رسالة النهي عن الجدل[61]

5) رسالة الرد على القدرية ومناقضة رسالة البغدادي المعتزلي[62].

6) كتاب الذب عن مذهب مالك[63].

7) كتاب الاستظهار في الرد على البكرية[64].

8) كتاب التلبيس في الرد على البكرية[65].

9) جزء في إثبات كرامات الأولياء[66].

10) كتاب الرد على ابن مسرة المارق[67].

11) البيان في إعجاز القرآن[68].

12) رسالة إلى أهل سجلماسة في تلاوة القرآن[69].

13) كتاب الاقتداء بأهل المدينة[70].

---

(59) الديباج 430/1.

(60) ترتيب المدارك 449/4.

(61) ترتيب المدارك 449/4.

(62) نفس المصدر.

(63) ترتيب المدارك 494/4.

(64) الديباج 430/1.

(65) الديباج 430/1.

(66) أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني للهادي الدرقاش ص : 340.

(67) ترتيب المدارك 494/4.

(67) ترتيب المدارك494/4.

(69) ترتيب المدارك 494/4.

(70) ابن أبي زيد للهادي الدرقاش ص :340.

14)كتاب تفسير أوقات الصلاة[71].

15) كتاب فضل رمضان والاعتكاف[72].

16) رسالة في إعطاء القرابة من الزكاة[73].

17) مسألة الحبس على أولاد الأعيان[74].

18) كتاب التنبيه على أولاد المرتدين[75].

19) كتاب التبويب المستخرج[76].

20) كتاب مسألة النكاح بغير بينة[77].

21) عقيدة وهي رسالة في الكلام[78]، وقد يكون الفصل الأول من كتاب الرسالة المعروف[79].

22) رسالة في أصول التوحيد[80].

23) كتاب المعرفة واليقين[81].

24) كتاب المدخل إلى علم الدين والديانة[82].

---

(71) ترتيب المدارك 494/4..

(72) ترتيب المدارك 494/4..

(73) ترتيب المدارك494/4 .

(74) الديباج 429/1.

(75) الديباج 429/1.

(76) فهرسة ابن النديم ص: 284 . (طب سنة 1348 هج)

(77) ابن أبي زيد للهادي الدرقاش ص : 341.

(78) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان 290/3.

(79) ابن أبي زيد للدرقاش ص : 341.

(80) شجرة النور الزكية ص 96/1.

(81) ترتيب المدارك : 494/4.

(82) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان 290/3.

الفصل الثاني

الشيخ أبو عبد الله محمد بن قاسم جسوس وآثاره العلمية

عصر الشيخ محمد بن قاسم جسوس

امتدت حياة الشيخ جسوس من سنة 1089 هج إلى سنة 1182 هج، وهي فترة حافلة بالأحداث السياسية التي شهدها المغرب بصفة عامة ومدينة فاس على وجه الخصوص، فقد عاصر رحمه الله حكم المولى إسماعيل[1] الذي بذل جهودا كبيرة للقضاء على الثورات التي وجدت بشدة خلال هذه المرحلة، فوفر بذلك فترة من الأمن للمغرب. إلا أن تشبث أهل فاس ببيعة أحمد بن محرز لأربعة عشر شهرا قبل مبايعته جعل المولى إسماعيل يتجنب الإقامة بفاس كمقر سياسي دائم ويختار مدينة مكناس عاصمة لحكمه.

وقد عرف بتعظيمه للصلحاء واستشارة كبار الفقهاء وتزكية آرائهم ، غير أن المحنة التي شهدها عدد من فقهاء فاس بشأن تجنيد الحراطين وعدم موافقة هؤلاء الفقهاء على تجنيدهم إجباريا، تركت جرحا عميقا في مواقف سكان فاس وفي عواطفهم تجاه السلطة المركزية. وأبرز عالم امتحن في هذه المسألة الشيخ عبد السلام بن حمدون جسوس.

وبعد وفاة المولى إسماعيل، عرف المغرب فترة من أشد فترات تاريخ المغرب اضطرابا ، ففي مدة قصيرة تعاقب على العرش عدد من أبناء المولى إسماعيل ، و لم يتمكن أحدهم من إقرار الأمن وحل المشاكل العويصة التي تخبطت فيها البلاد، فاستبد جيش البخاري بالسلطة وقام باختيار الملوك وخلعهم، فبعد مبايعة المولى أحمد الذهبي[2] الذي لم يتمكن من إقرار النظام خلعه الجيش واستدعى أخاه عبد الملك[3] أمير سوس لبيعته، ورغم مساندة أهل فاس لهذا

(1) الاستقصا 94/7.

(2) الاستقصا 115/7.

(3) الاستقصا 120/7.

الأخير وتشبثهم ببيعته،عاد جيش البخاري إلى بيعة المولى أحمد بعد استقدامه من الزاوية الحنصالية بتافيلالت، وبمجرد بيعته قام بمحاصرة مدينة فاس مطالبا بتسليمه المولى عبد الملك، فنصبت المدافع باتجاه المدينة وحطمت أسوارها ومبانيها ، واستمرت القنبلة عدة أسابيع حتى سلم عبد الملك نفسه تلقائيا، وبعد وفاة المولى أحمد اتفق عبيد البخاري والأودايا على مبايعة المولى عبد الله[4] واستقدامه إلى مكناس، وكاتبوا أهل فاس للدخول في البيعة فاستقبلوا ذلك بالترحاب ، غير أن أحداثا داخلية تراجع السلطان بسببها عن زيارة فاس وأخرى دفعت أهل فاس إلى التراجع عن بيعتهم وإغلاق أبواب المدينة، فعاشت مرة أخرى تحت القنبلة وعانت بسبب هذه الظروف حتى أذعن أهلها أخيرا. واستمر المولى عبد الله في محاولاته لإخماد الثورات في مختلف أنحاء البلاد إلى أن انسحب من الميدان السياسي بعد ست سنوات من ولايته، فقرر جيش البخاري تنصيب أخيه المولى علي الأعرج بن إسماعيل[5] والذي ثارت فاس في عهده مرة أخرى وحمل أهلها السلاح حتى عين عامل جديد على المدينة وهو عبد الله بن الأشقر وما لبث الجيش أن خلعه عندما لم يحصل على مخصصاته ورواتب أفراده.

ثم بويع المولى عبد الله للمرة الثانية فساءت الأوضاع بكل من مكناس وفاس في هذه الفترة ، فأعدم عدد من علماء فاس وأعيانها واستبد بها الأودايا ونهبوا الأسواق والطرقات، فقرر أهل فاس خلع هذا السلطان ونصبوا محمد ابن عربية[6] الذي ما لبث أن امتحن عددا من المثقفين بفاس الذين رفضوا التخلي عن بيعة المولى عبد الله، كما عمد إلى استصفاء أموال بعض الأثرياء ، فانتشرت المجاعة واللصوصية بفاس ومكناس وصودرت الأقوات والحبوب، وتعطل استيراد الحبوب من إسبانيا عبر مدينة تطوان مدة من

(4) الاستقصا 114/7.

(5) الاستقصا 137/7 وتاريخ الضعيف 24/51.

(6) تاريخ الضعيف 216/1.

الزمن ، فماتت عشرات الألوف من الناس جوعا وتفاقم الجور والظلم، فعمد الجيش إلى إلقاء القبض عليه واستدعاء أخيه المستضيئ[7] ومبايعته، ودخلت فاس في البيعة قبل غيرها .

ولازال المغرب يتخبط في هذه الأوضاع بين تولية السلاطين وخلعهم، ومعاناة الأمة من ويلات الفقر والجوع والظلم فترة غير قصيرة ، وبعد وفاة المولى عبد الله بويع ولده محمد بن عبد الله[8] والذي كان والده قد عينه خليفة عنه بمراكش، وبيعته كانت بإجماع أهل المغرب إذ بايعه أهل مراكش وأحوازها وعبدة والشياظمة، كما بايعه أهل فاس ورغبوه في الاستقرار بها نهائيا[9]، ولذكائه وتواضعه وتدينه كما وصفه من عرفه، تمكن من ضمان نوع من الاستقرار للمغرب خلال ولايته، فانصرف الناس إلى العمل والإنتاج رغم بعض الثورات التي كانت حدتها أخف من تلك التي كانت في عهد سابقيه من السلاطين.

وفي هذه الفترة التاريخية الدقيقة والمضطربة كانت مدينة فاس أرضا خصبة لعدد من الأحداث، خاصة وأنها كانت عنصرا مهما في تحديد مصير المسؤول الأعلى في الدولة وترشيحه وتوجيهه إلى جانب جيش البخاري ، وذلك للأهمية الكبيرة التي كانت لهذه المدينة اقتصاديا وسياسيا ، وأيضا لمكانة علمائها وتأثيرهم القوي على السكان .

(7) الاستقصا 147/7 وتاريخ الضعيف 245/1.

(8) تاريخ الضعيف 301/1 .

(9) تاريخ الضعيف 302/1.



التعريف بالشيخ أبي عبد الله محمد بن قاسم جسوس

هو الإمام أبو عبد الله محمد فتحا بن قاسم بن محمد بن قاسم بن أحمد جسوس المالكي الصوفي ، العالم الفاسي الشهير.

ولد سنة 1089 هج على ما ذكره الكتاني في سلوة الأنفاس[10] وابن مخلوف في شجرة النور الزكية[11] ، بمدينة فاس التي نشأ بها وأخذ مختلف العلوم عن شيوخها ثم انصرف إلى التعليم والتأليف بها.

أ-حليته عند العلماء :

حلاه صاحب السلوة بقوله: "الفقيه العالم العلامة المحقق المحدث الصوفي المدقق ، المشارك الحجة ، الموضح لمن بعده طريق الحجة الخاشع المتواضع الوجيه الورع الزاهد المصنف الحاذق النبيه ذو التصانيف العديدة والتآليف المفيدة شيخ الجماعة في وقته[12].

وحلاه الشيخ الحضيكي بقوله: "الإمام أبو عبد الله شيخ الجماعة وحجة العلماء محمد بن قاسم جسوس"[13] .

وحلاه الشيخ إدريس العراقي الحسني بقوله : "شيخنا القدوة الفقيه الصوفي العمدة"[14] .

(10) سلوة الأنفاس 331/1.

(11) شجرة النور الزكية 355/1.

(12) سلوة الأنفاس 330/1.

(13) فهرسة الحضيكي ص :15، م خ ع ر برقم 4582 د.

(14) فهرسة إدريس العراقي ص : 388، م خ ع ر برقم 71ج.

وحلاه الشيخ التاودي بن سودة بقوله:" الفقيه النزيه الخاشع المتواضع العلامة الوجيه ذو التصانيف العديدة والتآليف المفيدة شيخنا وبركتنا"[15].

وحلاه الشيخ أبو الحسن الجنوي بقوله :" سيدنا علامة الزمان ووحيد الأوان فريد عصره ووحيد مصره الهمام الأسنى المحترم ذو الشمائل المرضية والأحوال السنية، شيخ الجماعة بفاس"[16] .

ب- التعريف ببيت آل جسوس:

أسرة آل جسوس من الأسر العريقة بمدينة فاس المعروفة بإنجابها لعدد من العلماء الأجلاء الذين طبعوا الحركة العلمية بهذه المدينة بمواقف مشهودة، فمن هؤلاء العلماء الشيخ الجليل والعالم الكبير عبد السلام بن حمدون جسوس الذي اشتهر بتدريسه ومشاركته في أصناف من العلوم، وقد وصفه الشيخ محمد بن قاسم جسوس بقوله:" وكابن عمنا الإمام العلامة المحدث الصوفي الذي لم تأخذه في الله لومة لائم سيدي عبد السلام بن أحمد جسوس"[17] ، وذلك لصموده على موقفه رغم ما لقي في سبيله من العذاب والسجن حتى لقي ربه شهيدا ، إذ لم يوافق على ديوان الحراطين الذي أشار به محمد بن قاسم اعليلش المراكشي على السلطان المولى إسماعيل، فسجنه وأجرى عليه ألوانا من العذاب وصادر جميع أمواله وأمر بقتله خنقا سنة 1121هج، ودفن ليلا على يد القائد علي الروسي. وكان قد كتب قبل وفاته بأيام رقعة وأذاعها بين الناس وفيها : "الحمد لله، يشهد الواضع إسمه عقبه على نفسه ويشهد الله تعالى وملائكته وجميع خلقه أني ما امتنعت من الموافقة على تمليك من ملك ، إلا أني لم أجد في الشرع وجها له و لا مسلكا ولا رخصة، وإني وإن وافقت عليه طوعا أو كرها فقد خنت الله ورسوله والشرع..."[18] .

---

(15) فهرسة التاودي بن سودة ص : 4 ، م خ ع ر برقم 3251ك.

(16) إجازة الشيخ جسوس لأبي الحسن الجنوي ص : 14، م خ ع ر برقم 2234د.

(17) الإجازة السابقة ص : 21 .

(18) تاريخ الضعيف 1/193-194.

ومنهم ولده عبد الله جسوس[19] الأديب الفضل الذي كانت له سجية جيدة في الشعر، وأدب وفصاحة ومشاركة في عدة فنون، وممن أخذ عنهم والده الشهيد، وكانت وفاته سنة 1132هج.

ثم شيخ الجماعة العالم والمربي محمد بن قاسم جسوس الذي تأثر كثيرا بالشيخ عبد السلام وأخذ عنه ، فكان كثير الاستشهاد بأقواله وأشعاره حتى في مرض موته.

وأيضا الفقيه العلامة الصوفي أبو عبد الله محمد بن الطيب جسوس صاحب نصرة الفقير[20]، وكانت وفاته سنة 1273 هج.

---

(19) سلوة الأنفاس 15/2 وشجرة النور الزكية 331/1.

(20) ترجمته في شجرة النور الزكية 401/1.

شيـوخه

لقد ذكر الشيخ جسوس في بعض إجـازاته لبعض تلاميذه جملة من أشيـاخه الذين أخذ عنهـم وانتفـع بهـم، ولا يذكر أحدهـم إلا ويذكر فضله ويحليه بأفضل صفة كما هو ملاحظ خاصة في إجازته للشيخ الحضيـكي وإجازته للشيخ أبي الحسن الجنـوي. وهؤلاء هم شيوخه حسب ما ورد في الإجازتين وما أورده من ترجـم له:

1) محمد بن عبد القادر الفاسي[21] الفقيه العـالم العمدة المحقـق القدوة، كان رحمه الله من أفراد الرجال وممن بلـغ من العلم والعمل المرتبة العليا، أحرز قصب السبـق في النـحـو والبـيـان والمنـطـق والحديث والسير والتصـوف والأصـول والفقه،وكان إليه المرجع في الحوادث الوقتية والنـوازل الدينية والدنيوية، كان يضرب به المثـل في الورع ونشـر العلم ولزوم العبادة. ولد بفاس سنة1042 هج ونشأ بها، وأخـذ العلم عن أبيـه وثلة من العلماء منهـم أبو العباس الزموري وأبو الحسن علي الزرهـوني وغيرهـم، وانتفع به الكثيرون منهم عبد السلام القادري وأبو عبد الله المسنـاوي والعربي بردلة ومحمد بن قاسم جسـوس وأبو الحسن العلمـي. ومن تصانيفه المفيـدة شرح الحصن الحصين ورسـالة بديعة في مسألـة خلق الأفعـال ونظم في التوسل بالصحـابة وغيرهـا. وكانت وفاتـه سنة 1116 هج.

2) ولـده الطيب[22] أبو عبد الله محمد الطيب بن أبي عبد الله محمد بن أبي محمد سيدي عبد القادر الفاسي، الفقيه العالم القـدوة ، ولد بفاس سنة 1064

---

(21) ترجمته في سلوة الأنفاس 316/1 وشجرة النور الزكية 329/1.

(22) ترجمته في سلوة الأنفاس 318/1 وشجرة النور الزكية 329/1.

وقيل 1068هج ونشأ في حجر أبيه وجده، واشتغل بالعلم حتى صار رأس المحققين وقدوة المثقفين أخذ عن والده وعمه أبي زيد عبد الرحمن ، وعن أبي سالم العياشي وغيرهم، له تصانيف مفيدة منها شرح مقدمة جده في الأصول وفهرسة والده المسماة "أسهل المقاصد لحلية المشايخ ورفع الأسانيد الواقعة في مرويات شيخنا الوالد، وله تقاييد وأجوبة في غاية الإجادة. وعنه أخذ عدد كبير من الأئمة إذ كان له مجلس في التفسير والفقه قام فيه مقام أبيه مدة حين لازم داره لمرض اعتراه. توفي في حياة والده سنة 1113 هج.

3) أبو عبد الله محمد العربي بردلة[23] بضم الباء والدال الأندلسي ثم الفاسي مولدا ووفاة، الإمام الفقيه شيخ الجماعة والقاضي العادل، ولد سنة 1042 هج، واشتغل بالعلم فكانت له دراية بالعربية والفقه والحديث والتفسير والنوازل والتصوف وغيرها من فنون العلم. أخذ عن الشيخ عبد القادر الفاسي والقاضي أبي عبد الله بن سودة وأضرابهما، وعنه أخذ جماعة من فقهاء أهل فاس على رأسهم الشيخ محمد جسوس وعبد السلام بن الطيب القادري وأحمد بن محمد الخياط وغيرهم، توفي سنة 1133 هج.

4) أبو عبد الله محمد بن أحمد القسنطيني الشريف الحسني المعروف عند أهل بلده بالكماد[24]، العلامة المتفنن القدوة، ذو الكرامات الظاهرة، أخذ بجبل زواوة عن أبي عبد الله محمد المغربي وأبي عبد الله محمد بن عبد المومن وغيرهم، ثم قدم إلى فاس وتصدر للتدريس بها فأفاد وأجاد وأخذ عنه الكثيرون، منهم محمد بن عبد السلام بناني ومحمد بن قاسم جسوس وإدريس ابن محمد المنجرة الحسني وغيرهم. وقد كان رحمه الله آية من آيات الله في الحفظ ، فعظم صيته عند العلماء والرؤساء، ولملازمته للتدريس لم يتسن له التأليف، وقد توفي سنة 1116 هج.

(23) ترجمته في سلوة الأنفاس 138/3 وشجرة النور الزكية 332/1.
(24) ترجمته في سلوة الأنفاس 30/2 وشجرة النور الزكية 329/1.

5) أبو عبد الله محمد بن محمد وقيل بن أحمد بن محمد ميارة، المعروف بميارة الصغير[25] العالم الشهير العمدة المحقق، له تحقيق في العلوم العقلية ودراية كبيرة بالعلوم النقلية، أخذ عن الشيخ عبد القادر الفاسي وأجازه كما اعتمد على ولده محمد ، وأخذ عن الشيخ بردلة وغيرهم. وعنه أخذ عدد من العلماء منهم الشيخ محمد جسوس ومحمد بن زكري وغيرهما، وتوفي سنة1144 هج.

6) أبو محمد عبد السلام بن أحمد المدعو حمدون بن علي بن أحمد جسوس الفاسي[26]، الإمام الجليل العالم العامل، كانت له معرفة بالنحو والفقه والحديث والتفسير وعلم الكلام وغير ذلك، اشتغل بالتدريس فكان له مجلس حفيل، وكان الناس يقصدونه للمشاورة في الأمور الدينية والدنيوية ويعتقدون خصوصيته، أخذ العلم عن عبد القادر الفاسي وولديه، وعن الشيخ ميارة وأبي علي اليوسي وأبي العباس بن الحاج وغيرهم، وعنه أخذ جماعة على رأسهم ولده الأديب الفاضل عبد الله والشيخ محمد جسوس، له تأليف حسن في أدعية نبوية سماه بإسمين أحدهما "مرقى الأنام إلى غرف دار السلام" والثاني "مرقى الأبرار والأخيار إلى رضى العزيز الغفار"، وقد توفي مخنوقا بباب سجن القلعة بفاس سنة 1121 هج.

7) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد الملقب بالمسناوي بن محمد بن أبي بكر الدلائي[27]، شيخ الإسلام وعمدة المفتين ، أخذ عن أعلام منهم والده وعم أبيه محمد المرابط وعبد القادر الفاسي وأجازه إجازة عامة وعن الشيخ اليوسي وغيرهم، وعنه أخذ جماعة من العلماء منهم الشيخ جسوس ومحمد العلمي مؤلف "الأنيس المطرب"، وأحمد بن مبارك ومحمد ميارة الصغير ومحمد بن حمدون بناني وابن زكري وجماعة، من مصنفاته جهد المقل القاصر في نصرة

(25) ترجمته في أزهار البستان في طبقات الأعيان لابن عجيبة ص : 193 وشجرة النور الزكية 335/1.
(26) ترجمته في سلوة الأنفاس 14/2 وشجرة النور الزكية 331/1.
(27) ترجمته في سلوة الأنفاس 351/2 وشجرة النور الزكية 333/1.

الشيخ عبد القادر ونتيجة التحقيق في بعض أهل النسب الوثيق وصرف الهمة إلى تحقيق معنى الذمة، وله أجوبة كثيرة وتقاييد، ولد سنة 1072هج وتوفي سنة 1136 هج.

8) أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن زكري[28]، الإمام العالم الفقيه النبيه أخذ عن الشيخ عبد القادر الفاسي وانتفع به وأحمد بن العربي بن الحاج وأبي عبد الله محمد المسناوي وغيرهم، وعنه أخذ جماعة من العلماء منهم الشيخ محمد بن قاسم جسوس وغيره، له عدة مصنفات منها شرح النصيحة وشرح الحكم العطائية وشرح الشمائل وحواشي على البخاري وشرح الصلاة المشيشية وتفسير على مواضع من القرآن الكريم وغير ذلك، ولكل من الشيخين عبد المجيد المنالي وأحمد بن عبد السلام بناني تأليف مستقل في التعريف به، وقد توفي رحمه الله سنة 1144 هج.

9) أبو عبد الله محمد بن عبد السلام البناني الفاسي[29]، الإمام العلامة المشارك شيخ الإسلام، كان له مع الناس أخلاق كريمة وأوصاف حميدة، أخذ العلم عن جماعة من العلماء منهم الشيخ ميارة الصغير وأبي سالم العياشي والشيخ اليوسي وأبي عبد الله بردلة وأبي العباس بن الحاج وغيرهم، وعنه أخذ من لا يعد كثرة منهم الشيخ محمد جسوس والشيخ التاودي وعبد القادر بوخريص، فقد كانت له همة عالية في التدريس وعلى مجلسه هيبة ووقار وسكينة، ولم يشغله التدريس عن التصنيف، فمن تآليفه شرح لامية الزقاق وشرح الاكتفاء للكلاعي في ستة أسفار وشرح على الحزب الكبير للشاذلي وشرح على صلاة الشيخ عبد السلام بن مشيش وشرح خطبة المختصر وغير ذلك مما هو كثير. توفي عن سن عالية سنة 1163 هج.

---

(28) ترجمته في أزهار البستان لابن عجيبة ص :192 و شجرة النور الزكية 335/1.

(29) ترجمته في سلوة الأنفاس 146/1 وشجرة النور الزكية 353/1.

10) محمد بن حمدون بناني[30]، العالم الجليل المالكي الفقيه المعروف بالمحجوب، اشتغل بالفقه والنحو وبالتدريس والإفتاء بمدينة فاس، وممن أخذ عنه وانتفع به الشيخ محمد جسوس وقد ذكره ضمن شيوخه، من آثاره العلمية شرح ألفية ابن مالك والفوائد المسجلة الحمدلة والبسملة، وكانت وفاته سنة 1140 هج.

11) أبو العباس أحمد بن علي بن عبد الرحمن الجرندي الأندلسي الفاسي[31] دارا ومنشأ، كان رحمه الله أحد الأعلام المعروفين بالخير والصلاح، وكان إماما بمسجد الشرفاء بفاس القرويين ودرس فيه عدة علوم، أخذ عن جماعة من الشيوخ منهم عبد القادر الفاسي وأحمد بن عبد الله بن معن الأندلسي وغيرهما، وقد عين رحمه الله للقضاء بفاس من قبل السلطان فاحتال لنفسه في الفرار منه بأن تحامق وصار يظهر من نفسه البله والأفعال الخسيسة حتى أقيل منه، توفي سنة 1124 وقيل 1125 هج.

12) أبو عبد الله محمد بن إدريس العراقي الحسني[32]، الشيخ الجليل عالم الشرفاء وشريف العلماء، أحد أئمة النحو والعروض بفاس، اشتغل بالتدريس فأجاد وأفاد وانتفع به الكثيرون،أخذ عن جماعة من العلماء منهم عبد السلام القادري وعبد القادر الفاسي وولده محمد وهو عمدته، وعنه أخذ من لا يحصى كثرة منهم الشيخ محمد جسوس والشريف العلمي، وكانت له قريحة في نظم الشعر وخلة كبيرة مع الشيخ أبي عبد الله المسناوي فكثرت بينهما الأسئلة والأجوبة ، وله تقاييد كثيرة في النحو، وقد توفي سنة 1142 هج.

13) أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن أحمد بن سليمان الشدادي[33] نسبة لبني شداد من قبيلة بأعلى شفشاون، الشريف الحسني الإدريسي

(30) معجم المؤلفين 270/9.

(31) ترجمته في سلوة الأنفاس 16/2.

(32) ترجمته في سلوة الأنفاس 28/2-29 وشجرة النور الزكية 335/1.

(33) ترجمته في سلوة الأنفاس 195/3.

العمراني، كان فقيها علامة مفتيا نوازليا مشاركا في أصناف من العلوم، له تقاييد على الزقاقية وغيرها، أخذ عن العديد من الشيوخ، وعنه أخذ الكثيرون أيضا منهم ولده أحمد والشيخ محمد جسوس، وقد توفي رحمه الله قاضيا بفاس الجديد سنة 1141 هج.

14) أبو الحسن علي بن أحمد الحريشي[34]، الإمام العارف بالله خاتمة المحققين والعلماء العاملين المسند المحدث، أخذ عن أعلام منهم عبد القادر الفاسي وابنه محمد وأبو سالم العياشي والشيخ اليوسي ، وعنه أخذ عدد من العلماء منهم محمد جسوس وأحمد بن مبارك وعمر الفاسي وأحمد الماكودي وأبو العلاء الحافظ العراقي، له عدة مصنفات منها شرح الموطأ وشرح مختصر خليل وشرح الشفا وشرح نظم ابن زكري التلمساني وفهرسة وغير ذلك، ولد سنة 1042 هج وتوفي بالمدينة المنورة بعد سنة 1120 هج.

15) محمد بن محمد بن محمد بن عبد الواحد المشاط[35]، فقيه عالم مدرس خير صالحا أدرك أبا محمد عبد القادر الفاسي وعاصر جماعة من تلامذته وعليهم قراءته، وكان له حظ وافر من عمل الخير ، فقد حكي عنه أنه وقف في تدريسه على مسألة العتق فأبطل القراءة أياما، فقنط من ذلك طلبة مجلسه، فبحثوا عنه فوجدوه قصد شراء مملوك ليعتقه لئلا يأمر في تدريسه بالعتق قبل أن يفعله. وكانت ولادته سنة 1070 وقيل 1071 هج ، وتوفي بالحجاز سنة 1136 هج ودفن بجوار أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها.

16) القاضي إدريس بن مهدي المشاط[36]، العالم الجليل والقاضي العادل، ولي قضاء تادلة ثم بعده خطابة مسجد الأندلس بفاس. وقد سافر للحج فتوفي سنة 1142 هج.

---

(34) ترجمته في شجرة النور الزكية 1/336-337.

(35) الإكليل والتاج في تذييل كفاية المحتاج للطيب القادري ص : 190، مخطوط بمكتبة خاصة.

(36) التقاط الدرر للطيب القادري ترجمة رقم 502 ص : 354.

تلاميذه

إن اشتغال الشيخ محمد بن قاسم جسوس بالتدريس جعل عدد تلاميذه كبيرا ومنهم من بلغ درجة المشيخة فمن هؤلاء:

1) أبو محمد عبد المجيد بن علي المنالي الشهير بالزبادي[37]، الشريف الحسني الإدريس الفاسي الفقيه العلامة الصوفي اللغوي الأديب المعروف بالفضل، أخذ عن الشيخ أبي عبد الله جسوس وأبي عبد الله ميارة الصغير، وحج صحبة الولي أحمد الصقلي والهادي بن محمد العراقي فلقي أعلاما منهم الشيخ محمد الكردي، وكان له أتباع كثيرون ظهرت عليهم بركته، له عدة تصانيف منها رحلته للحج وتأليف في التعريف بابن عباد وتأليف في شرح الكلام المنسوب لشيخه السوسي في تفسير أهل الخصوصية وله أيضا عدة تقاييد في التاريخ والتصوف والفقه، توفي سنة 1163 هج.

2) أبو عبد الله محمد بن الطاهر بن يوسف بن أبي عسرية بن علي الفاسي[38]، الإمام العمدة القدوة ، أخذ عن الشيخ محمد بن عبد السلام بناني وأحمد بن مبارك وأبي عبد الله المسناوي وأبي عبد الله جسوس، وعنه أخذ محمد بن عبد السلام الفاسي وزيان العراقي واليازغي وعبد الرحمن بنيس وغيرهم، وتوفي سنة 1177 هج.

3) أبو العلاء إدريس العراقي[39] الفقيه الإمام العمدة المحدث الورع ، أخذ عن والده وأبي الحسن الحريشي وأبي عبد الله جسوس وأبي عبد الله بن زكري

(37) ترجمته في سلوة الأنفاس 2/184-185 وشجرة النور الزكية 1/376.

(38) ترجمته في شجرة النور الزكية 1/354.

(39) ترجمته في سلوة الأنفاس 1/141-143 وشجرة النور الزكية 1/356.

وغيرهم، وعنه أخذ جماعة منهم ولداه عبد الرحمن وعبد الله وابن عمه زيان والشيخ أحمد الصقلي ، له تآليف مفيدة منها شرح الشمائل وشرح على إحياء الميت في فضائل آل البيت وغيرها، وقد توفي سنة 1183 وقيل 1184 هج.

4) أبو عبد الله محمد الطيب القادري[40] الفقيه العلامة ، أخذ عن والده

وتفقه بأبي العباس بن مبارك وأبي عبد الله محمد بن عبد السلام بناني وأبي عبد الله محمد جسوس وأجازه كتابة كما أجازه الشيخ محمد الحفناوي،له تآليف جليلة في فنون من العلم منها الزهر الباسم في ترجمة الشيخ الخصاصي قاسم وكتاب المورد المعين في شرح المرشد المعين وكتاب نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني وكتاب الإكليل والتاج في تذييل كفاية المحتاج وغير ذلك. كان مولده سنة 1123 هج، وتوفي سنة 1187 هج.

5) أبو حفص عمر بن عبد الله بن يوسف بن العربي الفاسي[41]، الشيخ الإمام خاتمة المحققين الأعلام، أخذ العلم عن والده والشيخ محمد العراقي وأبي العباس بن مبارك واعتمده وأبو عبد الله جسوس وأبي الحسن علي بن أحمد الحريشي وغيرهم، وعنه أخذ من لا يعد كثرة منهم زين العابدين العراقي وعبد الكريم اليازغي والطيب بن كيران وأضرابهم، من تصانيفه شرح التحفة وحاشية على كبرى السنوسي ولواء النصر في الرد على أبناء العصر رد فيه على من أفتى بجواز بيع الأحباس المؤبدة لضرورة المسغبة وغير ذلك توفي سنة 1188 هج وهو ابن ثلاث وستين سنة.

6) أبو عبد الله محمد بن الحسن البناني[42] العالم الجليل، أخذ عن جماعة من الشيوخ منهم أحمد بن مبارك ومحمد جسوس ومحمد بن عبد السلام بناني

---

(40) ترجمته في شجرة النور الزكية 352/1.

(41) ترجمته في أزهار البستان لابن عجيبة ص : 203 شجرة النور الزكية 356/1.

(42) ترجمته في شجرة النور الزكية 357/1.

وانتفع به، وعنه أخذ الكثير من العلماء منهم عبد الرحمن الحايك والشيخ الرهوني والطيب بن كيران وعبد القادر شقرون وغيرهم، من آثاره العلمية حاشية على شرح الشيخ عبد الباقي الزرقاني وحواش على التحفة واختصر تأليف شيخه ابن المبارك في مسألة التقليد وفهرسة وغير ذلك. وقد ولد سنة 1133 هج أما وفاته فكانت سنة 1194 هج.

7) أبو الحسن زين العابدين المدعو زيان بن هاشم العراقي[43] الحسني الفاسي، العلامة المحقق ، كان رحمه الله عالما نبيلا مشاركا في عدة فنون لاسيما النحو ، عرف بالضبط والإتقان والعفة والديانة وصيانة الأخلاق، أخذ عن الشيخ أبي عبد الله جسوس وأبي العباس بن مبارك وابن عمه محمد الهادي العراقي وعمدته أبو حفص عمر الفاسي، وعنه أخذ الكثيرون منهم أولاده وعبد الواحد بن محمد الفاسي والطيب بن كيران وغيرهم، وقد توفي سنة 1194 هج.

8) أبو محمد عبد الكريم بن علي اليازغي الفاسي[44]، كان فقيها عالما متفننا في علوم شتى، أخذ عن الشيخ أبي حفص عمر الفاسي وهو عمدته وعن الشيخ محمد جسوس وغيرهما ، وعنه أخذ جماعة من العلماء منهم أحمد الصغير والطيب بن كيران وأبو الربيع سليمان الحوات، وتوفي سنة 1199 هج.

9) أبو عبد الله محمد التاودي بن محمد بن الطالب بن سودة المري الفاسي[45]، الإمام شيخ الإسلام، والتاودي نسبة إلى تاودة بضم الواو قرية من أعمال فاس، أخذ عن جماعة من أشياخ وقته منهم أبو عبد الله جسوس والشيخ يعيش الشاوي ومحمد بن عبد السلام بناني وأحمد بن مبارك وهو عمدته وغيرهم، وعنه أخذ خلق كثير منهم ولده أبو العباس أحمد ومحمد بن

(43) ترجمته في سلوة الأنفاس 114/3 وشجرة النور الزكية 357/1-358.

(44) ترجمته في شجرة النور الزكية 359/1.

(45) ترجمته في سلوة الأنفاس 112/1-113 وشجرة النور الزكية 372/1.

عبد السلام بن ناصر الدرعي ومحمد الجنوي والطيب بن كيران وغيرهم، له تآليف مفيدة منها حاشية على شرح الزرقاني على المختصر وشرح على لامية الزقاق وحاشية على صحيح البخاري وفهرسة[46] جمع فيها أشياخه وغيرها. كان مولده سنة 1111 هج ووفاته سنة 1209 هج.

10) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بنيس الفاسي[47]، الحافظ العمدة المحقق، أخذ عن الشيخ محمد جسوس وعبد الرحمن المنجرة وعبد القادر بن شقرون وغيرهم، وعنه أخذ جماعة منهم حمدون بن الحاج وأحمد بن عجيبة وعبد القادر الكوهن وغيرهم، من آثاره العلمية شرح على الهمزية وشرح على فرائض الشيخ خليل، كان مولده سنة 1160 هج وتوفي بالوباء سنة 1213 وقيل 1214 هج.

11) أبو عبد الله محمد بن مسعود الطرنباطي الفاسي[48]، الشيخ الفقيه الأديب اللغوي النحوي المؤلف المحقق المشارك في أنواع من العلوم، وكان له اهتمام خاص بألفية ابن مالك ، أخذ العلم عن جماعة من العلماء منهم محمد جسوس وعبد الكريم اليازغي وعبد الرحمن المنجرة وأبو حفص الفاسي وغيرهم، وعنه أخذ جماعة من العلماء وانتفعوا به، من تآليفه شرح على خطبة ألفية ابن مالك وشرح آخر على بقيتها، وكتاب بلوغ أقصى المرام في شرف العلم وتأليف في البسملة وتأليف في شرح الرسالة وغيرها. وقد توفي شهيدا بالطاعون سنة 1214 هج.

12) أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن العربي الفاسي[49]،الشيخ الفقيه العلامة المحقق الفهامة، أخذ عن الشيخ محمد جسوس وأبي حفص الفاسي

---

(46) مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط برقم 3251ك.

(47) ترجمته في سلوة الأنفاس 1/204-205 وشجرة النور الزكية 1/374.

(48) ترجمته في سلوة الأنفاس 2/268 وشجرة النور الزكية 1/374.

(49) ترجمته في شجرة النور الزكية 1/374.

وأبي عبد الله محمد بن عبد السلام البناني وغيرهم، وعنه أخذ الكثيرون منهم عبد القادر بن شقرون ومحمد بنيس ، له عدة مصنفات منها شرح لامية الأفعال وحاشية على الجعبري وفهرسة ذكر فيها أشياخه وغيرها. وكانت وفاته سنة 1214 هج وعمره أربعة وثمانون سنة.

13) أبو محمد عبد القادر بن أحمد بن العربي بن شقرون الفاسي[50]، كان عالما مشاركا في العلوم مرجوعا إليه في حل المشكلات معروفا بالضبط والإتقان، أخذ عن أبي عبد الله جسوس وأبي العباس الهلالي وعبد الرحمن المنجرة وعبد القادر بوخريص وأبي حفص الفاسي، وممن أخذ عنه السلطان أبو الربيع سليمان. وقد توفي سنة 1219 هج.

14) أبو عبد الله محمد بن حسن الجنوي الحسني التطواني[51]، الشيخ الإمام العلامة المحقق العارف بالله ، المعروف بالعلم والصلاح ، أخذ عن أعلام منهم شيخ الجماعة محمد جسوس وأبي حفص الفاسي والتاودي بن سودة وغيرهم، وعنه أخذ جماعة منهم الشيخ الرهوني الذي انتفع به وذكره في حاشيته على المختصر وأثنى عليه كثيرا، له تقاييد مفيدة منها تقييد على الزرقاني وطرر على شرح ميارة على التحفة وغير ذلك. وقد ولد سنة 1135 هج وتوفي في رمضان سنة 1220 هج.

15) أبو زيد عبد الرحمن الحائك التطواني[52]، الأستاذ العلامة الورع الفهامة، أخذ عن أبي عبد الله جسوس والتاودي بن سودة وغيرهما، وعنه أخذ جماعة منهم الشيخ الرهوني والشيخ المأمون إجلال الحسني قاضي تطوان ، له فتاوي غاية في التحرير جمعها تلميذه المأمون المذكور وبعضها منقول في نوازل الشيخ المهدي الوزاني وله فهرسة. كان حيا سنة 1220 هج.

(50) ترجمته في شجرة النور الزكية 374/1.

(51) ترجمته في أزهار البستان ص : 205 وشجرة النور الزكية 375/1.

(52) ترجمته في أزهار البستان ص : 207 وشجرة النور الزكية 375/1.

16) أبو عبد الله الطيب بن محمد بن عبد المجيد بن عبد السلام بن كيران[53]، الإمام الحامل لواء المعارف العلامة المتقن، أخذ العلم عن جماعة من الشيوخ منهم أبو عبد الله جسوس وأبو حفص الفاسي ومحمد البناني وغيرهم، وعنه أخذ

الكثيرون منهم عبد القادر الكوهن ومحمد الشاوي وإدريس الودغيري وأحمد بن عجيبة التطواني وغيرهم، له عدة مصنفات منها تفسير سورة الفاتحة وتفسير القرآن العظيم من سورة النساء إلى قوله تعالى من سورة غافر ﴿يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع﴾[54]، وجزء من سورة البقرة وشرح الحكم العطائية وشرح توحيد الرسالة لم يكتمل وغيرها. وقد توفي سنة 1227 هج.

17) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد الجزولي الحضيكي[55]، عالم بالتراجم ومن فقهاء المالكية، رحل في طلب العلم وجال شرقا وغربا من سوس إلى تطوان ومكناس وفاس، فأخذ عن الشيخ جسوس والعراقي والجنوي والبناني وغيرهم وكاتب من لم يلقهم من العلماء، ثم حج وأقام مدة في الأزهر بمصر وعاد إلى المغرب وأقام في زاوية وادي إيسي إحدى زوايا سوس وتفرغ للتدريس والتصنيف، من مصنفاته كتاب مناقب الحضيكي وشرح على الرسالة ومختصر الإصابة وحاشية على صحيح البخاري ومجموعة من إجازات أشياخه وغيرها. وقد ولد سنة 1118 هج وتوفي بزاوية وادي إيسي سنة1189 هج.

18) أبو عبد الله محمد بن محمد الصادق بن ريسون الحسني العلمي التطواني[56]، العالم الجليل، رحل في طلب العلم إلى فاس فأخذ عن أبي عبد

---

(53) ترجمته في أزهار البستان ص : 206 وشجرة النور الزكية 376/1.

(54) سورة غافر آية 39.

(55) ترجمته في فهرس الفهارس 351/1.

(56) ترجمته في فهرس الفهارس 445/1.

الله جسوس والتاودي بن سودة وأبي حفص الفاسي وغيرهم وأجازوه إجازة عامة، وحج سنة 1216 هج فلقي عددا من العلماء فأجازه جماعة بالمدينة منهم عثمان الشامي المدني، كما أخذ بمصر عن عبد الله الشرقاوي وغيرهم، وعنه أخذ السلطان أبو الربيع سليمان والشهاب أحمد بن عبد الرحمن الطرابلسي وقد توفي سنة 1234 وقيل 1236 هج.

19) أبو عبد الله محمد بن علي الورزازي[57] أصلا التطواني دارا وسكنا ومدفنا، يروي عن الشيخ محمد بن قاسم جسوس والتاودي بن سودة وجماعة من العلماء، له فهرسة ساق فيها نصوص إجازات أشياخه. قال صاحب فهرس الفهارس :"لم أقف على وفاته".

20) ونجد المصادر تشير إلى لقائه بالشيخ أبي الحسن علي بن أحمد الصعيدي العدوي[58] المتوفى سنة 1189 هج، قال صاحب فهرس الفهارس :" من أعلى شيوخه إسنادا محمد البليدي المالكي وعبد الله المغربي وإبراهيم الفيومي كلهم عن الخرشي، وكان يروي عامة عن محمد بن زكري الفاسي ومحمد بن قاسم جسوس تلميذه لما شرقا ودخلا مصر، والشهاب أحمد الديربي والشمس محمد بن عقيلة المكي والسيد محمد بن عبد الله المغربي والسيد المنزلاوي وغيرهم".

(57) فهرس الفهارس 1112/2.
(58) ترجمته في فهرس الفهارس 712/2-713 وسلك الدرر 206/3.

وفاته ومكانته وتراثه

أ- وفاته :

توفي الشيخ محمد بن قاسم جسوس ضحوة يوم الأربعاء الرابع من رجب الفرد سنة اثنين وثمانين ومائة وألف على ما ذكره الكتاني في سلوة الأنفاس[59] والشيخ محمد بن الصادق العلمي في فهرسته[60] وابن مخلوف في شجرة النور الزكية[61]، وكانت وفاته بفاس ودفن من يومه بعد صلاة العصر بزاوية الشيخ أبي محمد عبد القادر بن علي الفاسي رضي الله عنه من حومة القلقليين عدوة فاس القرويين. قال صاحب سلوك الطريق الوارية: "وكنت المباشر لغسله وإنزاله في قبره بإيصاء منه على ذلك"[62]، وقد كان رحمه الله في مرض موته كثيرا ما يتمثل بأبيات لعمه أبي محمد سيدي عبد السلام جسوس:

سلام على أهل الحمى حيث ما حَلوا	**هنيئا لهم يا حبذا ما به حُلوا**
لهم أظهر المولى شموس بهائه	**فياليت خدي في التراب لهم نعل**
متى يا غُرَيْبَ الحي يأتي بشيركم	**فتبتهج الدنيا ويجتمع الشمل**
صِلوني على ما بي فإني لوصلكم	**إذا لم أكن أهلا فأنتم له أهل[63]**

ب- مكانته وتراثه:

لقد حظي الشيخ بالمكانة الرفيعة بين العلماء، فكان إمام الوقت وشيخ الجماعة في فاس، وإن المجال ليضيق عن استيعاب كل ما قاله العلماء في حقه

(59) سلوة الأنفاس 331/1.

(60) فهرسة محمد الصادق العلمي ص : 410-411، (م خ ع ر برقم 71ج ضمن مجموع).

(61) شجرة النور الزكية 355/1.

(62) سلوة الأنفاس 331/1.

(63) سلوة الأنفاس 331/1.

لذلك اقتصرت على شهادة صاحب سلوة الأنفاس الذي قال فيه : "كان رحمه الله بحرا لا يجارى في مجاري العلوم ومهندا يفري أديم المشكلات بماضي الفهوم حافظا ضابطا متقنا ماهرا محصلا متفننا عارفا بالأصول والفروع، حاضرا للأفراد والجموع مشاركا في معقول العلم ومنقوله بنظر يؤدي إلى تحصيل معلومه ومجهوله في منطق وبيان وعربية واصلين، وتصوف وفقه وحديث وتفسير مع استغراق الأزمان في الاعتناء بالمطالعة والتقييد والمدارسة والحفظ، والحرص على الاستفادة والإفادة بكل وجه حسب الإمكان، ذا أخلاق حسنة وأوصاف مستحسنة، جامعا للسنة المحمدية حائزا لها سالكا من الطرق المتينة وعرها وسهلها حتى أشرقت عليه أنوار المحبة الإلهية، وتوفرت فيه شروط الأوصاف المحمدية الكمالية من الخشوع والتواضع والخضوع والصيام والقيام وغلبة الدموع، وكان كثير الدوام على مختصر خليل تدريسا وإقراء، وأخذه عن غالب نجباء الوقت وكذلك رسالة ابن أبي زيد وحكم ابن عطاء الله والبخاري والشمائل، وكان على مجلس تدريسه طلاوة وفي كلامه فصاحة وحلاوة، كما أعطاه الله من التواضع واللطافة والحنانة والسكينة والفصاحة والحفظ الوهبي وتمكن المحبة من سويداء قلبه، حتى كان تقرير مجلسه في كل علم ممزوجا بالتصوف لامتزاجه بدمه ولحمه. وانتهت إليه المشيخة في الجماعة في وقته وأكب الناس عليه لانفراده بالاجتهاد وجودة القريحة وحسن الطوية والأخذ بآثار السلف الصالح من التخلق بالدين والعرفان والقناعة والصمت والزهد والورع والنسك والذكر والتلاوة والتنزه عن الأسباب المخلة بالمروءة، بل تفرغ للإفادة عنه والانتفاع به نهارا وللعبادة بالتهجد نافلة ليلا، فبورك له في العمر بامتداده ممتعا ببعض القوى التي يقدر بها على كثير من أنواع الطاعات".[64]

لقد اختصر هذا النص مجموعة من نواحي شخصية الشيخ جسوس من الناحية الأخلاقية والعلمية ، والأوصاف التي جعلت منه عالما موسوعيا أجاد

(64) سلوة الأنفاس 331/1.

وأفاد كل من أخذ عنه من طلبة العلم بشهادة العديد من تلاميذه، وإن المطلع على فهارسهم يلمس ذلك بجلاء. ثم إن التراث العلمي الذي تركه ليشهد بما ورد في النص وأكثر، إذ خلف مكتبة من مصنفاته اعتنى بها العلماء اعتناء شديدا وانتشرت عبر تراب المملكة، فلا تجد مكتبة عامة أو خاصة تخلو من مصنفاته، فقد وقفت على أكثر من عشرين نسخة مخطوطة لكتابه شرح توحيد الرسالة إضافة إلى النسخ التي طبعت على الحجر وهي كثيرة متداولة. وفي ما يلي عرض لمصنفاته، وقد ذكر بعضها ضمن إجازاته لبعض طلبته :

1) شرح خطبة الرسالة وعقيدتها وقد طبع على الحجر[65].

2) شرح على فقه الرسالة وهو مطبوع على الحجر أيضا[66].

3) مقدمة على صحيح البخاري ، وهو مخطوط بالخزانة العامة بالرباط ضمن مجموع برقم 478د، وقد كان يعتني بالصحيح اعتناء خاصا ، فقد كان يقرأه بعد صلاة الصبح بضريح سيدي أحمد بن يحي[67]. وقد نظم الشيخ التاودي بن سودة سنده لصحيح البخاري قائلا:

يا سائلي عن سند للبخاري ما بين سامع وبين قاري
أرويه عن محمد جسوس عن عمه عبد السلام الجسوس
عن شيخه الفاسيِّ عبد القادر عن عمه عن الإمام الماهر
قصار عن رضوان عن سقير عن ابن غازي والسراج مري
محمد عن أبِيهِ عن جَدِّهِ عيسى عن البلفيقي قل من بَعْدِهِ
ابن الزبير عن أبي الخطاب عن أبِيهِ عن صاحب الكتاب
ابن سعادة روى عن صدفي يروي عن الباجي عالي الغرف
عن هروي مستمل عن فربري عن البخاري فاحفظنه وادر[68].

(65) إجازته للشيخ الحضيكي ص : 412.

(66) ذكرته مختلف المصادر مقترنا مع شرحه لتوحيد الرسالة.

(67) سلوة الأنفاس / 3311.

(68) فهرسة التاودي بن سودة ص :6 .

4) شرح مختصر خليل في تسعة أجزاء[69].

5) شرحان على الحكم العطائية[70] كل واحد منهما في جزء، وهما مخطوطان أحدهما بالخزانة العامة بالرباط برقم 2623ك والآخر بالخزانة الحسنية برقم 1208.

6) شرح فقهية عبد القادر الفاسي وقد طبع على الحجر[71].

7) شرح عقيدة فقه ابن عاشر في جزء[72].

8) شرح تصوف ابن عاشر في جزء[73]. وهو مخطوط بالخزانة الحسنية بالرباط برقم 4609.

9) شرح شمائل الإمام الترمذي[74]، وهو مطبوع متداول تتوفر مكتبة كلية أصول الدين على نسخة منه.

10 شرح على منظومة أبي سالم العياشي وهو مخطوط بالخزانة الحسنية بالرباط برقم 2827.

(69) فهرسة الحضيكي ص :412.

(70) فهرسة الحضيكي ص : 412.

(71) فهرسة الحضيكي ص.412.

(72) فهرسة الحضيكي ص.413.

(73) فهرسة الحضيكي ص : 413.

(74) فهرسة الحضيكي ص : 413.

الفصل الثالث

كتاب "شرح توحيد الرسالة"

للشيخ جسوس

اسم الكتاب ونسبته إلى مصنفه

أجمعت كتب التراجم التي ترجمت لمحمد بن قاسم جسوس على نسبة هذا الشرح إليه، بل اقترن اسمه به في غالبية الأحيان. وعرف الكتاب في مختلف الأوساط العلمية ب "شرح الرسالة" لجسوس سواء عند المترجمين العرب أو المستشرقين، فقد ذكره بروكلمان في تاريخه ضمن شروح الرسالة قائلا : "شرح الرسالة لأبي عبد الله محمد بن قاسم جسوس أتمه يوم 13 من ربيع الآخر 1125 هج/ 26 أبريل 1713 م"[1]، أما صاحب السلوة فقد ذكره ضمن مصنفاته:" وألف رحمه الله كتبا جليلة كشرح خليل في تسعة أسفار ضخام والرسالة في أربعة أسفار"[2]. ثم إن المصنف نفسه وفي طيات إجازاته لطلبته كان يذكر مصنفاته إلى جانب تسمية شيوخه، ففي إجازته لتلميذه محمد بن أحمد الحضيكي السوسي يقول: "وفيما كتبناه في ذلك كشرح مختصر خليل رحمه الله في تسعة أجزاء وشرح خطبة الرسالة وعقيدتها في جزء"[3].

وقد ثبت اسم المصنف على أواخر جميع النسخ التي وقفت عليها ماعدا المبتورة الآخر منها، فقد انتهت جميعها بهذه العبارة: "قال مقيده محمد بن قاسم جسوس عفا الله تعالى عنه: هذا آخر ما قصدت جمعه نفع الله به بجاه سيدنا ونبينا ومولانا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين صلوات الله وسلامه عدد ما في علم رب العالمين، ووافق الفراغ من تبييضه عشية الثالث عشر من ربيع الأول سنة خمس وعشرين ومائة وألف، والحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى"، إضافة إلى ثبوته في أوائل بعضها مع اختلاف النساخ والعصور ، وانتشار نسخه المخطوطة منها والمطبوعة على الحجر مما لا يدع مجالا للشك في نسبة هذا المصنف إلى مؤلفه.

(1) تاريخ بروكلمان 289/3.

(2) سلوة الأنفاس 331/1.

(3) فهرسة الحضيكي ص :16.

محتوى الكتاب وأسلوب مصنفه فيه

أ- سبب تأليف الكتاب:

يعتبر هذا الشرح من أهم ما وضع على توحيد الرسالة كما شهد بذلك عدد من الدارسين منهم الدكتور أحمد سحنون[4]، وعن سبب تأليف الكتاب يقول الشيخ جسوس : "فهذا تعليق لطيف على عقيدة رسالة الشيخ الإمام أبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني نفعنا الله به يشتمل على فوائد ونظم جملة وافرة من الفوائد جمعتها من معادنها قاصدا إضافتها إلى ما كنت قيدته من مجلس قراءتي على الشيخ الفاضل العلامة المحقق البركة سليل السراة الأكابر فريد عصره ووحيد مصره شيخنا الأمثل الأحفل الأفضل خاتمة المحققين أبي عبد الله سيدي محمد بن الأستاذ البركة سيدي أحمد بن المسناوي رفع الله قدره وأجزل في الدارين أجره خشية أن يدثر ويطول عليه الزمان فلا يبقى له أثر أو تأكله الأرضة فلا يستوفي الواقف عليه غرضه ، فضمنت جميع ذلك هذه الأوراق حفظا له وصونا وقيدته لنفسي ولمن طلبه مني من الإخوان تذكرة وعونا رجاء أن أجده في مجلس الإملاء"[5].

وبذلك يكون هذا التصنيف موجها بالدرجة الأولى إلى طلبة العلم، خاصة وأن من أهم أسباب تأليفه أن يجده عونا في مجلس الإملاء.

ب- منهج المصنف وأسلوبه في الكتاب:

أما عن منهجه فيه فيصرح أنه أخذه عن أستاذه محمد بن أحمد المسناوي: "إذ كان أعزه الله حين قراءته لها يقرر مذاهب أهل السنة ويضرب

(4) دعوة الحق العدد 3 السنة 21 ص :63 .

(5) شرح جسوس على توحيد الرسالة ص : 2 .

عن كثير مما أطنب فيه الشراح من أقوال المعتزلة وشبههم ويعتمد في ذلك على مذهب أهل الحق ، إذ الكلام مع كل فريق يستدعي طولا وهو اليوم كما قيل ضرب في حديد بارد وجهاد مع غير مجاهد، ولأن كثرة النظر إلى الباطل يكدر صفاء نور القلوب وهو من أكبر العيوب، فأعجبني اختياره فقصدته"[6].

والكتاب لا ينقسم إلى أبواب أو فصول وإنما ينقسم إلى جمل توحيد الرسالة نفسها، فبعد تحديد الجملة المراد شرحها ودراستها يقوم الشيخ بإعطاء لمحة عن سبب إيرادها في مكانها الذي وردت فيه ، ومثال ذلك موضوع البسملة التي افتتح بها ابن أبي زيد رسالته، ثم يقسم الجملة إلى أجزائها المتكونة منها ويشرحها لغويا، لذلك صنف الدكتور الدرقاش الكتاب ضمن الدراسات اللغوية حول الرسالة[7]، ومثال ذلك قوله : "**الخيرة من خلقه**[8]: الخيرة بكسر الخاء وفتح الياء وسكونها اسم مصدر اختار وصف به المرسلين كما يوصف بالمصدر ، وقد سمع رجل فطر وهو اسم مصدر أفطر كما في التصريح، فيجري فيه الخلاف الذي في الوصف بالمصدر كما في قولك رجل عدل فيكون على حذف مضاف على قول البصريين أو مؤولا بالمشتق أي المختارين على قول الكوفيين، أو لا تأويل ولا حذف بل على جعل العين نفس المعنى مجازا أو ادعاء، ويصح أن يضبط خيرة بفتح الخاء والياء جمع خير على غير قياس كبررة جمع بر ، والقياس فاعل وفعلة، وشاع نحو كامل وكملة"[9].

ثم يتطرق إلى مضمون الجملة ويناقشه على ضوء الكتاب العزيز والأحاديث النبوية الشريفة مع عرض آراء الشراح قبله ومواقف المذاهب الكلامية وترجيح مذهب أهل الحق عنده وعند أهل المغرب وهو المذهب

---

(6) شرح جسوس على الرسالة ص : 2.

(7) أبو محمد بن أبي زيد للدرقاش ص : 366–763 .

(8) متن الرسالة ص : 3.

(9)شرح جسوس على الرسالة ص.62 :

الأشعري ومذهب السلف الصالح[10]، دون أن يغفل جانب التصوف في معظم مواضيع الكتاب الذي جاء زاخرا بنصوص كبار المتصوفة كابن عطاء الله السكندري وأبي العباس المرسي وأبي حامد الغزالي وغيرهم، قال صاحب السلوة :"حتى كان تقرير مجلسه في كل علم ممزوجا بالتصوف لامتزاجه بدمه ولحمه"[11]، شأنه في ذلك شأن معظم علماء المغرب ، وكمثال على ذلك تبنيه رأي ابن عطاء الله في مسألة الشكر : "والطاعة بجارحة من الجوارح هي الشكر، واعلم أن الشكر كما في لطائف الممن ثلاثة أقسام، شكر اللسان وهو التحدث بنعم الله تعالى، قال تعالى ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾، وقال عليه السلام " التحدث بالنعم شكر"، وشكر الأركان وهو العمل بطاعة الله تعالى ، قال تعالى ﴿اعملوا ءال داود شكرا﴾، وقام صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه ، فقيل له : أتتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال أفلا أكون عبدا شكورا، وشكر الجنان وهو الاعتراف بأن كل نعمة بك أو بأحد من العباد إنما هي من الله ، قال تعالى ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾[12].

ويعتبر هذا الكتاب دليلا على موسوعية هذا العالم الجليل والمربي الفاضل وبذله المجهود الكبير لتحري الصواب ما أمكنه ذلك، ولا أدل على ذلك من الدقة المتناهية التي طبعت نقله النصوص التي استشهد بها مع كثرة المصادر التي أفاد منها ، فإذا اختصر النص أو حذف بعضه فإنه يشير إلى ذلك في آخره، فقد أشار إلى ذلك مثلا بعد استشهاده بنص من التنوير:" ...وبالعقل ووفوره وإشراقه ونوره تتم مصالح الدنيا والآخرة" انتهى ببعض اختصار[13]، وقوله بعد استشهاده بنص من شرح الحكم لابن زكري :"...لكن لا ينتفي أصل القرب والخصوصية بمطلق العقوق بل بتفاحش العقوق وينتفي بمطلق

(10) انظر مثالا على ذلك ص : –303 – 304 – 305 من المصنف.

(11) سلوة الأنفاس 330/1.

(12) شرح جسوس على الرسالة ص : 27.

(13)شرح جسوس على الرسالة ص : 48.

العقوق كماله، وكلام التنوير منزل على المتفاحش العقوق لقوله: أما علم تكون معه الخ ، وهذا كما قال والله أعلم" انتهى بحذف بعضه.[14]

أما المنهج التعليمي في الكتاب فيتجلى في وضوح اللغة التي كتب بها ثم استشهاد المصنف الكثير بنصوص الكتاب والسنة وأقوال العلماء ، وأيضا أسلوب الحوار وضرب الأمثلة الذي يشد انتباه الطالب إلى أستاذه مثال ذلك قوله: "وقد علمت من هذه الآيات دليل ما ذكره المصنف من أن المولى سبحانه هو المتكفل برزق العباد ، فإن قلت أراني إذا باشرت الأسباب تيسر لي الرزق وحصل لي ما أحتاجه وإذا قعدت عنها فقدت ذلك و لم أتوصل إليه ؟ قلت : هذا صحيح في حقك وفي حق أمثالك الذين أقامهم الله في الأسباب..."[15]، وقوله :" ونظيره أن لزيد مائة درهم أعدها للصدقة فهذا لا يقتضي أن ليس له إلا هذا العدد"[16].

(14) شرح جسوس على الرسالة ص :74.

(15) شرح جسوس على الرسالة ص : 43.

(16) شرح جسوس على الرسالة ص : 160.

نسخ الكتاب الخطية في خزائن المغرب

وفيما يلي وصف النسخ الخطية للكتاب التي تمكنت من الوقوف عليها، وكنت في بداية البحث قد وقفت على تسع نسخ فقط سبع بالخزانة العامة بالرباط ونسخة بمؤسسة علال الفاسي بالرباط ونسخة بالمكتبة العامة بتطوان، وسنة 2000م تمت فهرسة جديدة بالخزانة الحسنية بالرباط شملت خمس عشرة نسخة أخرى للكتاب ومن بينها نسخة بخط العالم الكبير الطيب بن عبد المجيد بن كيران تلميذ الشيخ جسوس، فقمت بمراجعة النص على ضوئها وقدمتها على النسخ التي كنت قد اعتمدتها من قبل، ولا أشك في وجود نسخ خطية أخرى للكتاب ، علمت بوجود بعضها في مكتبات خاصة ، لكن لتعذر وقوفي عليها أحجمت عن ذكرها.

أ- وصف النسخ المعتمدة:

أولا: نسخة الخزانة الحسنية رقم 3908 وهي النسخة الأم ورمزها "ط":

وهي نسخة كاملة مكتوبة بخط مغربي واضح ومشكولة في بعض المواضع، ذات هوامش مليئة بطرر وتعليقات مفيدة ، مسطرتها 27 وعدد صفحاتها368 صفحة، وقد كتب في آخرها: "تم نسخها على يد أفقر العبيد إلى عفو الرحمن الطيب بن عبد المجيد بن كيران وعامله الله بجزيل الإحسان بجاه سيد ولد عدنان من خط شيخ شيوخنا سيدي محمد بن قاسم جسوس أسكنه الله فراديس الجنان ونفعنا به وأنالنا جواره ثم بمحض الامتنان، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وسلم على ممر الأزمان، وفي صبيحة الرابع والعشرين من ربيع الثاني سنة أربع وتسعين ومائة وألف". وقد اعتمدتها أصلا لعدة اعتبارات منها :

1) أنها أقدم النسخ.

2) أنها نسخة واضحة الخط قليلة الأخطاء.

3) أن ناسخها عالم كبير متمكن، وفي نفس الوقت هو تلميذ المصنف وقد صرح في آخر النسخة أنه كتبها من خط شيخه.

ثانيا: نسخة الخزانة العامة بالرباط رقم 2132د ورمزها" أ":

وهي نسخة تامة كتبت بخط مغربي واضح ، مسطرتها 22 وعدد صفحاتها 433 صفحة وقد تم نسخها عام 1204 هج، و لم يذكر إسم الناسخ. وفي الورقة الأخيرة ص : 43—435 كتبت بعض النصوص بخط مغاير للخط الذي كتبت به النسخة وبلون مداد مغير أيضا، ويبدو أن الورقة أقدم من ورق النسخة وقد كتب عليها ما يلي:

"الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما، قد وقفت على هذا التقييد المبارك وتصفحت منه مواضع فألفيته شرحا موفيا بمقاصد المشروح جامعا لأشتات ما تفرق في الشروح مع التحرير والتهذيب ، ولبيان ما في ضمن المتن من الارتباط والترتيب وجلب النصوص المعتمدة والأدلة المصححة لما أراده واعتمده يغني الواقف عليه عن تحمل [] [17] دات وإتعاب الفكر في استخراج زبدة ما طولت به المقيدات، فلقد أغنى وأقنى وقرب وأدنى وجمع من [2] [18] المطروس الحزائر الحسنى فجاء شرحا حافلا في

حلل التقييد [1][19] والتحرير رافعا، وشهد بنجابة مؤلفه ودقة فهمه وحسن تصرفه وأبان ما خفي من تحصيله وأظهر تمكنه من إيضاح العلم وتوصيله

(17) كلمة غير مفهومة.

(18) في الأصل بياض.

(19) في الأصل بياض.

وعرف بطول باعه وسعة اطلاعه أبقاه الله للمومنين نفاعا ولغالب الجهل دفاعا وجزاه عن المسلمين خيرا وأعظم مثوبة وأجرا ورزقنا وإياه فيما نتعاطاه من هذه الصناعة الإخلاص وسلك بنا وبه مسالك عباد الاختصاص آمين والسلام، وكتب عبيد ربه محمد بن عبد الرحمن بن زكري كان له آمين.

"الحمد لله وبمثل ما سطر أعلاه يقول العبد الفقير إلى رحمة مولاه محمد بن أحمد المسناوي كان الله في دنياه وآخره بجاه نبيه ومصطفاه صلى الله عليه وعلى جميع صحابته.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، ومما يناسب المقام حديث ورد في الصحيحين البخاري ومسلم من طرق وهو: "لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله" أي الساعة، صرح بها في بعض الطرق، قال البخاري وهم أهل العلم أي لابتداء الحديث في بعض الطرق بقوله: "من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين"، وبهذا اللفظ نقله العلامة المحقق المحلي في صدر الجمع. ولما جال الفكر في هذا المؤلف البديع المشتمل على نصوص الأئمة وتقارير الشيوخ ، وخاضت القريحة في بحار أسراره وولهت الأذهان في[2] [20] أنواره فإذا هو منبئ ومشتمل على تحريرات وتدقيقات ، جامع لما تفرق في غيره من المؤلفات والمقيدات فجاء تأليفا مفيدا جامعا محررا فائقا رايعا قد ضرب بسهم مصيب.وحاز من المجالس أوفر نصيب ، فجزى الله مؤلفه خيرا وأناله مثوبة وأجرا، قال ذلك وكتبه محمد بن محمد بن حمدون بناني وفقه الله تعالى بمنه آمين".

فإن صحت هذه الوثيقة، يكون الشيخ جسوس بعد إتمامه كتابه "شرح توحيد الرسالة" عرضه على شيوخه الثلاثة محمد بن عبد الرحمن بن زكري ومحمد بن أحمد المسناوي ومحمد بن محمد بن حمدون بناني، وبعد اطلاعهم عليه كتبوا شهاداتهم وتقييمهم لهذا المصنف وكلها تشيد بما جاء فيه وتشهد لمصنفه بالتفقه والتثبت وحسن التأليف.

(20) في الأصل بياض.

ثالثا: نسخة الخزانة العامة رقم 2016د ورمزها "ب":

وهي نسخة تامة مكتوبة بخط مغربي صغير لكنه مقروء، لكن الصفحتين الأولى والثانية تصعب قراءتهما وذلك بسبب الرطوبة التي لحقت عددا من الصفحات الأولى فأصبح المداد باهتا جدا. ومسطرتها 23 وعدد صفحاتها 338 صفحة ، وكتب في آخر صفحة:"ووافق الفراغ منه قرب الزوال يوم الخميس السادس عشر من شهر الله المعظم شائع المولده عام خمس ومائتين وألف على يد كاتبه ولمن شاء الله من بعده الطيب بن أبي يعز الزيادي الطرماج كان الله له لوالديه ولإخوانه ولأشياخه ولأحبته ولجميع المسلمين ، اللهم يا ذا الجلال والإكرام توسلت إليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم أن ترزقنا جنات الفردوس مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وأختم دعائي بالصلاة والتسليم على النبي الكريم ، الله اجبر صدعنا ويسر لكل صالحة أمرنا ولجميع أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وارحمنا ووالدينا ومشيختنا وأحبتنا رحمة عامة مطلقة غير مقيدة متصلة لا تنقطع ، إنك أنت الرؤوف الرحيم وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

يا ساكن الدار لا تنس الرحيل غدا فإن صاحب الدار سوف يرتحل
كتبته بيدي والخط يشهد لي فإني سأتركه غدا وأرتحل".

رابعا : نسخة الخزانة العامة رقم 2026د ورمزها "ج":

وهي نسخة تامة مكتوبة بخط مغربي واضح ، ولون المداد أسود وأحيانا تكتب أسماء الأعلام باللونين الأحمر والأزرق، مسطرتها 22 وعدد صفحاتها 372 صفحة، وعلى هوامشها تعاليق كثيرة ومفيدة تدل على أن ناسخها على علم ودراية. وكتب في الصفحة الأخيرة: "نجز هذا التأليف المبارك بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه الجميل وهو حسبنا ونعم الوكيل و لا حول ولا قوة إلا

بالله العلي العظيم ، على يد الفقير المذنب الحقير الراجي عفو ربه وغفرانه وفضله وإحسانه محمد بن الحاج محمد فتحا بو جندار غفر الله له ولوالديه ولأشياخه ولأحبائه ولجميع المسلمين والحمد لله رب العالمين".

خامسا: نسخة الخزانة العامة رقم 2463 ك، ورمزها "د":

وهي نسخة كاملة كتبت بخط مغربي مائل، إلا أنه واضح مقروء على ورق من الحجم الكبير، مسطرتها 22 وعدد صفحاتها 423 صفحة، تم نسخها على يد عبيد الله أحمد بن عبد الكريم بن عبد الرزاق سنة 1208 هج. وفي الصفحة الأولى كتب: "في ملك محمد بن عبد الحي بن الشيخ عبد الكبير الكتاني الإدريسي الحسني كان الله له"، وفي نفس الصفحة كتبت نصوص شعرية وتعاليق مختلفة.

سادسا: نسخة الخزانة العامة رقم 2924 د ورمزها"هـ":

وهي نسخة كاملة كتبت بخط مغربي واضح وجميل ، مسطرتها 25 وعدد صفحاتها 391 صفحة ، تم نسخها في 22 شوال سنة 1277 هج على يد إدريس ابن محمد الفلاحي.

سابعا: نسخة مؤسسة علال الفاسي رقم 359 ورمزها "ع":

وهي نسخة تامة كتبت بخط مغربي واضح وأنيق، ذات هوامش عليها تعاليق هامة، مسطرتها 24 وعدد صفحاتها 426 صفحة، تم نسخها على يد محمد بن محمد بنعيسى زنيبر عشية يوم الجمعة 22 شعبان الأبرك سنة 1273 هج.

ب- وصف باقي النسخ:

1) نسخ الخزانة العامة بالرباط:

1- النسخة رقم 2022د وهي نسخة مبتورة من قوله:" سألنا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قصر من لؤلؤ"، إلى قوله :" إنه مع كونه مرئيا لا

تدركه الأبصار". وقد كتبت بخط مغربي واضح ، تم نسخها على يد محمد بن علي سنة 1304 هج.

2- النسخة رقم 1073ج، وهي نسخة مختلطة لا يمكن الاستفادة منها إطلاقا.

2) نسخ الخزانة الحسنية بالرباط:

1- النسخة رقم 4300 وهي نسخة كاملة كتبت بخط مغربي ،مسطرتها 25 وعدد صفحاتها 276 صفحة، تم الفراغ من نسخها في 20 جمادى الثانية سنة 1210 هج على يد محمد بن العربي بن عمر.

2- النسخة رقم 10006 وهي نسخة كاملة خطها مغربي ومسطرتها 26 وعدد صفحاتها 352، تم الفراغ من نسخها يوم 8 شوال سنة 1206 هج على يد العربي الزرهوني.

3- النسخة رقم 3385 وهي نسخة كاملة كتبت بخط مغربي مسطرتها 28 وعدد صفحاتها 267 صفحة، ووقع الفراغ من نسخها يوم 2 رمضان سنة 1213 هج على يد أحمد بن الحاج المكي السدراتي السلامي.

4- النسخة رقم 5103 وهي نسخة تامة ، غير أن الأوراق الأولى قد فتكت الأرضة بها، كتبت بخط مغربي مسطرتها 26 وعدد صفحاتها 644، ووقع الفراغ من نسخها سنة 1216 هج.

5- النسخة رقم 5498 وهي نسخة كاملة ، مسطرتها 32 وعدد صفحاتها 902، تم نسخها يوم 16 شوال سنة 1258 هج على يد الحسن بن محمد كنبور.

6- النسخة رقم 11895 وهي نسخة تامة كتبت بخط مغربي ، مسطرتها 26 وعدد صفحاتها 782، ووقع الفراغ من نسخها يوم 20 صفر سنة 1261 هج على يد عبد الله الهاشمي بن الحاج بن محمد حسيس.

7- النسخة رقم 4023 وهي نسخة كاملة ، مسطرتها 25 وعدد صفحاتها320، وقع الفراغ منها يوم 25 ذي القعدة سنة 1204 هج على يد محمد بن عبد القادر ابن أحمد بن شقرون.

8- النسخة رقم 2927 وهي نسخة كاملة كتبت بخط مغربي واضح وجميل، مسطرتها 23 وعدد صفحاتها 934، و لم يذكر اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ.

9- النسخة رقم 477 وهي نسخة كاملة مسطرتها 20 وعدد صفحاتها 025 ، و لم يذكر اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ.

10- النسخة رقم 2415 وهي نسخة كاملة واضحة الخط مسطرتها 17 وعدد صفحاتها 953، و لم يذكر اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ.

11- النسخة رقم 6172 وهي نسخة كاملة مسطرتها 22 وعدد صفحاتها 372، و لم يذكر اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ.

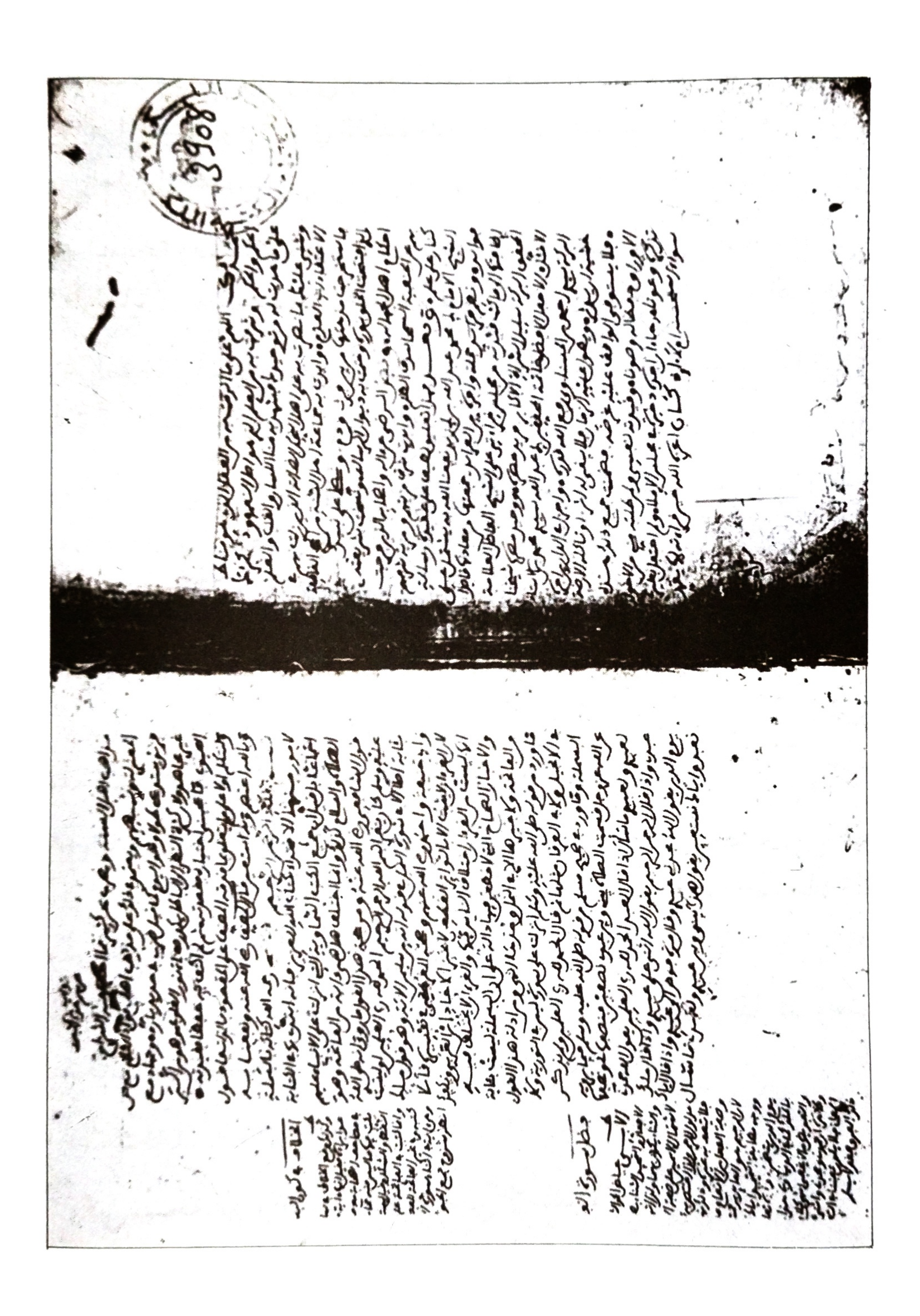
12- النسخة رقم 10299 وهي نسخة مبتورة الآخر، مسطرتها 27 وعدد صفحاتها 191 ، و لم يذكر اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ.

13- النسخة رقم 6395 وهي نسخة مبتورة الآخر، كتبت بخط مغربي غير واضح تصعب الاستفادة منه، مسطرتها 32 وعدد صفحاتها 263 صفحة، و لم يذكر اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ.

14- النسخة رقم 342 وهي نسخة مبتورة الآخر ، مسطرتها 21 وعدد صفحاتها 263 صفحة و لم يذكر اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ.

3) نسخة المكتبة العامة بتطوان:

وهي نسخة غير واضحة الخط لا يمكن الاستفادة منها وهي برقم 769.



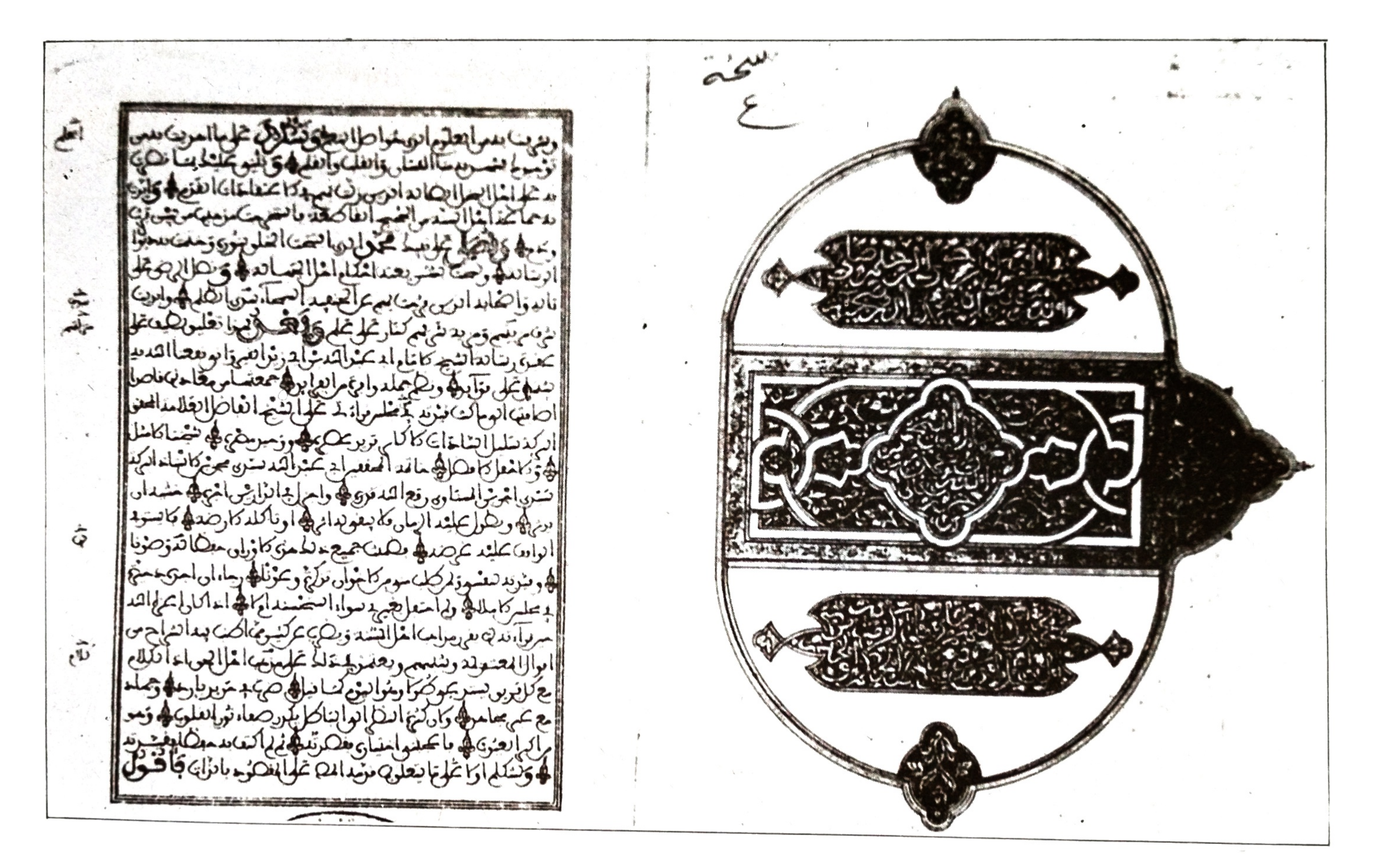
من خط مؤلفه شيخ شيوخنا ابي محمد بن قاسم جسوس

اسكنه الله فراديس الجنان ونفعنا ...

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وسلم ...

... الرابع والعشرين من ربيع الثاني سنة اربع وتسعين ومائة والف

الورقة الأخيرة من نسخة مؤسسة علال الفاسي



الورقة الأولى من نسخة مؤسسة علال الفاسي

143

والناظر اعلم ان الاصحاب فيما رايت متفقون على انكار البدع
نص على ذلك ابن ابي زيد وغيره وابن التفصيل وانها خمسة اقسام
الواجب فعلها في شرح الراصد بمعنا ان اهملت وكيف يكون
التصنيف فيها باب كلها مالم يكن في زمنه صلى الله عليه وسلم بدعة
تجتنب وهو مقبول في داخل الكتاب وفي اتباع السلف الصالح الجماعة
وهم القدوة في تاويل ما تناولوه واستخراج ما استنبطوه فما خالف
عملا ولد السلف الصالح واستنبطه [illegible] غير اهل لما هو هنا فهي من
البدعة التي لم تستند لاصل من اصول الشريعة والله سبحانه اعلم
ثم ختم المصنف هذا الباب بمثل ما افتتح به الخطبة وجميع
الكتاب فقال وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وعلى اله وازواجه
وذريته وسلم تسليما وقد تقدم الكلام على ذلك والله اعلم
قال مقيده محمد بن قاسم [illegible] عفا الله تعالى عنه
هذا اخر ما قصدت جمعه نفع الله به بجاه سيدنا ومولانا
محمد خاتم النبيين وامام المرسلين عليه صلوات الله
وسلامه عدد ما علم رب العالمين ووقع الفراغ من جمعه
تبييضه عشية الثالث عشر من ربيع الاول
من سنة خمس وعشرين بعد مائة والف
والحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين
اصطفى ووافق الفراغ من نسخ هذه
النسخة عشية يوم الاحد الاول
من شهر الله المعظم رمضان
عام اربعة وثمانين والف
والحمد لله رب العالمين

– الرموز المستعملة في التحقيق:

هج : التاريخ الهجري.

م : التاريخ الميلادي.

.../... : إذا ورد الخط المائل في متن النص المحقق فهو يعين نهاية صفحة من النسخة الأم وبداية صفحة جديدة، وإذا كان بين رقمين فما قبله يعين الجزء وما بعده يعين الصفحة من المصدر المعتمد.

ص : صفحة.

طب : طبعة.

م خ ع ر : مخطوط بالخزانة العامة بالرباط.

م خ ح : مخطوط بالخزانة الحسنية.

خ م ع ت : مخطوط بالمكتبة العامة بتطوان.

ط ح : طبعة حجرية.

ط : رمز النسخة الأم.

ع : رمز نسخة مؤسسة علال الفاسي.

أ : نسخة الخزانة العامة بالرباط رقم 2132د

ب : النسخة رقم 2016د.

ج : النسخة رقم 2026د.

د : النسخة رقم 2463 ك.

هـ : النسخة رقم 2924د.

تحقيق نص كتاب

"شرح توحيد الرسالة"

للشيخ محمد بن قاسم جسوس

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

قال الشيخ محمد جسوس رحمه الله تعالى[1]:

نحمدك اللهم على ما أكرمت به من العقل الذي هو مناط الحكم والحكم، وشرفت به من العلم[أ] الذي هو أصل النعم، ونشكرك على ما هديت[ب] له من توحيدك فشهد به منا اللسان والقلب والقلم، ونثني عليك بما نصرت به على أهل النحل الضالة ، الذين زلت بهم في الاعتقادات[ج] القدم، وأيدت به جماعة أهل السنة من الحجج القاطعة، فاستخرجت مذهبها من بين فرث ودم. ونصلي على نبيك محمد الذي افتتحت الخلق بنوره، وختمت به ديوان الرسالة،ونسخت بشريعته أحكام أهل الجهالة. ونصل الرضى عن آله وأصحابه الذين فرجت بهم عن الحنيفية السمحا[د] سرد[2] الظلم، وأبديت شرف مزيتهم [هـ] ومزية شرفهم كنار على علم. وبعد: فهذا تعليق لطيف على عقيدة رسالة الشيخ

أ-في "ع":العلوم .

ب-في "ع":أهديت.

ج-ساقط من "ج".

د-في"د":السمحاء.

هـ-في"أسوسه":منزلتهم، وفي "ب" أضيفت عبارة:"وشرف مزيتهم".

---

(1) من الصفحة الأولى لنسخة مؤسسة علال الفاسي.

(2) سرد: سرد الحديث يسرده سردا إذا تابعه.لسان العرب مادة سرد.

الإمام أبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني[أ]، نفعنا الله به ، يشتمل على فوائد ونظم جملة وافرة من الفرائد جمعتها من معادنها، قاصدا إضافتها إلى ما كنت قيدته من مجلس قراءتي على الشيخ الفاضل، العلامة المحقق البركة، سليل السراة[ب][3] الأكابر،فريد عصره ووحيد مصره، شيخنا الأمثل الأحفل الأفضل، خاتمة المحققين أبي عبد الله سيدي محمد[4] ابن الأستاذ البركة سيدي أحمد بن المسناوي[5] ، رفع الله قدره وأجزل في الدارين أجره، خشية أن يدثر[6] ويطول عليه الزمان فلا يبقى له أثر، أو تأكله الأرضة فلا يستوفي [ج] الواقف عليه غرضه، فضمنت [د] جميع ذلك هذه الأوراق ،حفظا له وصونا. وقيدته لنفسي ولمن طلبه [هـ] مني من الإخوان، تذكرة وعونا رجاء أن أجده في مجلس الإملاء، ولم أحتفل بغيري سواء استحسنه أم لا، إذ كان أعزه الله حين قراءته لها يقرر/[6] مذاهب أهل السنة، ويضرب عن كثير مما أطنب فيه الشراح من أقوال المعتزلة وشبههم،ويعتمد في ذلك على مذهب أهل

أ–ساقط من"ج"و"ط".

ب– في "ع"و"ه" : السادات

ج–في"أ" يستوف.

د– في"أ": فظمنت.

هـ– في"ع":طلب

---

(3) السراة: السادة، جمع سرى. الفائق2/174.

(4) سبقت الترجمة له ضمن شيوخ المصنف.

(5) أحمد بن محمد المسناوي أبو العباس الدلائي، أحد مشاهير علماء المغرب أخذ العلم عن والده وأعمامه، وعنه أخذ ولده أبو عبد الله محمد شيخ المصنف وغيره. ترجمته في سلوة الأنفاس 2/351 شجرة النور الزكية 1/330.

(6) يدثر: دثر الرسم وتداثر، ودثر الشيء يدثر دثورا قدم ودرس، ورجل خاسر داثر وقيل الداثر هنا الهالك، لسان العرب مادة:دثر.

الحق، إذ الكلام مع كل فريق يستدعي طولا ، وهو اليوم كما قيل ضرب في حديد بارد وجهاد مع غير مجاهد،ولأن كثرة النظر إلى الباطل يكدر صفاء نور القلوب [أ] وهو من أكبر العيوب،فأعجبني اختياره فقصدته، ثم لم أكتف به حفظا فقيدته. ولنتكلم أولا على ما يتعلق بما قدمه المصنف على المقصود بالذات، فأقول وبالله أعتصم وبه أستعين: قال المصنف[رضي الله عنه ونفعنا[ب] به]:**بسم الله الرحمان الرحيم**[7]، افتتح رحمه الله كتابه بالبسملة لأمور منها ،الإقتداء بكتاب الله العزيز، فإنه ابتدئ بها في الكتابة إجماعا، بل قيل إن جميع الكتب السماوية التي أنزلت على الأنبياء [عليهم الصلاة والسلام [ج]]كذلك، وإنما [اختلف هل[د]] هي آية من الفاتحة؟ وهو قول الشافعي[8] رضي الله عنه، ومن حجة هذا القول ما روي أنه صلى الله عليه وسلم كان يقرأ "بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين"[9]. أو ليست بآية أصلاً [هـ] إلا في سورة النمل في قوله [و] ﴿إنه من سليمان﴾[10] الآية؛ وهو قول

أ–في "ز": القلوب.

ب– في"ج"و"ه": رحمه الله.

ج– ساقط من "أ".

د– في "ع": اختلف فيها هل.

هـ– ساقط من "ج".

و– في"ب": قوله تعالى.

(7) متن رسالة بن أبي زيد القيرواني ص : 3.

(8) هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الإمام الكبير صاحب المذهب، تتلمذ على الإمام مالك وسفيان بن عيينة، وأخذ عنه أحمد بن حنبل والحسين الكرابيسي وجماعة، له مؤلفات عدة وشعر حسن توفي سنة 204 هج.ترجمته في حسن المحاضرة 304-303/1 وسير أعلام النبلاء10/5-99 ووفيات الأعيان 164-169. ورأيه في المسألة وارد في:

(9) بداية المجتهد لابن رشد 96/1.

(10) سورة النمل آية 30.

مالك[11] وأبي حنيفة[12] وأحمد[13] رضي الله عنهم، وصححه القرطبي[14] في تفسيره قائلا: "لأن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر القطعي لا بخبر الآحاد"[15]. ابن العربي[16] "ويكفيك أنها ليست من القرآن اختلاف الناس فيها والقرآن لا يختلف فيه[17]. "والأخبار الصحاح التي لامطعن فيها

---

(11) هو مالك بن أنس بن مالك أبو عبد الله،إمام دار الهجرة وصاحب المذهب المتوفى سنة 971 هج ترجمته مبسوطة في مختلف كتب التراجم ، كترتيب المدارك1/107-193 والسير8/48-135 والديباج المذهب 1/139-155. وقد ورد رأيه في المسألة في:
- المدونة كتاب الصلاة ص : 46.

(12) الإمام الجليل عالم العراق،النعمان بن ثابت بن زوطي التيمي الكوفي مولى بني تيم،ولد في حياة الصحابة ورأى أنس بن مالك رضي الله عنه لما قدم الكوفة.أخذ عن الشعبي وعطاء بن أبي رباح وجماعة، وعنه روى خلق كثير، توفي شهيدا مسقيا سنة 150 هج. ترجمته في السير6/390-403 وتهذيب التهذيب449-452 10/ وطبقات الحفاظ ص :80-81 وورد رأيه في:
-أحكام القرآن لابن العربي2/1 .

(13) شيخ الإسلام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، أحد الأئمة الأعلام ، سمع سفيان بن عيينة وإبراهيم بن سعد وجماعة ، وعنه حدث البخاري ومسلم وغيرهم توفي سنة 241 هج، ترجمته مبسوطة في تهذيب التهذيب1/72-76 ووفيات الأعيان 1/63-65 والسير11/177-358.

(14) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخز رجي، الأندلسي القرطبي المالكي،صاحب التصانيف، منها الجامع لأحكام القرآن، والتذكرة بأحوال الموتى والآخرة وغيرها.ترجمته في الديباج 314/2 وطبقات المفسرين للداودي وشجرةالنور.1/197.

(15) تفسير القرطبي 93/1.

(16) تهو أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي الإشبيلي المالكي، تفقه بالإمام أبي حامد الغزالي وجعفر السراج وجماعة، من مصنفاته أمهات المسائل وأحكام القرآن ونزهة الناظر، توفي سنة 543 هج، ترجمته في الديباج 314/2 وطبقات المفسرين للداودي -171 167/2 والعبر 125/4.

(17) أحكام القرآن لابن العربي 2/1 .

دالة على أن البسملة ليست بآية من الفاتحة ولا من [أ] غيرها، إلا في النمل وحدها. ومن أدلة هذا القول ما ورد من قوله[صلى الله عليه وسلم [ب]]: "أنزلت علي سورة ليس في التوراة ولا في الإنجيل [ولا في الفرقان مثلها][ج]) ، ثم قال: الحمد لله رب العالمين"[18]، ولم يذكر البسملة، وما ورد في صحيح [د] مسلم [19] من قوله [عليه الصلاة والسلام] [هـ] [فيما يرويه] [و] عن الله عز وجل: "قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين،فنصفها لي، ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل، إذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، يقول الله: حمدني عبدي، وإذا قال: الرحمن الرحيم، يقول الله: أثنى عليَّ عبدي، وإذا قال: ملك يوم الدين، يقول الله: مجدني عبدي، وقال مرة: فوض إلي عبدي، وإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين، يقول الله: [ز] هذه بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل،/ (2) وإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم الآية، يقول: هذه لعبدي ولعبدي ما

أ- في "أ" و"ب":في وسقطت من "د"و"ع"و"ط".

ب- في "ب"و"ه": عليه الصلاة والسلام.

ج- ساقط من "ج".

د- في "أ":حديث، وسقطت الكلمة من "ب"و"ه".

هـ-في "ج" و"د" و"هـ": صلى الله عليه وسلم.

و - في "ب": مما ورد .

ز - سقط اسم الجلالة من "أ" و"ب" و"د" و"ه".

(18) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب تفسير القرآن باب ما جاء في فاتحة الكتاب 146/5 رقم:1، وأحمد في المسند 5/411، والترمذي في السنن كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فاتحة الكتاب 155/5 رقم : 2875، ومالك في الموطأ كتاب الصلاة باب ما جاء في أم القرآن83/1 رقم : 37.

(19) هو الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كوشاذ القشيري النيسابوري صاحب الصحيح، توفي سنة 161 هج ، ترجمته في تهذيب الكمال 68/18-73 وتهذيب التهذيب 126/10-128 ووفيات الأعيان 194/5-196.

سـأل"[20] فلـو كانت البسملة منهـا لبدأ بها. وقوله في هـذا الحديث: قسمـت الصـلاة أي قراءتها، وهي الفـاتحة بدليل آخـر الحـديث، وقوله نصفين أي باعتبار المعنى لا اللفظ، لأن قوله ﴿الحمد لله رب العالمين، الرحمـٰن الرحيم، ملك يوم الدين﴾[21]، ثلاث آيات لله، وقوله ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ إلى قوله ﴿ولا الضالين﴾[22]، ثلاث آيات للعبد، وما بينهما بين العبد ومولاه، قاله المناوي[23]. وبيان ذلـك أن الآيات الثـلاث الأول ثناء، والآيـــات الثـلاث الأخـر مسألة وما بينهما آية واحدة وهي: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾[24]، بعضها ثـنـاء كالذي قبله وهو قوله : ﴿إياك نعبد﴾، لأنها إخلاص وتوحيد وأنه تعالى واحـد في ألوهيـته لا يستحق أن يعبد أحد [أ] سواه، وبعضها سـؤال كـالذي بعـده وذلك ظـاهـر. وقـد أشـار إلى هـــذا الأبـــي[25]

أ– ساقط من "ج".

(20) أخرج الحديث مسلم في صحيحه كتاب الصلاة باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة296/1 رقم 395، وأحمد في المسند 241/2، والترمذي في السنن كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة فاتحة الكتاب 201/5 رقم 2953، وأبو داود في السنن كتاب الصلاة باب من ترك القراءة في صلاته بفاتحة الكتاب 514/1 رقم 128، والنسائي في السنن كتاب الافتتاح باب البداءة بفاتحة الكتاب قبل السورة 135/2 رقم 23.

(21) سورة الفاتحة آية : 1 و2 و3.

(22) سورة الفاتحة آية : 5 و6 و7.

(23) هو عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي المناوي القاهري الشافعي عرف بمؤلفه الذي وضعه شرحا للجامع الصغير المسمى فيض القدير، توفي سنة 1029 هج، ترجمته مبسوطة في البدر الطالع 357/1 وخلاصة الأثر 412/2 وفهرس الفهارس 560/2-562.وانظر القول في:
– فيض القدير 4754.

(24) سورة الفاتحة آية 4.

(25) هو محمد بن خلفة بن عمر التونسي الوشتاني المشهور بالأبي أبو عبد الله، محدث حافظ ناظم، من تصانيفه إكمال المعلم وتفسير القرآن، توفي سنة 828 هج ،ترجمته في نيل الابتهاج ص : 487–488 وتوشيح الديباج ص : 204 –205 والضوء اللامع 182/11.

نقله[أ] عن عياض[26] ونصه: "قوله نصفين، عياض يحتج به لكون البسملة [ليست منها] [ب]، إذ لم يختلف أنها [ج] سبع آيات، ثلاث ثناء وثلاث مسألة، والسابعة وهي ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ وسط بين النوعين، نصفها إخلاص متصل بما قبله ونصفها مسألة [د] متصل بما بعده،[فلو كانت منها] [هـ] لم تكن القسمة بنصفين انتهى[27]. وانظر تمام كلامه، ولكون البسملة ليست آية من سورة [و] الفاتحة كره في مشهور مذهب مالك قراءتها في الفريضة[28]، وقال الشافعي ببطلان صلاة تاركها بناء على مذهبه [ز] أنها آية منها[29]، وكان الإمام المازري[30] من شيوخ المالكية [ح] يبسمل في الفرض سرا، فقيل له في ذلك فقال:" قول واحد في مذهب

أ- في "آ": نقلا.

ب- في "آ"و"ج": ليست بآية.

ج- في"ج": أنه.

د- ساقط من"ب"و"ع".

هـ- في"ع": فلو كانت البسملة منها.

و- ساقط من"ع"و"ط".

ز- ساقط من "آ".

ح- في"ب"و"ع": المذهب.

---

(26) هو أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي ثم السبتي المالكي، صاحب كتاب الشفا والمؤلفات المفيدة إذ لم يكن أحد بسبتة في عصره أكثر تأليفا منه، توفي سنة 544 هج، ترجمته في الديباج 2/46-51 وفهرس الفهارس 2/797-804 وشجرة النور 1/140-141.

(27) إكمال إكمال المعلم 2/265.

(28) المدونة الكبرى كتاب الصلاة ص : 64.

(29) الأم للشافعي 1/108.

(30) هو أبو عبد الله محمد بن علي التميمي المازري المالكي مصنف المعلم بفوائد شرح مسلم من العلماء المتبحرين توفي سنة 536 هج، ترجمته في السير 20/104-107 والديباج 2/250-252 .

مالك إن البسملة لا تبطل الصلاة وقول واحد في مذهب الشافعي إن تركها مبطل للصلاة، ولأن تكون صلاتي صحيحة باتفاق المذهبين أحب إلي من أن تكون باطلة على مذهب باتفاق [أ] صحيحة على مذهب [ب] آخر، فالورع فعلها بقصد الخروج من الخلاف لا بنية فرض ولا نفل، لأن الكراهة في مشهور المذهب إنما هي إذا قرأت بنية الفرض، فإذا قرأت بنية الخروج من الخلاف كانت صحيحة جائزة باتفاق المذهبين، إذ الشافعي لا يشترط نية الفريضة في صحة الصلاة، انظر الزرقاني[31]. ومقابل مشهور المذهب وجوبها وإباحتهاوندبها، ومنها أنها أول ما خطه القلم، أخرج الديلمي[32] عن ابن عباس[33]، مرفوعا: "أول/(3)، شيء كتبه الله في اللوح المحفوظ بسم الله الرحمن الرحيم". وعن عكرمة أنه قال: "كان الله سبحانه [ج] و لا شيء قبله [د] ، فخلق النور وخلق من النور القلم

أ- ساقط من "ا".

ب- ساقط من "أ"و"ج"و"ط".

ج- ساقط من "أ"و"هـ".

د- في"ه": معه.

(31) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي المالكي المصري ، صاحب المصنفات المفيدة منها: شرح الموطأ وشرح البيقونية وشرح المواهب توفي سنة 1122 هج ترجمته في فهرس الفهارس 1/456-457 وسلك الدرر 4/321 وشجرة النور 1/317-318. وقد تعرض إلى هذه المسألة في:

- شرح الزرقاني على شرح الإمام اللقاني الملزمة 2 ص7 (ط ح).

(32) هو شيرويه بن شهردار بن شيرويه بن فناخسرو الديلمي الهمداني أبو شجاع، محدث حافظ مؤرخ، مصنف كتاب الفردوس وتاريخ همدان، ولد سنة 445 وتوفي سنة 509 هج ترجمته في طبقات الحفاظ ص: 457 وسير أعلام النبلاء 19/294-295 والعبر 4/18 وشذرات الذهب4/23-24.

(33) الصحابي الجليل عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وتوفي بالطائف سنة 68 وقيل 71 هج. ترجمته في الإصابة 1414 والاستيعاب 3/934 وأسد الغابة 3/186.

واللوح، ثم أمر القلم أن يكتب قال وما أكتب يا رب؟ قال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم،[..] [أ] فجعلها الله أمانا لخلقه ما داموا على قراءتها". وروي: "إن أول ما كتب في اللوح المحفوظ بسم الله الرحمن الرحيم إني أنا الله لا إله إلا أنا، محمد رسولي ، من استسلم لقضائي وصبر على بلائي وشكر نعمائي ورضي بحكمي كتبته صديقا وبعثته مع الصديقين، ومن لم يستسلم لقضائي و لم يصبر على بلائي[ب] ولم يشكر نعمائي و لم يرض بحكمي، فليتخذ إلها سوائي"[34]. وأخرج الطبراني[35] مرفوعا : "أول ما ألقي علي من[ج] الوحي[د] بسم الله الرحمن الرحيم"[36]، ومن ثم كان عليه السلام[هـ] يصدر بها كتبه للآفاق كما في الصحيحين وغيرهما. وانظر هذا مع ما روي من أنه عليه السلام[و] كان أولا[ز] يكتب بسمك

أ- في"ا": إني أنا الله لا إله إلا أنا.

ب- في"ب": لبلائي.

ج- ساقط من "ب".

د- في"ع": اللوح المحفوظ، وفي"ه": اللوح.

هـ- في"ج": عليه الصلاة والسلام.

و- في"ع": عليه الصلاة والسلام.

ز- ساقط من"ع".

(34) ذكره المناوي في فيض القدير 470/4.

(35) هو الإمام الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني، صاحب المعاجم الثلاثة والمصنفات المفيدة، ولد سنة 260 وتوفي سنة 360 هج، ترجمته في ميزان الاعتدال 195/2 وطبقات المفسرين 204/1-206 وطبقات القراء 311/1 والسير 130-119/16

(36) الحديث الذي أخرجه الطبراني هو :سعن ابن عباس قال: كان جبريل إذا أتى النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن كان أول ما يلقي عليه بسم الله الرحمن الرحيم، فإذا قال جبريل بسم الله الرحمن الرحيم الثانية علم النبي صلى الله عليه وسلم أنه قد ختم السورة. المعجم الأوسط 184/3 رقم 2869.

اللهم حتى نزلت ﴿بسم الله مجراها ومرساها﴾[37] أمر بكتب بسم الله حتى نزلت ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾[38] أمر بكتب بسم الله الرحمن حتى نزل ﴿إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم﴾[39] أمر بكتب البسملة بتمامها"[40] . ومنها العمل بما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من الترغيب في الابتداء بها، روى الخطيب[41] في جامعه عن أبي هريرة[42] "كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو[أ] أقطع[ب] "[43] وعند ابن حبان[44] بلفظ "فهو أجذم"[45]، وروي"كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بسم الله فهو أبتر"][ج]، وليس ثم رواية فيها ببسم الله بباءين بدون

أ– ساقط من "أ".

ب– في "هـ": أبتر.

ج– سقطت هذه الجملة من "هـ".

---

(37) سورة هود آية :41.

(38) سورة الإسراء آية : 109.

(39) سورة النمل آية :30.

(40) ذكره القرطبي في تفسيره 343/10.

(41) الحافظ الكبير أبو بكر بن علي بن ثابت البغدادي المعروف بالخطيب صاحب تاريخ بغداد والجامع لآداب الراوي والسامع وغيرها، ولد سنة 293 وتوفي سنة 463 هج، انظر طبقات الحفاظ ص : 433–435، والوافي بالوفيات 190/7-199 ، والسير 270/18-296.

(42) أبو هريرة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عبد الرحمن وقيل عبد الله على اختلاف في ذلك، من أكثر الصحابة حفظا ورواية للسنة النبوية، توفي سنة 58 وقيل 59 هج، ترجمته في الإصابة 425/7-445 والاستيعاب 1768/4-1772 وأسد الغابة319/5-321.

(43) رواه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع 69/2 رقم1209 باب اتخاذ المستملي، وأحمد في المسند 359/2 وأبو داود في السنن كتاب الأدب باب الهدي في الكلام 261/5 رقم 4840.

(44) هو أبو حاتم محمد بن حبان البستي الشافعي، محدث حافظ صاحب الكتب المشهورة منها الثقات والطبقات الأصبهانية وغيرها توفي سنة 354 هج، انظر ميزان الاعتدال 508-506/3 ولسان الميزان 112/5-115 والسير 92/16-104.

(45) لإحسان بترتيب صحيح ابن حبان باب ما جاء في الابتداء بحمد الله تعالى 102/1.

الرحمن الرحيم، وهي مختومة بقوله فهو أبتر، قاله الفيشي[46]. ولا شك أن تأليف الكتب من أعظم الأمور التي لها بال، لأن التأليف تعليم ونشر للعلم وصيانة للدين فكان افتتاحها[أ] بالبسملة سنة متبعة، ومعنى ذي بال: صاحب شأن أو قلب، فإن البال يطلق بمعنى الشأن والحال وبمعنى القلب، وقوله تعالى ﴿وأصلح بالهم﴾[47] يحتمل المعنيين، أي قلوبهم أو شؤونهم وأحوالهم وصلاحها بصلاح القلب، "إن في الجسد مضغة [إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب"[48]][ب] ؛ ووجه الإضافة على الاحتمال الثاني فهو أن المراد القلب، إن الأمر لكونه شاغلا قلب صاحبه عن سائر الأمور صار كأنه مالك[ج] له، وقيل غير ذلك. ومما له بال ما أشار إليه في المختصر بقوله: وتشرع في غسل وتيمم"[49]الخ. [وحكم التسمية][د] في جميع ما ذكره الندب إلا في الأكل والشرب فالحكم السنية وإلا/(4) في الذكاة فتجب مع الذكر والقدرة في

أ- في"ج"و"ه": افتتاحه.

ب- سقط ما بين المعقوفتين من"أ"و"ب"و"ج".

ج- في"ع"و"ه": ملك.

د-ساقط من "هـ"

---

(46) هو محمد بن محمد محب الدين بن أحمد الفيشي ، أحد أعيان مالكية مصر ، أخذ العلم عن جماعة من علماء عصره منهم اللقاني والأجهوري والتتائي وغيرهم ، من مصنفاته شرح العشماوية توفي سنة 917 هج. ترجمته في نيل الابتهاج ص : 598 وشجرة النور 280/1. وما نسبه له المصنف ورد على الأصح في تفسير الرازي159/1.

(47) سورة محمد آية :2.

(48) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الإيمان باب فضل من استبرأ لدينه 19/1، ومسلم في صحيحه كتاب المساقاة باب أخذ الحلال وترك الشبهات 1219/2 رقم 107 ، وابن ماجة في السنن كتاب الفتن باب الوقوف عند الشبهات 1319/2 رقم3984 ، والدارمي في السنن كتاب البيوع باب في الحلال بين والحرام بين 559/2 رقم2524.

(49) مختصر الشيخ خليل ص : 15.

مذهب مالك، واستدل للوجوب[أ] ولعدمه[ب] بآية ﴿ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق﴾[50] انظر المغني، وخرج بقوله ذي بال شيئان، أحدهما كل منهي عنه ولو نهي كراهة، فتكره في المحرم والمكروه وللقرافي[51] تحرم فيهما[52]، وقيل تكره في المكروه وتحرم في المحرم، انظر التوضيح[53] وقال سعد الدين[54] في شرح عقائد النسفي[55]: "من قال عند الزنى أو شرب الخمر بسم الله يكفر"[56]. وأما الشعر ففيه خلاف وتفصيل، قال الحطاب[57] نقلا عن ابن حجر[58] في فتح الباري :

أ– في"ج": لوجوبه.
ب– في"ب"و"ع": وعدمه.

---

(50) سورة الأنعام آية : 122.
(51) هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس القرافي الصنهاجي الإمام، له تآليف بديعة منها التنقيح والذخيرة وغيرها، توفي سنة 684 هج،ترجمته في حسن المحاضرة 316/1 والديباج 236/1-239 ودرة الحجال 8/1-9 وشجرة النور1 /188—889.
(52) انظر الفروق131/1.
(53) التوضيح 52/1.
(54) هو مسعود بن عمر بن عبد الله التفتزاني سعد الدين ، عالم مشارك في علوم شتى، له تصانيف عديدة منها شرح العقائد النسفية والتلويح في كشف حقائق التنقيح وغيرها، ولد سنة 712 وتوفي سنة 791 هج، انظر بغية الوعاة 285/2 والبدر الطالع 303/2-305 وشذرات الذهب 319/6.
(55) هو عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل النسفي السمرقندي نجم الدين أبوحفص، مفسر متكلم فقيه مشارك في أنواع من العلوم، من تصانيفه العقائد ومجمع العلوم وغيرها، ولد سنة 461 ونوفي سنة 537 هج ترجمته في لسان الميزان 327/4 وطبقات المفسرين للداودي 7/2-9 والسير 126/2-127.
(56) شرح العقائد النسفية ص : 495.
(57) الحطاب: هو محمد بن محمد بن عبد الرحمان المعروف بالحطاب الرعيني، فقيه أصولي مشارك في علوم مختلفة من تصانيفه مواهب الجليل في شرح مختصر خليل وتحرير المقالة وغيرها، ولد سنة 902 هج وتوفي سنة953 وقيل 954 هج، انظر نيل الابتهاج ص : 588 وشجرة النور269/1.

"اختلف القدماء فيما إذا كان الكتاب كله شعرا ، فجاء عن الشعبي[59] منع ذلك، وعن الزهري[60] قال : مضت السنة أن لا يكتب في الشعر بسم الله الرحمن الرحيم وعن سعيد بن جبير[61] جواز ذلك، وتابعه على ذلك الجمهور، قال الخطيب[62] هو المختار"[63].

وقال الحطاب: "قلت وهذا في غير الشعر المحتوي على علم أو وعظ، فهذا لاشك في دخوله في كتب العلم ، وفي غير الشعر المحرم فإن التسمية لا تشرع في الأمر المحرم"[64]. والثاني كل محتقر طبعا وعادة وإن كان من قبيل المباح شرعا، وإنما لم تطلب التسمية في الأول تنزيها لاسم الله تعالى، وفي الثاني تيسيرا للعباد وتسهيلا عليهم ، وإلا لكانت التسمية مطلوبة مع كل حركة وسكون وفي ذلك حرج، وإنما كان الثاني خارجا من[أ] الحديث

أ- في"ج"و"د"و"ع": عن.

---

(58) هو شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد الكناني العسقلاني ثم المصري الشافعي ، مصنف فتح الباري وتهذيب التهذيب وغيرها ولد سنة 773 وتوفي سنة 852 هج، ترجمته في حسن المحاضرة 1/363-366 والبدر الطالع 1/87-92 والضوء اللامع 2/36-40.

(59) هو عامر بن شراحيل الشعبي أبو عمرو الكوفي، ولد لست خلت من خلافة عمر على المشهور، روى عن أسامة بن زيد وأنس بن مالك وجماعة من الصحابة ، توفي سنة 103 هج، ترجمته في تهذيب التهذيب 5/65-69 وطبقات الحفاظ ص : 40 ووفيات الأعيان 3/12-16.

(60) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث القرشي الزهري أبو بكر المدني، روى عن ابن عمر وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك ، وعنه عطاء بن أبي رباح وجماعة، ولد سنة 51 وتوفي سنة 123 هج، ترجمته في ميزان الاعتدال 4/40 وتهذيب التهذيب 9/445-451 والسير 5/326-350.

(61) هو سعيد بن جبير بن هشام أبو محمد أو قيل أبو عبد الله الأسدي الكوفي ، روى عن ابن عباس وعائشة وجماعة من الصحابة ، قتله الحجاج وهو ابن تسع وأربعين سنة عام 92 هج. ترجمته في طبقات الحفاظ ص38 : وتهذيب التهذيب 14 4/11- والسير 4/321-343.

(62) الجامع لأخلاق الراوي والسامع 1/264.

(63) مواهب الجليل 1/11 عن ابن حجر في فتح الباري 1/9.

(64) مواهب الجليل 1/11.

لأن تنوين بال للتعظيم ، أي بال وشأن يهتم به ، وظاهر الحديث أن التسمية مطلوبة في كل ما ليس بمنهي عنه ولا محتقر طبعا ولا عادة وانظر في ذلك، وقد ذكر[أ] في التوضيح(65) بأن التسمية لا تشرع في الأذان والحج والذكر [والدعاء وعلى هذا][ب] فالأفعال باعتبار التسمية ثلاثة أقسام، ومعنى أقطع وأجذم وأبتر هنا ناقص البركة غير معتد به شرعا، أي من حيث كماله، وهو من التشبيه البليغ في العيب المنفر بحذف الأداة، بمعنى أنه ناقص معنى كنقصان المتصف بهذه الأوصاف حسا، فإن الأقطع من قطعت يداه أو أحدهما، والأجذم من ذهبت أصابع كفيه[ج] ، والأبتر مقطوع الذنب، فهو من تشبيه الأمور المعنوية بالمحسوسة[د] للإيضاح والبيان، وسياق الأمر بالابتداء بالبسملة هذا المساق أسرع للامتثال من أن لو قيل مثلا ابدءوا بالبسملة كل أمر مهم كما هو بين، وفي الحديث إشارة إلى أن المطلوب من العبد إذا أراد أن يحاول أمرا[هـ] من الأمور أن يلجأ فيه إلى الله (5)/ سبحانه الذي بيده تيسير كل عسير، وأن يستحضر عجزه وضعفه وفاقته فيتم توجهه إلى الله وانحياشه بالقلب إليه ، فكأنه يقول بسم الله أفعل كذا لا بحولي وقوتي، فإن ذلك أقرب إلى النجح وحصول المطلوب، ﴿إنما الصدقات للفقراء﴾(66)وعلى قدر تمكن هذا المعنى من قلب العبد تنفعل له الأشياء، ولذلك قالوا بسم الله من العارف بمنزلة كن

أ- في"ب"و"ط"و"ع": صرح

ب- ساقط من "ب"و"ع".

ج- في "ع": كفه.

د- في "ج": بالحسية.

هـ- في "ا": أمر.

(65) التوضيح 52/1.

(66) سورة التوبة آية : 60.

من الله، وأما من يفزع في أموره إلى نفسه [وعقله ويركن إلى قوته وحوله فإنه يوكل إلى نفسه] [أ] فلا ينجح له مطلب[ب] ولا يتيسر له مأرب ولا تحمد عاقبة أمره إن لم يأخذ المولى جل جلاله بيده، فعلى المؤمن أن يكون في أموره معتمدا على ربه معتصما به من شر شيطانه ونفسه ، وإلا فالشيطان لإفساد أعماله بالمرصاد، والله ولي التوفيق. ثم اعلم أن الكلام على البسملة مع قلة كلماتها طويل عريض، لأن لغالب الفنون العلمية تعلقا بها، فأهل الرسم تكلموا على حذف ألف اسم، وألف اسم الجلالة وألف الرحمن، وأهل البيان تكلموا على إنشائيتها وخبريتها وتقديم متعلق الباء وتأخيره وتقديم العلم على الوصفين بعده، والوصف الأول على الثاني ، وأهل الأصول تكلموا على كونها آية من الفاتحة أم لا، وأهل التصريف تكلموا على لفظ الاسم [ج]، هل هو من الأسماء التي حذفت أوائلها أو إعجازها، وأهل النحو على إعرابها وما يجوز فيها من أوجه الإعراب، وهل اسم[د] الجلالة منقول أو مرتجل، وهل الرحمن صفة أو علم، وأهل الفقه تكلموا على حكم الابتداء بها وقد تقدم، وأهل أصول الدين تكلموا على ما فيها من الأوصاف، هل هي راجعة إلى صفة قديمة وهي إرادة الإنعام أو أمر حادث وهو الإنعام، ولطول الكلام عليها أفردها الناس بالتصنيف فأغنانا ذلك عن تتبع مسائلها، ورأينا أن نقتصر من ذلك على ما تمس حاجتنا إليه حسبما ظهر في الوقت؛ فنقول: الباء في البسملة متعلقة بمحذوف والأولى أن يقدر فعلا لأن الأصل في العمل للأفعال مؤخرا ليفيد أن المقصود الأهم هنا هو البداية [هـ] باسمه تعالى

أ- سقط ما بين المعقوفتين من "ب"و"ع".

ب- في "أ" مطلوب.

ج- في "ج" اسم.

د- ساقط من "ا".

هـ- في "أ" البداية .

وليدل على الاختصاص فيكون فيه رد على المشركين في ابتدائهم بأسماء آلهتهم من مادة ما جعلت التسمية مبدأ له كالتأليف هنا، فيقدر: أصنف أو أؤلف ليفيد تلبس الفعل[أ] جميعه /(6) بالتسمية لا من مادة الابتداء لأنه لا يفيد[ب] إلا تلبس الابتداء فقط بها وهي للاستعانة، وباء الاستعانة هي الداخلة على آلة الفعل نحو كتبت بالقلم فهي لبيان أن ما بعدها معين للفاعل في صدور الفعل أو محصل له أو للمصاحبة والملابسة وهي التي لا يصلح في موضعها "مع"ويغني عنها وعن مصحوبها، الحال نحو ﴿اهبط بسلام﴾[67] أي[ج] مع سلام أو مسلما، والمقصود من المصاحبة هنا التبرك وإرادة الانتفاع،والمراد بالاسم هنا ما يقابل الفعل والحرف، وفي إضافته إلى اسم الجلالة فائدتان:الأولى الإشارة إلى أن التبرك والاستعانة بجميع أسماء الله،لأن المفرد المعرف بالإضافة يفيد العموم كالجمع، فمعنى بسم الله:بكل اسم دال على الله، أي الذات العلية، فالاسم بمعنى اللفظ وإضافته إلى الجلالة من إضافة الاسم إلى المسمى لا من إضافة العام للخاص[د] كما في الحطاب[68]،لأن مدلول الأول اللفظ، ومدلول الثاني الذات العلية لا اللفظ بدليل وصفه بالصفتين بعده، والثانية الإشارة إلى أن التعلق باسمه تعالى الدال عليه كاف في نيل المطالب وتحصيل المآرب ولا يتوقف على ما فوقه، انظر

أ- ساقط من "ا".

ب- في "أ": أيفد.

ج- في "أ"و"ط": أو.

د- في"ع"و"ه": إلى الخاص.

---

(67)سورة هود آية : 48.

(68) مواهب الجليل 11/1.

الشنواني[أ] [69]في شرح مقدمة زكرياء[70]. واسم الجلالة الجمهور على أنه علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد الخالق للعالم[ب] فهو دال عليه دلالة جامعة لمعاني أسماء الله الحسنى وما سواه خاص بمعنى، فلذا تضاف إليه جميع أسماء الله الحسنى ، فيقال الرحمن من أسماء الله تعالى وكذا الباقي، ولا يضاف هو إلى شيء وهو أعرف المعارف. الحطاب "حكى ابن جني[71] أن سيبويه[72] رئي بعد موته فقيل له ما فعل الله بك؟ فقال خيرا وذكر كرامة عظيمة، فقيل له بم؟ فقال بقولي إن اسم الله تعالى أعرف المعارف"[73] وقد قيل إنه اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وعدم الإجابة به لكثيرين لعدم اجتماعهم لشرائط الإجابة التي من جملتها تفريغ القلب للاستغراق في معناه وأكل الحلال. وقيل هو ﴿الحي القيوم﴾[74]،

أ- في"ج": السنوسي.
ب- في"ج": العالم.

(69) هو أبو بكر بن إسماعيل بن شمس الدين الشنواني الإمام ، انتهت إليه رياسة العلم بمصر، أخذ عن جماعة من العلماء منهم إبراهيم بن عبد الرحمن العلقمي، له عدة مصنفات منها شرح مقدمة الشيخ زكرياء وشرح الأجرومية وغيرها، توفي سنة 1019 هج، ترجمته في شجرة النور 289/1 وكشف الظنون 1035/2-1036.

(70) قاضي القضاة بالديار المصرية، زكرياء الأنصاري العالم المعمر الذي انفرد في وقته بعلو الإسناد، من مصنفاته الإعلام بأحاديث الأحكام، توفي سنة 925 وقيل 926 هج، ترجمته في الضوء اللامع 234/3 والكواكب السائرة 196/1-209 وفهرس الفهارس 457/1-459.

(71) هو أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي إمام العربية صاحب التصانيف منها التلقين في النحو وإعراب الحماسة وغيرها، ولد سنة 330 وتوفي سنة 392 هج، ترجمته في السير 19-17/17 وبغية الوعاة 132/2 وشذرات الذهب 140/3.

(72) هو أبو بشر عمرو بن عثمان الفارسي البصري، طلب الفقه والحديث ثم أقبل على العربية فبرع وأصبح إماما في النحو، عاش نحو الأربعين عاما توفي سنة 180 هج، انظر السير 352-351/8 وبغية الوعاة299/2 ووفيات الأعيان 487/1-488.

(73) مواهب الجليل 11/1.

(74) سورة البقرة آية 253 وسورة آل عمران آية 1 وسورة طه آية 108.

قال النـووي[75] : ولذلك لم يرد في القرآن إلا في ثلاثة مواطن ، البقرة وآل عمران وطه، واستنبط هذا بعضهم [أ] من حديث أخرجه ابن ماجة[76] وغيره عن أبي أمامة[77] رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال"إنه في ثلاث سور في البقرة وآل عمران وطه"[78] وفيه نحو الأربعين قولا/(7). والرحمن الرحيم قال البيضاوي[79] : "إسمان بنيا للمبالغة من رحم كالغضبان من غضب والعليم من علم"[80] بمعنى أنهما من أمثلة المبالغة لا من الصفات المشبهة إذ لا مبالغة فيها ، وإنما هي دالة على الثبوت الذي هو[مقابل الحدوث][ب] ، واحتمـال أنه أطلق الـمبالغة على الثبوت [ج] بعيد

أ- ساقط من "أ"و"ب".

ب- في "ب"و"ع"و"ه": المقابل للحدوث.

ج- في "أس": الحدوث.

(75) هو يحي بن شرف بن مري بن حسن بن حسين النووي الدمشقي الشافعي محيي الدين أبو زكرياء، المحدث الحافظ الزاهد مصنف الأربعين النووية ورياض الصالحين وغيرها، ولد سنة 631 وتوفي سنة 677هج، انظر تذكرة الحفاظ 250/4 وشذرات الذهب 354/5-356 والنجوم الزاهرة278/7.

(76) هو أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة صاحب السنن، وذو التصانيف النافعة والرحلة الواسعة،توفي سنة 275 وقيل 285 هج، ترجمته في تهذيب التهذيب /5309-532 وتذكرة الحفاظ 636/2-637 وطبقات الحفاظ ص : 283.

(77) هو صدي بن عجلان بن الحارث بن معن بن مالك الباهلي أبو أمامة مشهور بكنيته، شهد أحدا وسكن الشام وكان آخر من مات بها من الصحابة، وذلك سنة 86 هج انظر الإصابة 420/3-421 وأسد الغابة 16/5 وصفة الصفوة 733/1.

(78) رواه ابن ماجة في السنن كتاب الدعاء باب اسم الله الأعظم 1267/2 رقم 3856 وهو موقوف، والحاكم في المستدرك كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والذكر 684/1 رقم 1861.

(79) هو عبد الله بن عمر بن محمد بن علي البيضاوي الشيرازي الشافعي ناصر الدين أبو سعيد، عالم مساهم في علوم عديدة من فقه وتفسير ومنطق، له تصانيف مفيدة منها منهاج الوصول إلى علم الأصول وأنور التنزيل وغيرها، تـوفي سنة 685 هـج، ترجمتـه في بغية الوعـاة50/2-51 وطبقـات المفسرين للـداودي 248/1-249 وشذرات الذهـب 392/5-393.

(80) تفسير البيضاوي 19/1.

لا دليل عليه، وعلى هذا فلا حاجة إلى ما ذكره الحطاب[81] وغيره [أ] من ادعاء التحويل إلى فعل بضم العين، أو تنزيل المتعدي منزلة اللازم، إلا أنه يرد أن يقال إن النحاة لم يعدوا [ب] فعلان من أمثلة المبالغة فيقال يرد ذلك عليهم لأن أهل اللغة قالوا في نومان هو[ج] الكثير النوم، أو يقال إن النحاة لم يدعوا [د] الحصر، نعم يرد [هـ] أن يقال إن استعمال فعلان وفعيل للكثرة قليل فكيف تخرج عليه البسملة ، الله أعلم. قال الحطاب: "واختلف في تفسير الرحمة، فقيل هي رقة وانعطاف يقتضي التفضل والإحسان، ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها، فهي في حق الله تعالى[و] مجاز عن الإنعام"[82]. قال الرازي[83]إذا وصف الله تعالى بأمر و لم يصح وصفه بمعناه يحمل على غاية ذلك، وهي على هذا القول من صفات[ز] الأفعال"[84]. وقيل الرحمة إرادة الخير فوصفه تعالى بها على هذا القول حقيقة، وهي حينئذ صفة ذات.قال الطيبي[85]

أ- ساقط من "ع".
ب- في "ب": يعدوه.
ج- في "ع": إنه.
د- في"ب": يدعوه.
هـ- ساقط من "ب".
و- ساقط من "أ"و"ب".
ز- في "ع": صفة.

(81) مواهب الجليل 12/1.
(82) مواهب الجليل 11/1.
(83) بل هو الرازي المفسر المشهور صاحب مفاتيح الغيب.
(84) نحوه في التفسير الكبير 183/1.
(85) هو الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي شرف الدين ، له مساهمات في شتى أنواع العلم من تصانيفه مقدمة في علم الحساب والخلاصة في أصول الحديث وغيرها توفي سنة 743 هج. ترجمته في الدرر الكامنة 68/2-69 وبغية الوعاة 522/1-523 والبدر الطالع 230-229/1 وشذرات الذهب 137/6-138.

"وكلا القولين منقول"[86]. وذكر السمين[87] في[أ] إعرابه القولين وقال:"الظاهر الثاني"[88]. وذهب الزمخشري[89] إلى الأول، قال في التصريح "كلام الصحاح[90] نحو كلام الزمخشري" [وقد تبع الزمخشري] [ب] جماعة منهم البيضاوي[91] وابن عرفة[92]، بل نقل الأبي عن ابن عرفة أنه قال : "كل مجاز له حقيقة إلا هذا يعني الرحمن، فإن الرحمة العطف، فهو مجاز لا حقيقة له[93]. ونسب بعضهم القول الثاني لأبي

أ- في"أ"و"ب": له في.

ب- سقط ما بين المعقوفتين من "ب" وفي "هـ": تبعه.

(86) حاشية الطيبي على الكشاف 36/1.

(87) هو أحمد بن يوسف بن عبد الدائم بن محمد الحلبي نزيل القاهرة المعروف بالسمين، نحوي مفسر فقيه من تصانيفه تفسير القرآن الكريم وإعراب القرآن وشرح الشاطبية وغيرها، توفي سنة 756 هج، ترجمته في طبقات القراء 152/1 وبغية الوعاة 402/1 وشذرات الذهب د- سقط ما بين المعقوفتين من "ب" وفي "هـ": تبعه.

(88 إعراب القرآن للسمين 9/2.

(89) هو أبو القاسم محمد بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري الإمام الكبير اللغوي والنحوي والمفسر صاحب الكشاف في التفسير والمفصل في النحو، عرف بدعوته للاعتزال خاصة في كتابه الكشاف، توفي سنة 530 هج، ترجمته في طبقات المفسرين 320-314/2 ووفيات الأعيان 168/5-174 ولسان الميزان 4/6-5 وميزان الاعتدال 8/4-7. ورأيه في المسألة في:

– الكشاف 44/1-45.

(90) الصحاح للجوهري 1929/5 ، وفيه : "الرحمة الرقة ، والتعطف والمرحمة مثل ذلك".

(91) تفسير البيضاوي 1/91.

(92) هو محمد بن محمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي المالكي، فقيه أصولي له مصنفات عديدة منها مختصر الفرائض والشامل وغيرها، توفي سنة 803 هج، ترجمته في بغية الوعاة229/1-230 ونيل الابتهاج ص : 274–279 والضوء اللامع 240/9-242 وشجرة النور 297/1. وقد ورد رأيه في المسألة في :

– تفسير ابن عرفة ظهر الورقة رقم 5. (م خ ع ر برقم 2028 ك)

(93) تفسير ابن عرفة الورقة رقم 6.

الحسن[94]. الأشعري[أ] والأول للقاضي أبي بكر الباقلاني[95]، قال ومنشأ القولين أن من رحم شخصا أراد به الخير ثم فعله به، فالأول أخذ المجاز المقصود والثاني أخذ المجاز الأقرب"، فجعل الرحمة مجازا على كلا[ب] القولين، ومما يتعين فيه المعنى الأول قوله تعالى ﴿هذا رحمة من ربي﴾[96] أشار إلى السد، وقوله تعالى[ج] ﴿وهب لنا من لدنك رحمة﴾[97]، وقوله ﴿فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا﴾[98]، وقوله في الحديث القدسي : "إن رحمتي سبقت غضبي"[99]، لأن السبقية لا تعقل إلا بين الحوادث، ويحتمل أن معنى سبقت غلبت، قال المناوي:" أي غلبت عليه/8 بكثرة آثارها ، ألا ترى أن قسط الخلق من الرحمة أكثر من قسطهم من

أ- ساقط من"أ".

ب- في "ب"و"د"و"ط": كل من.

ج- ساقط من "ب"و"ع"و"ه".

---

(94) هو علي ابن إسماعيل بن إسحاق بن سالم الأشعري اليماني أبو الحسن المالكي، متكلم مشارك في العلوم، تنسب له طائفة الأشعرية، من تصانيفه مقالات الإسلاميين ومجرد مقالات الأشعري وغيرها، توفي سنة 330 هج، ترجمته في السير 85/15 ووفيات الأعيان 284/3 وشذرات الذهب 303/2-305.

(95) هو محمد بن الطيب بن عمر بن جعفر بن القاسم البصري أبو بكر المعروف بالباقلاني المالكي متكلم على مذهب الأشعري، من تصانيفه إعجاز القرآن وأسرار الباطنية وغيرها،توفي سنة 403 هج، ترجمته في السير 246/21 ووفيات الأعيان 609/1 وشذرات الذهب 168/3-169.

(96) سورة الكهف آية :94.

(97) سورة آل عمران آية :8.

(98) سورة الكهف آية : 64.

(99) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التوحيد باب قوله تعالى ﴿بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ﴾ 216/8، ومسلم في الصحيح كتاب التوبة باب سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه 2107/3-2108 رقم 14 و61 ، وابن ماجة في السنن كتاب الزهد باب ما يوحى من رحمة الله يوم القيامة 1435/2 رقم 4295.

الغضب لنيلهم إياها بلا استحقاق، ولأن التكليف مرفوع عنهم إلى البلوغ، ولأنه تعالى[أ] لا يعجل عليهم بالعقوبة إذا عصوه بل يرزقهم ويقبل توبتهم"[100]، وقوله في الحديث :"إن الله تعالى خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة ، فأمسك عنده تسعا وتسعين رحمة ، وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة، فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ، ولو يعلم المؤمن بالذي عند الله من العذاب لم يأمن النار"[101] رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة، ورواه مسلم والإمام أحمد في مسنده عن سلمان[102]، وابن ماجة عن أبي سعيد[103] بلفظ:"إن الله خلق يوم خلق السماوات والأرض مائة رحمة، كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض فجعل منها في الأرض رحمة فيها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير[ب] بعضها على بعض، وأخر[ج] تسعا وتسعين، فإذا كان يوم القيامة

أ- في "ج": لأن الله. (00 فيض القدير 259/2.

ب- في "أ": الطيور.

ج- في"أ":أقر.

---

(100) فيض القدير259/2 .

(101) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الرقائق، باب الرجاء مع الخوف 183/7 ومسلم في الصحيح كتاب التوبة باب سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه 2109/3 رقم 23 وأحمد في المسند 334/2 و484 ، والترمذي في السنن كتاب الدعوات باب خلق الله مائة رحمة 549/5 رقم 3541 و3542.

(102) هو أبو عبد الله سلمان الفارسي، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعرف بسلمان الخير،كان يطلب دين الله ويتبع من يرجو ذلك عنده حتى من الله عليه بالإسلام، توفي سنة 35 وقيل 36 هج، ترجمته في الاستيعاب 634/2 وأسد الغابه 265/2.

(103) الصحابي الجليل سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة بن عبيد الأنصاري الخدري، من الحفاظ المكثرين من الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، خرج في غزوة بني المصطلق وهو ابن خمس عشرة عاما، توفي سنة 74 هج، ترجمته في الإصابة 174/7 والاستيعاب 1672-1671/4 وأسد الغابة 142/5.

أكملها بهذه الرحمة"[104]. قيل ومما يتعين فيه المعنى الثاني قوله تعالى ﴿ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما﴾[105] فإن هذا ظاهر في معنى الإرادة بدليل عطف قوله وعلما عليه، قيل وفيه نظر، وهو على القولين إما مجاز مرسل من إطلاق السبب على المسبب أو الملزوم على اللازم، أو استعارة تمثيلية بأن يشبه حاله تعالى بحال ملك عطف على رعيته ورق لهم فعمهم معروفه،فأطلق عليه وأريد غايته التي هي فعل أو إرادة فعل كما مر لا مبدأه الذي هو انفعال[أ]، قال بعض المحققين: وحاول بعضهم جعله حقيقة شرعية أو عرفية لكثرة الإطلاق من دون قرينة، والرحمن أبلغ من الرحيم قياسا، لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى غالبا كقطع وقطع، وسماعا باعتبار الكمية ، ولذلك قيل يا رحمن الدنيا لأنه يعم المؤمن والكافر، ورحيم الآخرة لأنه يخص المؤمن وباعتبار الكيفية وعليه قيل يا رحمان الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا لأن النعم الأخروية كلها عظيمة، وأما نعم الدنيا فمنها العظيمة ومنها [ما لا][ب]، فهو يستعمل تارة [للكثرة في][ج] الكمية كما في الوجه الأول وتارة للكثرة في الكيفية كما في الوجه الثاني، فإن كان مستعملا في البسملة على الوجه الأول ففائدة ذكر الرحيم بعد الرحمن كذكر البعض(9)/ بعد الكل بيان الاعتناء بشأن المؤمنين وتحقيق شمول الرحمة لهم بتكرير ما يدل على رحمتهم، أو أن نعم الدنيا لما كانت سابقة قدم ما يدل عليها وإن كان مستعملا على الوجه الثاني فوجه

أ- في "ب": الانفعال.

ب- ساقط من "أ".

ج - ساقط من "ب".

---

(104) رواه ابن ماجة في السنن كتاب الزهد باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة 1435/2 رقم 4294 والدارمي في السنن كتاب الرقائق باب إن لله مائة رحمة 627/2 رقم 2788.

(105) سورة غافر آية 7.

الترتيب بينهما مع أن القياس يقتضي الترقي كما يقال عالم نحرير وجواد فياض، إن الرحمن لما دل على جلائل النعم وأصولها ذكر بعده الرحيم ليتناول ما لطف ودق منها، فهو من باب التتميم ، وهو تقييد الكلام بتابع يفيد مبالغة ، قاله الزمخشري(106). وقيل الرحيم أبلغ من الرحمن لأن فعيلا للصفات الغريزية ككريم وشريف بخلاف فعلان كغضبان وسكران فهو للأمور العارضة وعليه فوجه الترتيب ظاهر، وضعفه السعد بأن ذلك ليس من صيغة فعيل بل من باب فعل بالضم" (107). و قيل كل منهما خاص بشيء، فالرحمن اسم مقتض لإيجاد الخلق فلذلك لا يتسمى به غير الحق ومن تسمى به هلك، والرحيم مقتض لإمداد الخلق بقوام وجودهم ويجوز إطلاقه على المخلوق، لأن الإمداد يصح في حقهم ولذلك وجب شكرهم على ما وصل منهم، وهذا والله أعلم معنى قول من قال: الرحمن المنعم بما لا يتصور جنسه من العباد، والرحيم المنعم بما يتصور منهم، ويدل لهذا القول ما ورد في دعاء قضاء الدين بلفظ:"اللهم فارج الهم كاشف الغم مجيب دعوة المضطرين رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما أنت ترحمني فارحمني برحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك"(108). رواه الترمذي(109) والحاكم(110) في المستدرك، ووجه الترتيب بينهما على هذا القول والله

(106) ورد معناه في الكشاف 45/1.

(107) شرح العقائد النسفية للتفتزاني ص : 59.

(108) رواه الحاكم في المستدرك كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر 696/1 رقم 1898.

(109) هو محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك الإمام الحافظ الترمذي الضرير مصنف كتاب الجامع وكتاب العلل، المتوفى سنة 279 هج، ترجمته في تهذيب التهذيب 387/9-389 وميزان الاعتدال 678/3 وسير أعلام النبلاء 270/13-277.

(110) هو أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدون بن نعيم النيسابوري الحافظ الكبير صاحب المستدرك على الصحيحين، عرف بالعلم والحفظ والزهد، توفي سنة 405 هج. ترجمته في ميزان الاعتدال 608/3 وطبقات الشافعية 155/4-171.

أعلم صار كالعلم من حيث إنه لا يوصف به غيره تعالى، فأخرت الصفة وتقدم العلم ووسط ما هو كالواسطة، بل قيل إنه علم ويصلح هذا توجيها للترتيب المذكور على القول الأول أيضا والله أعلم.

وإذا علمت ما تقدم تحصل لك أن معنى البسملة أنه [لا يستحق][أ] أن يستعان[أو لا يتبرك] [ب] إلا بذكر أسماء الله أي الذات الذي هو واجب الوجود المعبود الحقيقي مولى النعم كلها عاجلها وآجلها، جليلها ودقيقها فضلا منه ورحمة، وبهذا تعلم أن البسملة تدل على أن المستعان به هو من له هذا الفضل العظيم وهو المنعم بإيجاد كل موجود وبإمداد كل موجود ما دام له وجوده، وإلى هذا أشار في الحكم بقوله: " نعمتان ما خلا موجود منهما ولا بد لكل مكون منهما نعمة/(10) الإيجاد ونعمة الإمداد"[111]. ومن عرف أنه تعالى الرحمن الرحيم لا غيره أنتج له لزوم الافتقار ودوام الاضطرار في جميع الحالات وعموم اللحظات كما قال القائل:

إني إليك مع الأنفاس محتاج لو أن في مفرقي الإكليل والتاج[112]

لتحققه بأنه هو[ج] المنعم لا غيره[د] وأنه المنعم بكل إنعام في الدنيا والآخرة، وفي اختصاص البسملة بصفتي الرحمن الرحيم إشارة إلى سبق الرحمة وغلبتها على أضدادها وعدم انقطاعها رأفة ورحمة،

أ- ساقط من "ج" و"د" و"ط".

ب- ساقط من "ج"، وفي "أ": أو يتبرك .

ج- ساقط من "ج" و"ع" و"هـ".

د- في "أ": غير.

---

(111) الحكم لابن عطاء الله ص :122.

(112) شرح الحكم لابن عباد 902.

فكونها ملاصقة لاسم الذات دل على السبق وأنها بمنزلة الذات وتكرارها دل [أ] على الغلبة وعدم الانقطاع ، وفي ذلك حض للعبد على التخلق بالرحمة ، ومن أراد أن يرحمه الله فليرحم عباد الله كما يرحم نفسه. وقد ورد في الحديث : "إنما يرحم الله [ب] من عباده الرحماء ، وما نزعت الرحمة إلا من شقي والراحمون يرحمهم الله[ج] ارحموا من[د] في الأرض يرحمكم من في السماء"[113]، قال أبو الحسن الشاذلي[114] "أرحم الناس بالناس من يرحم من لا يرحم نفسه". وفي الجمع بينهما إشارة لطيفة إلى أن العبد كما قرن بينهما لفظا ينبغي له أن لا يتناول من نعيم الدنيا إلا ما يكون [هـ] معينا له على نعيم الآخرة ، ولا يكون قاطعا له عنها، ففي

أ- في "ج": دال .
ب- سقط اسم الجلالة من "أ".
ج- في "ب" و"د" و"ع": الرحمن.
د- في "أ" و"ط": أهل.
هـ- في "أ" و"هـ" : أهل

---

(113) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الجنائز باب قول النبي صلى الله عليه وسلم "يعذب الميت ببكاء أهله 80/2 ، وكتاب التوحيد باب ما جاء في قوله تعالى (إن رحمة الله قريب من المحسنين)186/8، وكتاب المرضى باب عيادة الصبيان 5/7 ، ومسلم في الصحيح كتاب الجنائز باب البكاء على الميت 636/1 رقم 11، وأحمد في المسند 5/ 204 و206 و702، والترمذي في السنن كتاب البر والصلة باب ما جاء في رحمة المسلمين 324/4 رقم 1924 وقال هذا حديث حسن صحيح، وأبو داود في السنن كتاب الأدب باب في الرحمة 231/5-232 رقم 4941 و4942، والنسائي في السنن كتاب الجنائز باب الأمر بالاحتساب والصبر عند نزول المصيبة 21/4 و22 رقم 1867، وابن ماجة في السنن كتاب الجنائز باب ما جاء في البكاء على الميت 506/1 رقم 1588.

(114) هو الإمام تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الله الشاذلي الشريف الحسني العارف بالله، كان على دراية بعلم الحديث والتفسير إضافة إلى صدارته في علم التصوف ، توفي وهو في طريقه لأداء فريضة الحج سنة 656 هج، ترجمته في نيل الابتهاج ص : 30 والضوء اللامع 21/6 وشذرات الذهب 70/7.

الجمع بينهما لفظا تعليم للزهد في الدنيا الذي هو أساس كل خير والله أعلم، قال جماعة من الشروح: "ويوجد في بعض نسخ الرسالة بعد البسملة : **وصلى الله على سيدنا محمد وآله [وصحبه**[أ] **وسلم]** "[115]، فنقول أتى المصنف رضي الله عنه بذلك بعد البسملة لوجوه ، الأول القيام ببعض حق[ب] الواسطة ليجمع بين الحقيقة والشريعة، فإن كل خير وإن كان في الحقيقة من الله ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾[116] لكن [الشرع جاء][ج] بشكر الوسائط، ففي الحديث :"من استعاذ بالله فأعيذوه ومن سأل بوجه الله فأعطوه ومن دعاكم فأجيبوه ومن صنع إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه به[د] فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافيتموه[هـ])[117]، أخرجه الإمام أحمد في مسنده وأبو داود[118] والنسائي[119] وابن حبان

أ- ساقط من "هـ"، وفي "ط" وصحبه.

ب- ساقط من "أ".

ج- في "ب"و "ج"و "د": لكن جاء الشرع.

د- ساقط من "ب" و"د" و"ط"و"هـ".

هـ- في "ط": كافأتموه.

(115) متن الرسالة ص :3.

(116) سورة النحل آية 53.

(117) أخرجه أحمد في المسند 68/2 و96 و99، وأبو داود في السنن كتاب الأدب 334/5 رقم 5108 و5109 وكتاب الزكاة باب عطية من سأل بالله عز وجل 310/2 رقم 2761 ، والنسائي في السنن كتاب الزكاة باب من سأل بوجه الله 82/5 رقم 2565 وابن حبان في صحيحه كتاب الزكاة باب المسألة والأخذ وما يتعلق به من المكافأة والثناء والشكر 200-199/8 رقم 3408 و3409.

(118) داود السجتاني صاحب السنن لا الطيالسي.

(119) هو الحافظ شيخ الإسلام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر الخرساني النسائي صاحب السنن ، له عدة مؤلفات منها كتاب الضعفاء وتفسير القرآن وغيرها ، توفي سنة 303 هج، ترجمته في تهذيب التهذيب 36/1-39 وحسن المحاضرة 349/1-350 ووفيات الأعيان 77/1-78.

والحاكم عن ابن عمر(120) رضي الله عنهما، وفي الحديث: " من لم يشكر الناس لم يشكر الله"(121)، ولا شك أن النبي صلى الله عليه وسلم الواسطة لجميع العباد في كل خير ديني أو دنيوي وهو الذي أظهر المولى سبحانه على يده جميع النعم وأفاضها ببركته على الخلق دنيا وأخرى، كيف وهو الدليل لنا على الله والمعرف لنا به، فهو باب الله/ (11) الأعظم وجميع ما يخرج من الخزائن الإلهية [إنما يخرج][أ] على يديه صلى الله عليه وسلم، وتذكر هنا قول القائل [من البكريين][ب]:

ما أرسل الرحمن أو يرسل	من رحمة تصعد أو تنزل
في ملكوت الله أو ملكه	[من كل ما][ج] يختص أو يشمل
[إلا (وطه)][د] المصطفى عبده	نبيه مختاره المرسل][هـ]
واسطة فيها وأصل لها	يعلم هذا كل من يعقل

أ- ساقط من "ع".

ب- ساقط من "ج".

ج- في "ع": في كل ما.

د- في "ع": وصفيه.

هـ- سقط هذا البيت من "هـ".

---

(120) الصحابي الجليل عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أبو عبد الرحمن المعروف بالعلم والتقوى والزهد ، شهد بيعة الرضوان والمشاهد التي بعدها ، توفي سنة 72 وقيل 73 هج، ترجمته في الاستيعاب 3/950-953 وأسد الغابة 3/236-241 والإصابة 188-181/4

(121) أخرجه أحمد في المسند 2/258-295 وأبو داود في السنن كتاب الأدب باب في شكر المعروف 5/157 رقم 4811 والترمذي في السنن كتاب البر والصلة باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك 4/339 رقم 1954-1955 وقال حديث حسن صحيح.

قال العارف بالله تاج الدين بن عطاء الله(122) في مقدمة كتابه لطائف المنن: "ولقد سمعت شيخنا أبا العباس(123) رضي الله عنه يقول : جميع الأنبياء خلقوا من الرحمة ونبينا صلى الله عليه وسلم هو عين الرحمة، قال الله سبحانه وتعالى ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾(124)، صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم [فدعا إلى الله](أ) بالبصيرة الواضحة والبينة القائمة وقرب المدارك وبين المسالك وحث على سلوك سبيل الهدى واجتناب سبل(ب) الردى فما ترك شيئا يقرب من(ج) الله إلا ودعا إليه ولا أدبا يصلح أن يكون العبد به مع الله(د) إلا حث عليه، ولا شيئا يشغل عن الله إلا وحذر العباد منه ولا عملا يقطعهم عن الله إلا وأخرجهم(هـ) عنه، لا يألوا نصحا في تخليص العباد من أوحال القطعة ومواطن الهلكة إلى أن ترحل ليل(و) الشرك وانقطعت أغياره وأضاء نهار الإيمان وأشرقت أنواره،

أ- في "ج": إليه.
ب-ساقط من "ع" وفي "أ" : سبيل.
ج-في "ع": إلى .
د- في "ع": ربه.
هـ- في "ج": أخرهم.
و- في "أ": أهل.

(122) هو أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن عيسى بن الحسين بن عطاء الله الجذامي نسبا المالكي مذهبا الإسكندري دارا، كان جامعا لأنواع من العلوم، من تصانيفه التنوير في إسقاط التدبير ولطائف المنن والحكم وغيرها توفي سنة 703 هج، ترجمته في الديباج 242/1 وحسن المحاضرة 524/1 وشجرة النور 204/1.

(123) هو أحمد بن عمر المرسي الأنصاري شهاب الدين، كان من كبار العارفين صاحب أبا الحسن الشاذلي ولازمه وكان الخليفة بعده، وتتلمذ على يديه ابن عطاء الله السكندري والإمام البوصيري وجماعة، توفي بالإسكندرية سنة 683 هج. ترجمته في طبقات ابن سعد 12/2 والنجوم الزاهرة 371/7 وشجرة النور187/1.

(124) سورة الأنبياء آية 107.

فرفع صلى الله عليه وسلم من الدين لواءه وتمم[أ] نظامه وقرر فرائضه وأحكامه وبين حلاله وحرامه، وكما بين للعباد الأحكام كذلك فتح لهم باب الأفهام حتى قال الراوي : "لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن الطير ليتحرك في السماء فنستفيد منه علما"[125]، فبحق قال الله تعالى ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾[126]، وقال ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾[127]، [وقال صلى الله عليه وسلم][ب]: "تركتها بيضاء نقية"[128]، فجزاه الله خير ما جازى نبيا عن أمته"[129]، وقال في الشفا: "وقد وصف الله تعالى في كتابه إحسانه صلى الله عليه وسلم وإنعامه على أمته من رأفته بهم ورحمته لهم وهدايته إياهم [وشفقته عليهم][ج] واستنقاذهم من النار : ﴿بالمومنين[د] رؤوف رحيم﴾[130] ﴿ورحمة للمومنين﴾[131] ﴿ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى

أ- في "ع": عم.
ب- في"ب"و"هـ":عليه الصلاة والسلام.
ج- في "أ" و"ج" و"د": شفاعته لهم.
د- في"ب" و"ج" و"ط": للعالمين.

(125) رواه البزار في المسند /3419 وصاحب مجمع الزوائد 264/8 وقال رجاله رجال الصحيح، والطبري في التفسير 18/97.
(126) سورة البقرة آية 255.
(127) سورة المائدة آية 4.
(128) أخرجه أحمد في المسند 126/4 والترمذي في السنن كتاب العلم باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع 44/5 رقم 2672 وأبو داود في السنن كتاب السنة باب في لزوم السنة 13/5 رقم 4607 وابن ماجة في السنن المقدمة باب اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم 4/1رقم 5.
(129) لطائف المنن ص: 57-56-55.
(130) سورة التوبة آية 129.
(131) سورة النمل آية 79.

الله بإذنه وسراجا منيرا﴾[132] ﴿ويتلوا /(12) عليهم آياته[أ] ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾[133] ﴿ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾[134]، فأي إحسان أعظم قدرا وأجل خطرا من إحسانه صلى الله عليه وسلم إلى جميع المومنين، وأي أفضال أعم منفعة وأكثر فايدة من إنعامه على كافة المسلمين، إذ كان ذريعتهم إلى الهداية ومنقذهم من العماية وداعيهم إلى الفلاح والكرامة ووسيلتهم إلى ربهم وشفيعهم والمتكلم عنهم والشاهد لهم والموجب[ب] لهم البقاء الدايم والنعيم السرمد"[135]، ومن ثم كان من الحق الواجب على المومن إذا ذكر الله تعالى أن يعطف بذكر رسوله [صلى الله عليه وسلم][ج] فيكون ذكر الله حقيقة وذكر رسوله شريعة، وكذلك ينبغي أن يعطف بذكر كل من له اتصال به صلى الله عليه وسلم من آل وصحابة ومتبعين لهم بإحسان ، وإنما أسندت الصلاة إلى الله تعالى لأنا لما كنا عاجزين عن مكافأته صلى الله عليه وسلم من قبل أنفسنا وجب أن نرجع في ذلك إلى مولانا الكريم القادر الذي بيده خزائن النعم ، فنطلب منه أن يصلي على هذا النبي الشريف أي ينعم عليه بنعم يصحبها تكريم وتعظيم على ما يليق بمنزلته عنده. الوجه الثاني امتثال أمر الله تعالى بذلك في قوله ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين ءامنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾[136]، والأصل

أ- في "أ": يأتي .

ب- في "أ"و "ب" و"هـ": الواجب.

ج- في "ب"و "هـ": عليه الصلاة والسلام.

---

(132) سورة الأحزاب آية 46.

(133) سورة آل عمران آية 164.

(134) سورة المائدة آية 18.

(135) الشفا 141.

(136) سورة الأحزاب آية 56.

[في الأمر] (أ) الوجوب ويتخلص المكلف من عهدة هذا الأمر بالمرة الواحدة لأنه تبارك (ب) وتعالى أمر بالصلاة عليه ولم يحد لذلك حدا، ويبقى الطلب بعد ذلك على جهة الاستحباب، إلا أنها تتأكد في مواضع منها إذا ذكر، لحديث "البخيل كل البخل من ذكرت عنده ولم يصل علي"(137)، وانظر بقيتها في الحطاب(138)، وفي أمره تعالى بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد قوله ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾(139) إشارة إلى مزية(ج) هذه العبادة وشرفها على غيرها وذلك أنه تعالى أمر بها بعد أن أخبر أنه فعلها هو وملائكته المطهرون وهذا شرف اختصت به من بين سائر العبادات والله تعالى أعلم. الوجه الثالث اغتنام بعض ما ورد في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم من المزايا والفضائل التي لا حصر لها، ففي الحديث "من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب"(140) ، ذكره في الشفا، وفي رواية "تصلي عليه"، "والصلاة عليه في الكتاب محتملة لكتابتها وهو أظهر ولقراءتها وهو أرجى" قاله سيدي زروق(141) . وفي الحديث "من صلى/ (13) علي مرة

أ- ساقط من "ع".

ب- ساقط من "أ" و"ط".

ج-وفي "أ": قرينة، وفي "ب": منزلة.

---

(137) أخرجه أحمد في مسنده 201/1 والترمذي في السنن كتاب الدعوات باب قول رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم أنف رجل 551/5 رقم 3546 وقال هذا حديث حسن صحيح.

(138) مواهب الجليل 19/1.

(139) سورة الأحزاب آية 56.

(140) ذكره في الشفا 572 وفي لسان الميزان 26/2 وكشف الخفاء 338/2 وهو حديث موضوع.

(141) هو الإمام العارف الصوفي المحدث أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن عيسى البرنسي الشهير بزروق، له تآليف مفيدة منها شرحه على الرسالة وحاشية على الرسالة وغيرها، ترجمته في فهرس الفهارس 455/1 والضوء اللامع 222/1 ودرة الحجال 90/1.

واحدة صلى الله عليه بها عشرا"[142] . وما أعظم قدر هذه العبادة التي تكون سببا يتوصل به العبد إلى صلاة سيده عليه مضاعفة. قال ابن عطاء الله رضي الله عنه :" من صلى عليه مرة واحدة كفاه الله[أ] هم الدنيا والآخرة، فكيف بمن صلى الله[ب] عليه عشرا"[143]. تنبيه: اختلف في فائدة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ونفعها ، هل هو عايد على المصلي فقط أو عليه وعلى المصلى عليه؟ فقال بالأول جماعة منهم ابن العربي[144] والشيخ السنوسي في شرح وسطاه[145] وابن فرحون القرطبي[146] في الزاهر[147] وقال بالثاني أبو القاسم القشيري[148] في

أ-ساقط من "أ".
ب-ساقط من "ب"و "د"و هـ".

(142) أخرجه مسلم في الصحيح كتاب الصلاة باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد 306/1 رقم07 ، وأحمد في المسند 102/3 و 162 ، والترمذي في السنن كتاب الوتر باب ما جاء في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم 355/2 رقم 485 ، وأبو داود في السنن كتاب الوتر باب الاستغفار 184/2 رقم 1530 ، والنسائي في السنن كتاب السهو باب الفضل في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم 50/3 رقم 1295 والدارمي في السنن كتاب الرقائق باب فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم 622/2 رقم 2775.

(143) شرح دلائل الخيرات لعبد الرحمن الفاسي ص : 148 (م خ ع ر برقم 3510د).

(144) أحكام القرآن لابن العربي 1585/3.

(145) شرح الوسطى ص.47 :

(146) هو أبو الحسن علي بن محمد بن فرحون القرطبي، قال فيه صاحب السلوة :"وابن فرحون هذا أورده في التنبيه و لم أقف له على ترجمة"،سلوة الأنفاس 41/2.

(147) كتاب الزاهر في بيان ما يجتنب من خبائث الصغائر والكبائر لابن فرحون القرطبي، الورقة 176، وهو ميكروفيلم بالخزانة العامة بالرباط رقم 1690.

(148) هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد النيسابوري القشيري الشافعي أبو القاسم، صوفي فقيه مفسر متكلم، من مصنفاته الرسالة ولطائف الإشارات وغيرها، توفي سنة 465 هج، ترجمته في السير 227/18 ووفيات الأعيان 205/3 والنجوم الزاهرة 91/5.

تفسيره [149]، والقرطبي نقل كلامه السنوسي على مسلم .[150] قال سيدي عبد الرحمن بن محمد الفاسي [151] : "وقد يقال لا خلاف وأن أحدهما تنبيه على الأدب في القصد والآخر إخبار عن كرم الله وعدم تناهي أفضاله". فينبغي للمومن أن يقصد بصلاته التقرب إلى الله وإلى نبيه بالصلاة على حبيبه ، ولا يكون قصده [أ] إيصال النفع منا إليه صلى الله عليه وسلم [ب] وإن كان النفع حاصلا له بذلك لكنه غير محتاج [إلى ذلك][ج] منا بل نحن المحتاجون إلى ما يحصل لنا من النفع والتقرب إليه وإلى ربه بالصلاة عليه، قاله شيخ شيوخنا سيدي عبد الرحمن العياشي[152] في أول شرحه لنظم بيوع ابن جماعة[153] وانظر تمام كلامه، وقد علمت مما قدمناه أن ما يقصده المصلي عليه صلى الله عليه وسلم ثلاثة أمور، خدمته والتودد إليه وهذا مفاد الوجه الأول ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾[154] وامتثال أمر الله تعالى بالصلاة عليه وهو

أ- في "ع": القصد.

ب- ساقط من "أ"

ج- في "ع": لذلك.

(149) لطائف الإشارات للقشيري .5/071.

(150) مكمل إكمال الإكمال للسنوسي 243/2.

(151) هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الفاسي الإمام الفقيه المحدث الصوفي، من مصنفاته تفسير سورة الفاتحة وحاشية على صحيح البخاري وحاشية على دلائل الخيرات وغيرها، توفي سنة 1039 هج، ترجمته في كشف الظنون 548/5 وشجرة النور .1/992

(152) هو أبو سالم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العياشي الفقيه الفاضل، أخذ عن حمزة العياشي وغيره من مصنفاته شرح الوظيفة الزروقية، قال صاحب الشجرة لم أقف على وفاته. ترجمته في شجرة النور 336/1 وكشف الظنون 558/5.

(153) هو أبو يحي بن القاسم بن جماعة الهراوي الفقيه الإمام، أخذ عن أئمة أهل المشرق والمغرب منهم ابن دقيق العيد وعنه أخذ جماعة، ألف في البيوع تأليفا اهتم بشرحه عدد من العلماء، توفي سنة 712 هج، ترجمته في شجرة النور الزكية 206/1.

(154) سورة الرحمن آية 60.

الوجه الثاني، واغتنام فضائلها التي لا حصر لها وهو الثالث والله أعلم، لا قضاء حقه، إذ حقه أجل من أن تقضيه أمته أجمع إذ هو في صلوات الله تبارك وتعالى ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾[155] انظر الورتجيبي[156] في تفسير هذه الآية، ولا إيصال النفع منا إليه ففرق بين ما يوتى به صدقة وما يوتى به هدية ، الصدقة للمحتاجين والهدية للمحبوبين . وقد شاع على الألسنة هنا أمور منها أن الصلاة من الله رحمة ومن الملائكة استغفار ومن العباد دعاء بعضهم لبعض، وبعده في المغني من جهات على بحث في بعضها وقال:"الصواب عندي أن الصلاة لغة بمعنى واحد وهو العطف ثم إن العطف بالنسبة إلى الله تعالى الرحمة[أ] وإلى الملائكة استغفار وإلى الآدميين دعاء بعضهم لبعض وهو في ذلك تابع /(14) للسهيلي[157]، في كتابه المسمى بنتائج الفكر، ومنها أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مقبولة قطعا بخلاف غيرها من سائر الأعمال، ولهذا قال أبو سليمان الداراني[158] :" من أراد أن يسأل الله حاجة[ب] فليصل على النبي صلى اله عليه وسلم أولا وآخرا، فإن الله يقبل الصلاتين وهو

أ-في "هـ": رحمة.

ب-في "ع": حاجته.

---

(155) سورة الأحزاب آية 65.

(156) عرائس البيان للورتجيبي الورقة260 (م خ ع ر برقم 2031ك).

(157) هو أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أصبغ بن سعدون الخثعمي الأندلسي المالكي ، ولد بإشبيلية وتوفي بمراكش سنة 581 هج، من مصنفاته الروض الأنف، ترجمته في طبقات القراء لابن الجزري وبغية الوعاة 81/2-82 و الديباج 480/1-483 .

(158) هو الإمام عبد الرحمن بن أحمد وقيل بن عطية وقيل بن عسكر العنبسي الداراني أبو سليمان، روى عن سفيان الثوري وعبد الواحد بن زيد البصري وعنه تلميذه أحمد بن أبي الحواري وهاشم بن خالد وغيرهم، توفي سنة 215 وقيل 205 هج، ترجمته في السير 182/10 ووفيات الأعيان 131/3 وشذرات الذهب 13/2.

أكرم من أن يدع ما بينهما"[159]. وقد سئل عن ذلك سيدي محمد بن يوسف السنوسي رحمه الله تعالى فقال في جوابه:" قد رأيت في ذلك منصوصا للشاطبي[160] شارح الألفية[161] وكنت استشكلته بأنه لو قطع بقبول ذلك لقطع المومن المصلي على النبي صلى الله عليه وسلم بحسن الخاتمة، كيف وهي مخوفة مجهولة، وكنت أجيب بأن معنى القطع بقبولها أنه إذا قضى الله تعالى[أ] للمصلي بخاتمة الإيمان وجد حسنة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مقبولة لا ريب فيها بفضل الله، بخلاف سائر الحسنات فإنه لا وثوق بقبولها وإن مات صاحبها على الإيمان، ويحتمل أن يكون معنى قبولها على القطع أنها إذا صدرت من صاحبها على سبيل المحبة للنبي صلى الله عليه وسلم أنه يقطع بحصول انتفاعه بها في الآخرة ولو بتخفيف العذاب عنه ولو على سبيل الخلود المؤبد، لعظم موقع محبة أشرف الخلق صلى الله عليه وسلم، ألا ترى إلى انتفاع أبي لهب بسقيه من نقرة الإبهام أو تخفيف العذاب عنه[في كل][ب] يوم الاثنين بسبب عتقه الجارية التي بشرته بولادة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وإذا حصل الانتفاع بسبب الحب الطبيعي وإن كان لغير الله تعالى فكيف بحب المومن لهذا

أ–ساقط من "آ" وفي "هـ": تبارك وتعالى.
ب–ساقط من "ب" و "ج" و "هـ" و "ط".

---

(159) أورد القرطبي النص في تفسيره 235/14.

(160) هو أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي الشاطبي الإمام الأصولي المعروف صاحب كتاب الموافقات والاعتصام، وغيرهما، توفي سنة 790 هـ . ومسألة القطع بقبول الصلاة على النبي ﷺ ذكرها الشاطبي في شرحه على ألفية ابن مالك : 13/1 عند قول الناظم :

مصليا على الرسول المصطفى   وءاله المستكملين الشرفا

(161) هي ألفية ابن مالك في النحو المعروفة بالخلاصة،وقد شرحها الشاطبي شرحاً مستفيضا سماهُ "المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية" وقد طبع مؤخرا بجامعة أم القرى بمكة المكرمة سنة 2007م في عشرة أجزاء، بتحقيق د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين.

السيد[أ] وصلاته عليه [صلى الله عليه وسلم][ب]"، ولبعضهم في هذا المعنى:

إذا كان هذا كافر جاء ذمه — وتبت يداه في الجحيم مخلدا

أتى أنه في يوم الاثنين دائما — يخفف عنه للسرور بأحمدا

فما الظن بالعبد الذي عاش — بأحمد مسرورا ومات موحدا

ومنها أنها لا تؤخذ في تباعات من يفلس يوم القيامة ، وقد سئل العارف بالله تعالى سيدي عبد الرحمن بن محمد الفاسي رحمه الله عن هذه المسألة والتي قبلها فأجاب: "إن فضائل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لا حصر لها وناهيك أن من صلى عليه مرة[ج] واحدة صلى الله عليه عشرا، وليس ذاك لغيرها من الطاعات ، وأما كونها مقبولة قطعا وكونها مقصورة على صاحبها بحيث لا تؤخذ في التباعات فلا أعرف لذلك دليلا قاطعا ولا مستندا/(15) واضحا وإنما في ذلك ما يفيد قوة الرجاء لا القطع في خصوص شخص بعينه ، وإن كان يقطع بقبولها في الجملة وكذلك لا تؤخذ في التباعات إن شاء الله أن يعوض عنه في الجملة، نعم إن الإيمان لا يؤخذ في التباعات لا غيره من سائر الأعمال الصالحات[د]، كما أنه لا تؤخذ من المفلس ما هو ضروري له ولعياله من قوت وكسوة معتادة، وكذلك ما هو شرط في الإيمان من محبة الله تعالى ورسوله والقدر الضروري [في ذلك][هـ] لا يؤخذ في التباعات جزما"[162].

أ- ساقط من "أ".

ب- ساقط من "ج".

ج- ساقط من "أ".

د- ساقط من "ع".

هـ- ساقط من "ع".

---

(162) نحوه في شرحه لدلائل الخيرات ص : 150.

والسيد هو الكامل[أ] المحتاج إليه في كل الشدائد، وقال الأبي: "وما يستعمل من لفظ السيد والمولى حسن وإن لم يرد، والمستند في ما صح من قوله صلى الله عليه وسلم (أنا سيد ولد آدم [ولا فخر][ب] "[163][164]. وآله صلى الله عليه وسلم أقاربه المومنون من بني هاشم دون المطلب في مشهور مذهب مالك، ويأتي [إن شاء الله][ج] الكلام على الصحب رضي الله عنهم، ويوجد في بعض النسخ أيضا بعد ما سبق ، **قال أبو محمد عبد الله ابن أبي زيد القيرواني**[165]، عرف بنفسه رضي الله عنه لأن جل ما ذكره في هذا الكتاب من العلوم النقلية[د] التي تحتاج إلى معرفة القائل وعدالة الناقل، فلا تؤخذ إلا [عن من] [هـ] كان عالما عاملا، ولذلك قال ابن سيرين"[166] إن هذا العلم أو هذا الحديث دين فانظروا عمن تأخذون دينكم"[167].

أ- ساقط من "ع".

ب- ساقط من "أ" و"د"و "ط" و"هـ" .

ج- ساقط من "أ".

د- ساقط من "ب".

هـ- ساقط من "ب" وفي "ع": ممن.

---

(163) أخرجه مسلم في الصحيح كتاب الفضائل باب تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق 17822 رقم 3 ، وأحمد في المسند 5/1 و 540/2 وأبو داود في السنن كتاب السنة باب في التخيير بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام 54/5 رقم 4673 وابن ماجة في السنن كتاب الزهد باب ذكر الشفاعة 1440/2 رقم 4308.

(164) ورد معناه في شرحه لصحيح مسلم 466/7-467 .

(165) متن الرسالة ص : 3.

(166) هو الإمام الرباني محمد بن سيرين مولى أنس بن مالك رضي الله عنه ، سمع أبا هريرة وابن عباس وأنس وجماعة من الصحابة ، توفي سنة 116 هج، ترجمته في تهذيب الكمال 345/16-349 وتهذيب التهذيب 214/9-217 والجرح والتعديل 280/7-281.

(167) هذا النص روي عن عدد من العلماء منهم ابن سيرين رواه عنه صاحب التمهيد 164 ، كما رواه عن الإمام مالك 1 /67.

ولـذلك ترى المحدثين يبحثون عن أحوال الرواة[أ] عدالة وجرحا ، ولذلك قال العلماء : إن العمل أو الفتوى من الكتب التي جهل مؤلفها و لم يعلم[ب] صحة ما فيها لا يجوز ، ولا بد من ذكر نبذة صالحة من مآثر المؤلف ليقوى باعث الرغبة في تحصيل مسائل[ج] الكتاب ويحصل الانتفاع المقصود من التأليف بعون رب الأرباب، فأقول: كان المصنف رضي الله عنه ممن حاز قصب السبق في العلم والعمل، ذكر من عرف به أن الله وصله بأربعة أشياء السعة في العلم والدين المتين والسعة في المال وصحة البدن، أما العلم فكان جبلا راسخا وبحرا زاخرا كثير الحفظ، مليا بالعلوم ضابطا لها ، وكان الغالب عليه الفقه، وهو الذي لخص المذهب وضم شوارده وملأت البلاد تواليفه، عارض كثير من الناس أكثرها فلم يلحقوا له مدا مع فضل السبق وصعوبة المبتدأ[د] ، عد له من التآليف خمسة وعشرون تأليفا أكثرها في الفقه ، وله في أصول الفقه وأصول الدين والزهد والرقائق، وكان/(16) يلقب بخليفة مالك وبمالك الأصغر وبقطب المذهب، وكان يقال لولا القاضيان والمحمدان والشيخان لذهب المذهب، فالقاضيان أبو الحسن القصار[168] وتلميذه [أبو محمد][هـ]

أ- في "أ": الرواية.

ب- ساقط من "أ".

ج- ساقط من "ا".

د- في "ع": المبدأ.

هـ- ساقط من "أ".

---

(168) هو علي بن عمر بن أحمد البغدادي المالكي المعروف بابن القصار، تفقه بأبي بكر الأبهري وغيره من آثاره عيون الأدلة وإيضاح الملة في مسائل الخلاف، توفي سنة 379 هج، ترجمته في ذكر أخبار أصبهان 169/1 وسير أعلام النبلاء 107/17 وشذرات الذهب 149/3.

عبد الوهاب، والمحمدان محمد بن المواز(169) ومحمد بن سحنون(170)، والشيخان ابن أبي زيد وأبو بكر الأبهري. تفقه بفقهاء بلده وسمع من شيوخها وعول على أبي بكر بن اللباد وأبي الفضل الممسي(أ)، وأخذ عن محمد بن مسرور العسال(ب) وعبد الله بن مسروق(ج) بن الحجام(د) والقطان(هـ) والأبياني وغيرهم كعثمان بن سعيد الغرابلي ودراس بن إسماعيل فإنه أخذ عنه لما رحل من فاس حاجا ولقيه بالقيروان(171). وقال الإمام اليستني(172) في تقييد له في القبلة : " وقد ذكر محراب القرويين وأنه لا انحراف فيه وجعل يذكر الأئمة الذين صلوا فيه من غير انحراف إلى أن قال منهم فلان وفلان وكالشيخ أبي ميمونة حافظ كبير وعالم جليل. وانظر ما قاله فيه عياض في المدارك :"وقد ارتحل إليه ابن أبي زيد فوجده يقبر فأنشأ يقول:

أ- في "ب" و"د" و"ط" : المميسي.

ب- في "ع" الغسان.

ج- في "ط": مسرور.

د- في "ع": ابن الحجام.

هـ- في "ط": القصار.

---

(169) هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن زياد الإسكندري المالكي ابن المواز صاحب التصانيف توفي سنة 281هج، ترجمته في السير 6/13 الديباج 166/2 وشجرة النور 68/1.

(170) هو الإمام العالم الفقيه محمد بن سحنون ، المعروف بالذب عن مذهب المالكية، فقد جلس مجلس أبيه بعد موته وكان من أكثر الناس حجة ، كما كان غزير التأليف له نحو مائتي كتاب منها كتاب الجامع والحجة على القدرية، توفي سنة 256 هج بالساحل وجيء به إلى القيروان ودفن بها، ترجمته في الديباج 169/2-173.

(171) سبقت الترجمة لهؤلاء الشيوخ ضمن شيوخ ابن أبي زيد القيرواني.

(172) هو محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الفاسي اليستني، فقيه مشارك في العلوم العقلية والنقلية من تصانيفه شرح مختصر خليل وتأليف في حقوق السلطان على الرعية وحقوقهم عليه وغيرها ، توفي سنة 959 هج، ترجمته في نيل الابتهاج ص : 594–596 وسلوة الأنفاس 59/3 وشجرة النور 283/1.

قف بالمقابر للتوديع يا حادي فإن في جوفها قلبي وأكبادي[173]

وكان يروي عن سحنون[174] بواسطة وعن ابن القاسم[175] بواسطتين وعن مالك بثلاثة. وأخذ عنه جماعة منهم أبو بكر بن موهب المقبري وابن عائذ وأبو عبد الله بن الحذاء وغيرهم[176]، انظر التتائي[177] وغيره. وأما الدين المتين فكان رضي الله عنه من عباد الله المخصوصين وأوليائه المكاشفين مجتهدا في طاعة رب العالمين، وكان إذا جلس للإقراء ربما قال حدثتني نفسي [أن في هذا] [أ] المجلس كذا وكذا سؤالا فأيكم صاحب سؤال كذا،فيقول أنا فيجيبه وإذا أشكل عليه شيء من كلام من تقدم يكاشفه الله تعالى به في المنام ، وقد ألف رضي الله عنه تأليفا في المسائل التي أشكلت عليه وكوشف بها في النوم[ب] سما المكاشف. وكان مجاب الدعوة دعا لمن حفظ هذا الكتاب وعمل بما فيه وصرف همته إليه أن يرزقه الله المال والعلم والدين، ولبعضهم في ذلك:

دعا ابن أبي زيد وطاف بكعبة لقارئها بالمال والعلم والدين

أ- في "ع": إن هنا في المجلس.

ب- في "ع": المنام.

(173) ترتيب المدارك 82/6.

(174) هوعبد السلام بن سعيد التنوخي الحمصي الأصل المغربي القيرواني المالكي، يلقب بسحنون، من مصنفاته المدونة في الفقه المالكي، توفي سنة 240 هج، ترجمته في السير 63/12 والديباج 2/30-31 ووفيات الأعيان 129/3.

(175) هو عبد الرحمن بن القاسم العتقي المصري أبو عبد الله ، الفقيه المالكي تفقه بالإمام مالك وصحبه عشرين سنة وانتفع به أصحاب مالك بعد موته، توفي سنة 191 هج، ترجمته في حسن المحاضرة 303/1 والديباج 465/1 ووفيات الأعيان 129/3.

(176) تمت الترجمة لهؤلاء الشيوخ ضمن تلاميذ ابن أبي زيد.

(177) تنوير المقالة في حل ألفاظ الرسالة ص :3.

قال سيدي زروق : "وقد جرب ذلك فصح"، قال: وحكى بعض المشايخ أن الأولياء كانوا يأخذون وردا في قراءتها حتى إنه كان من المجربات عندهم أن من كانت عنده نسخة من الرسالة وقرأ فيها ورقتين/ (17) أو ثلاثة في اليوم ثم دعا الله تعالى أجيبت دعوته وهو مجرب صحيح. "وقد مدح الناس هذا الكتاب واعتنوا بشرحه حتى لقد كان بعض الفضلاء يقول منذ كانت الرسالة إلى الآن يظهر لها في كل سنة شرح يقصر أو يطول"(178)، قال الشيخ زروق رحمه الله : "وقد ظهرت بركتها على العامل بها والملتزم لها ، وسمعت عن الشيخ الصالح سيدي أبي عبد الله بن عباد(179) رحمه الله أنه قال : طلبوا الفقه في غير الرسالة فضلوا وطلبوا التصوف في غير الحكم فضلوا، وقد جربنا بالمشاهدة أن من قرأ كتب الفقه دونها [] (أ) لم ينتفع بنفسه غالبا، وما ذاك إلا لصدق صاحبها وطالبها ونيتهما ، فالأعمال بالنيات والخواتم(ب) وبالله التوفيق"(180). ويحكى أن العامري(ج) الزاهد زاره فرءا عنده ابنة مقعدة فدعا لها وأخذ بيدها فقامت تمشي ، فأدرك أبا محمد من ذلك انكسار واحتقار لنفسه ، فقال الزاهد يا شيخ الوقت والله ما سألت الله لها إلا متوسلا [إليه بك](د). ورحل

أ- في "ع":أقحمت عبارة "وكتب التصوف دونه" دون باقي النسخ.

ب- ساقط من "أ".

ج- في "ع": العامر.

د- في "ع": بك إليه.

---

(178) شرح زروق على الرسالة 423/2.

(179) هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الرندي النفزي المعروف بابن عباد، أخذ العلم عن والده والإمام المقري وجماعة ، له مصنفات متميزة منها شرحه على الحكم والرسائل الكبرى والصغرى وغيرها، توفي سنة792 هج ، ترجمته في نيل الابتهاج ص : 472–476 وسلوة الأنفاس 138/133/2 وجذوة الاقتباس 201-200/1.

(180) شرح زروق على الرسالة 423/2.

رضي الله عنه فحج . وروى عنه الثقات أنه خرج في عام الخندقة إلى الجهاد زمن ولاية عبد الرحمن الناصر[181] بالأندلس، وكانت غزوة عظيمة جاء إليه العدو بجموع لم ير مثلها ، فكانت الهزيمة فيها على المسلمين، فقتل من المسلمين فيها أربعون ألف[أ] راجل وعشرون ألف[ب] فارس ، وتفرق الناجون إلى غير جهة فهلك فرسه رحمه الله فكان يمشي ليلا ويختفي نهارا، قال فمشيت ليلة فإذا بعسكر نازل وخيول مربوطة ونيران موقودة وناس يقرءون القرآن فقلت الحمد لله هذا عسكر المسلمين، فقصدتهم فإذا أنا بشاب وفرسه مربوطة وهو يقرأ سورة بني إسرائيل فسلمت عليه فرد علي السلام وقال أنت من الناجين ؟ قلت نعم، فقال اجلس واسترح فجلست فأعطاني عنقود عنب في غير أوانه ورغيفا وكوز ماء، فما أكلت ولا شربت ألذ ولا أطيب من ذلك، فقال لي لعلك تريد النوم فقلت نعم، [فأخذت في النوم][ج] فلم أفق حتى ضربتني الشمس بحرها فنظرت فلم أجد أحدا إلاعظم آدمي بإزائي[د] فعلمت أنهم الشهداء فكمنت ذلك اليوم ، فلما جن الليل مشيت فإذا أنا بعساكر تمر علي وهم يقرءون القرآن ويسلمون/(18) ويذكرون الله عز وجل، وإذا آخر القوم رجل تحته فرس تعرج فأدركني وسلم علي فقلت يا أخي من هؤلاء ؟ قال الشهداء مضوا إلى زيارة أهاليهم، فقلت له ما بال فرسك

أ- في "أ" : ألفا.

ب- في "أ" : ألفا.

ج- ساقط من "أ".

د- في "ع" بحذائي.

(181) هو عبد الرحمن بن الحكم بن هشام سلطان الأندلس أبو المطرف المرواني الأموي ، ولي الخلافة بعد جده وكان شهما صارما ، غزا بلاد الروم ودانت له ملوكها وقويت الأندلس في عهده وازدهرت، توفي سنة 350 هج، ترجمته في السير 269/265/8 وجذوة المقتبس 42-41/1.

تعرج وأنت آخر الناس؟ فقال: بقي علي من ثمنها ديناران، قلت لئن رجعت إلى بلاد الإسلام لأقضينها عنك فانطلق الفرس صحيحا فأردفني خلفه فوصلنا مدينة سالم وبينها وبين الموضع الذي حملني منه مسيرة عشرة أيام، فقال لي عسى أن[أ] تدخل هذه المدينة فإني كنت من أهلها واسأل عن دار محمد بن يحي الغافقي وادع زوجتي فاطمة بنت سالم وسلم عليها وقل لها في الطاقة خمسمائة دينار في جرة مدفونة ، فأخرجها وادفع الدينارين إلى فلان ، ففعلت ما أمرني به ، فاستخرجت المرأة الجرة ووجدت الأمر كما ذكرت لها، فقدمت إلي طعاما وأعطتني عشرة دنانير وقالت لي استعن بها على سفرك. وأما السعة في المال فكان نفعنا الله به ذا مال كثير [][ب] ملك ثلث القيروان، فكان خراج ماله كل يوم ألف درهم على ما قال بعض أو دينار على ما قال آخر، ولم تجب عليه الزكاة قط لأنه كان يصرفه في وجوه البر فكان ينفق على طلبة العلم ويحمل مع كل غاز في سبيل الله ويقري الأضياف وينفق على الفقراء والمساكين ، فاكتسب جاها عظيما ملأ ذكره الآفاق، وعند تمام هذا الكتاب واتصاله بيد محرز خلقت له بنت فسماها بركة تفاؤلا بالكتاب الواصل إليه، فكتب بأمرها إلى أبي محمد فعين لها شيئا من ماله وجعله بيد من يتجر لها به، فلما كبرت البنت وطلبت للبناء كتب له أبو محمد بما فعله بسببها وأمره أن يشخص إليه من يأتيه بذلك المال، فوصل إليه فدفع إليه[ج] خمسين ألف دينار عدد ما نض له من ذلك.

أ-ساقط من "ب" و"د" و"ط" و"هـ".

ب- (وكان مع ذلك من أهل الزهد) زيادة في "ع" دون باقي النسخ.

ج-في "ع": له.

ولد رحمه الله سنة عشر وثلاثمائة وتوفي سنة ست وتسعين وثلاثمائة. فعمره ست[أ] وثمانون سنة، كذا في الأقفهسي[182]، وفي الديباج أنه توفي سنة ست وثمانين وثلاثمائة[183]، قال الأجهوري[184]: وتوفي رحمه الله عن زوج وعصبة و لم يترك ولدا وأوصى بثلث ماله للفقراء والمساكين وابن السبيل"[185]. يحكى أن المؤلف لما رءا إقبال الناس على كتابه الرسالة مع كونه بلا وارث جعلها في [قبلة محرابه][ب]، وكان يدعو الله في إثر كل صلاة أن يحييها للخلق وأن يقيمها له مقام وارث[ج][186] فكان كذلك، فصار يذكر وينتفع/ (19) بها كما يذكر الوالد وينتفع بولده، ولبعضهم في هذا المعنى:

أخو العلم حي خالد بعد موته وأوصاله تحت التراب رميم
وذو الجهل ميت وهو يمشي يعد من الأحياء وهو عديم

وانظر ما قاله الأجهوري مع ما ذكره في المدارك من أنه كان لابن أبي زيد ولدان أبو بكر وعمر وأن أبا بكر ولي القضاء[187]، ونقله

أ- في "ع": ستة.
ب- في "أ" و"ه": في محرابه قبلة.
ج- في"أ" و"ج" : الوارث.

---

(182) هو القاضي جمال الدين عبد الله بن مقداد بن إسماعيل الأقفهسي الفقيه المالكي ، انتهت إليه رياسة المذهب والفتوى بمصر ، من تصانيفه شرح على مختصر خليل وشرح على رسالة ابن أبي زيد ، ترجمته في نيل الابتهاج ص : 229 وشجرة النور الزكية 240/1.

(183) الديباج 430/1.

(184) هو علي بن محمد بن عبد الرحمن الأجهوري المصري المالكي نور الدين، عالم أديب مشارك في فنون من العلم كالفقه والحديث والسيرة، من تصانيفه شرح على الرسالة وشرح التهذيب وغيرها ، ترجمته في فهرس الفهارس 782/2-783.

(185) شرح الرسالة للأجهوري ظهر الورقة 6، (م خ ع ر برقم 2456ك).

(186) شرح الرسالة للأجهوري الورقة 8.

(187) ترتيب المدارك 272/7.

القلشاني[188] فانظره، اللهم إلا أن يكونـا ماتا في حياة والدهما ، قال الشيخ زروق : "وكان الشيخ القوري[189] رحمه الله يقول: ألف هذا الكتاب وهو صغير ولذلك بينه وبين كلامه في النوادر كثير، وكان يقول: [كتب الفقه في النـوادر كالسـواقي من البحر][أ]"[190] . وأبو محمد هو كنية المصنف وعبد الله هو اسمه، واستشكل جمعه بينهما بأن الكنية تزكية للنفس كما قيل:

أكـنـيـه حين أنـاديه لأكـرمـه ولا ألـقـبـه والسوءة الـلـقـبـا

قال الرضى[ب] : "الكنية عند العرب يقصد بـها التعظيم ، والفـرق بينها وبين اللقب أن اللقب يمدح الملقب به أو يذم بـمعنى ذلك اللفظ، بـخلاف الكنية فإنه لا يعظم المكنى بها بل بعدم التـصريح بالاسم، فإن بعض الـنفوس تأنف أن تخاطب باسمها"، والتزكية منهـي عنها قال تعالى ﴿ فلا تزكوا أنفسكم﴾[191]، وأجيب بأن ذلك من صنع بعض تلامذته، ويبعد

أ- الجملة في شرح الرسالة لزروق كما يلي:"كتب الفقه في النوادر مثل الحوض تجري منه من السواقي".

ب- كذا في النسخة الأم وفي باقي النسخ الراضي.

---

(188) هو الفقيه العالم محمد بن عبد الله القلشاني من كبار علماء تونس، تولى قضاء الأنكحة ومهمة التدريس من مصنفاته تحرير المقالة في شرح الرسالة ، توفي سنة 830 هج. ترجمته في نيل الابتهاج ص : 496-497 والتوشيح ص : 212 وشجرة النور 244/1.
-نقل ما ذكره القاضي عياض في تحرير المقالة ص: 5.

(189) هو العالم الفقيه أبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد بن أحمد بن محمد القوري نسبة إلى قورة بفتح القاف وسكون الواو بلدة بالأندلس، أخذ عنه جماعة من أهل فاس منهم أحمد زروق والشيخ إبراهيم بن هلال وغيرهما، من مصنفاته شرح على مختصر الشيخ خليل، توفي سنة 872 هج، ترجمته في الضوء اللامع 280/8 ونيل الابتهاج ص : 548 وشجرة النور الزكية 261/1.

(190) شرح زروق على الرسالة .ب- في "أ" و"ج": الوارث.

(191) سورة النجم آية 32.

هذا ثبوته[أ] في[ب] آخر الكتاب باتفاق، [فالسؤال][ج] وارد على كل حال، فالصواب أن يجاب بأن التزكية إنما هي في الكنية التي في معنى اللقب كأبي الفضل، وأما نحو أبي عبد الله فلا تزكية فيه[د]، وليس كل كنية تدل على التعظيم وإلا لما أقرهم النبي صلى الله عليه وسلم عليها، وقد أذن عليه السلام لعائشة[192] رضي الله عنها أن تكنى بابن أختها عبد الله بن الزبير[193]، فكانت تكنى بأم عبد الله، نعم المخاطبة بنحو محيي الدين، ذكر ابن الحاج[194] أنها[هـ] منهي عنها[195]، وذكر القرافي[196] جوازها، وعلى عدم تسليم أن من الكنى ما لا يدل على التعظيم فنقول التعظيم الذي يحصل بالكنية لا يضر فيخص به قوله تعالى ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾[197]، لورود الإذن بها كما سبق أو نقول أن ذلك جائز لمن بلغ

أ- في "ع": بثبوته.

ب- ساقط من "أ"و"ب".

ج- في "ع": فإن السؤال.

د- ساقط من"ع".

هـ- في "أ": انه.

(192) هي أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق ، الصديقة بنت الصديق زوج النبي صلى الله عليه وسلم وأشهر نسائه، ترجمتها مبسوطة في عدد من كتب التراجم منها الإصابة 18-17-16/8 وأسد الغابة 188/6 والاستيعاب 1881/4.

(193) هو الصحابي الجليل أحد العبادلة، عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي أمه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها وهو أول مولود للمهاجرين بعد الهجرة ، ترجمته في الإصابة 95-89/4 والاستيعاب 905/3 واسد الغابة 138/3-140.

(194) هو محمد بن محمد العبدري الفاسي الشهير بابن الحاج أبو عبد الله، الفقيه من آثاره كتابه المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات ومدخل الشرع الشريف على المذاهب الأربعة وغيرها، توفي سنة 737 هج، ترجمته في الدرر الكامنة 2374/2 والديباج 321/2-322 وشجرة النور 218/1.

(195) المدخل لابن الحاج 126/1.

(196) الذخيرة للقرافي 338/13.

(197) سورة النجم آية 31.

درجة التأليف ، ويكون المراد بذلك إظهار الملزوم وهو تعظيم الله له بتأهيله للتأليف[أ] تحدثا بالنعمة كما قرر في المحلي[198] كلام السبكي[199] أو تحريضا للناس على الأخذ عنه حرصا على نفعهم نظير قول نبي الله/ (20) يوسف على نبينا وعليه الصلاة والسلام ﴿اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم﴾[200] والله أعلم. وعلى أن ذلك من صنع بعض تلامذته فلا إشكال [في التعبير][ب] بالماضي مع أن المقام للاستقبال، وعلى أنه من صنعه فيجاب بأنه وثق من نفسه بذلك حتى صار كالموجود فأوقع الماضي موقعه وقيل غير ذلك. وأبو زيد هي كنية أبي المصنف ، واسمه عبد الرحمن ، قاله ابن فرحون[201]، وقال الأقفهسي: "هو أبو محمد عبد الله بن عبد الله بن عبد الرحمن بن إسحاق بن سعيد ابن بلال، والصحيح أنه أي بلال ليس بموليس، والقيرواني نسبة إلى قيروان، مدينة من مدن إفريقية وهي من بناء الصحابة وذلك أن

أ- في "ع" بالتأليف .

ب- في "ع": بالتعبير.

---

(198) هو محمد بن أحمد بن إبراهيم المحلي المصري الشافعي جلال الدين ، مفسر فقيه مشارك في أنواع من العلوم، من مصنفاته شرح جمع الجوامع للسبكي ، توفي سنة 864 هج، ترجمته في الضوء اللامع 39/7 وحسن المحاضرة 443/1 وشذرات الذهب 303/7-304.

(199) هو عبد الوهاب بن علي الأنصاري الشافعي السبكي أبو نصر تاج الدين ، فقيه أصولي مشارك في علوم متعددة ، من مصنفاته طبقات الشافعية وجمع الجوامع وغيرها، توفي سنة 771 هج، ترجمته في حسن المحاضرة 328/1 والبدر الطالع 410/1-411 وفهرس الفهارس 1037/2.

(200) سورة يوسف آية 55.

(201) هو برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن الشيخ أبي الحسن علي بن فرحون المدني الشيخ الإمام العمدة ، أخذ عن مجموعة من العلماء منهم الشيخ ابن عرفة، من تصانيفه شرح مختصر ابن الحاجب والديباج المذهب وغيرها ، توفي سنة 799 هج، ترجمته في نيل الابتهاج ص : 33 وشجرة النور 222/1.

- والنص في الديباج 427/1.

معاوية[202] رضي الله عنه لما ولي الخلافة بعث عقبة بن نافع الفهري[203] يغزو المغرب، فوصل إلى إفريقية وأراد أن يخط القيروان فوجدها غيظة كثيرة الوحوش والسباع والحشرات، فأراد أن يحرقها فخاف من إذاية ما فيها من الوحوش فوقف بأعلاها ونادى يا أهل الوادي إنا حالون إن شاء الله فارتحلوا، قالها ثلاثا فجعلوا يخرجون حاملين أولادهم على ظهورهم، وتتابع خروجهم ثلاثة أيام ثم أحرقها واختطها، ويقال في النسب إليها قروي على غير قياس وقيرواني، وإليها ينسب سيدي عبد العزيز القروي[204] وقول العامة قوري لحن. والمصنف نفزاوي النسب ونفزاوة قبيلة من قبائل إفريقية. قوله رحمه الله: **الحمد لله**[205]، قد اشتهر هنا السؤال عن توجيه أمرين تضمنهما تعقيب التسمية بالحمدلة ، الأول الجمع بينهما في الابتداء[أ] وعدم الاقتصار على التسمية، الثاني رعاية[ب] الترتيب بينهما وإشارة

أ- في "ا": التسمية.
ب- ساقط من "أ".

(202) هو صاحب رسول الله ﷺ معاوية بن أبي سفيان وأمه هند بنت عتبة ويكنى أبا عبد الرحمن وهو أحد الذين كتبورا لرسول الله ﷺ، ولاه عمر على الشام، توفي سنة 60هـج، وقد روى عنه جماعة من الصحابة والتابعين بالحجاز والشام والعراق، ترجمته في الاستيعاب 1416/3 والإصابة 151/6.

(203) هو عقبة بن نافع بن عبد قيس الفهري، ولد على عهد النبي ﷺ ولا تصح له صحبة، وقد كان ابن خالة عمرو بن العاص الذي ولاه إفريقية وهو وال على مصر، قتله كسيلة بعد أن غزا سوس القصوى سنة 63هـج، ترجمته في الاستيعاب 1075/3 والإصابة 64/5.

(204) هو أبو فارس عبد العزيز بن محمد القروي الفاسي ، كان رحمه الله عالما مدرسا مفتيا، توفي سنة 750 هج، ترجمته في نيل الابتهاج ص : 269 وسلوة الأنفاس 159/3 وجذوة الاقتباس /269. 1

(205) متن الرسالة ص :3.

السيد[206] في حواشي العضد[أ][207] إلى ما يفيد الجواب عنهما فقال: "أردف التسمية بالتحميد في مفتتح الكلام اقتفاء لما ورد في الأخبار واقتداء بطريقة الأخيار وأداء لبعض حقوق ما استغرقه من الإحسان التي من جملتها التوفيق لمثل هذا التصنيف[ب] العظيم الشأن[ج]"[208]. فقوله[د] "اقتفاء" إشارة إلى الأحاديث الواردة في الحث على البداية بالتسمية والتحميد، ففي الجمع بينهما في الابتداء[هـ] عمل بروايتي الحديث، وقوله "واقتداء" الخ أي لأن إجماع العلماء قد انعقد على هذا الترتيب ، وقوله "أداء" الخ لأن الحمد في أوائل الكتب أداء لبعض شكر المنعم، وكان هذا جواب ثان/ (21) عن السؤال الأول ، وقد ذكروا من التوجيهات غير هذا مما لا نطيل به فانظره في شرح الزرقاني[209] على

أ- في "ع": السعد.

ب- في "ج": التأليف.

ج- ساقط من "ع".

د- في "ع": وقوله.

هـ- ساقط من "أ".

---

(206) هو علي بن محمد بن علي الجرجاني الحسيني الحنفي ويعرف بالسيد الشريف، أبو الحسن عالم مشارك في أنواع من العلوم من تصانيفه شرح المواقف وحاشية على الكشاف وغيرها، ولد سنة 740 وتوفي سنة 816 هج، ترجمته في البدر الطالع 488/1 والضوء اللامع 328/5.

(207) هو عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار بن أحمد الإيجي الشيرازي الشافعي عضد الدين، عالم مشارك في أنواع من العلوم، ولد سنة 708هـج، وتوفي مسجونا سنة 756هج، من مصنفاته الرسالة العضدية والمواقف في علم الكلام وغيرها، ترجمته في شذرات الذهب 174/6 والبدر الطالع 326/1.

(208) شرح الجرجاني على المواقف للإيجي 8/1.

(209) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المالكي المصري، أخذ العلم عن والده والأجهوري وجماعة،من مصنفاته شرح البيقونية وشرح المواهب وغيرها ، توفي سنة 1122 هج، ترجمته في سلك الدرر 32/4 وعجائب الآثار 69/1 وفهرس الفهارس 456/1-457.

اللقاني[210] إن شئت[211]. والحمد هو الثناء بالجميل على الجميل الاختياري حقيقة أو حكما على جهة التعظيم والتبجيل ظاهرا أو باطنا، ولا فرق بين كون المحمود به من الفضائل وهي المزايا غير المتعدية أو من الفواضل وهي المزايا المتعدية أي التي يتوقف تحققها على تعلقها بالغير، قال الكمال بن أبي[أ] شريف"[212] معنى هذه الجملة كل حمد أي كل ثناء بجميل مستحق لله أو مختص به، أما إن جعلت اللام للاستغراق فواضح ، وأما إن جعلت للجنس فلثبوته في ضمن كل فرد، فلو ثبت فرد لغيره لثبت له الجنس وثبوت كل ثناء بجميل له يستلزم ثبوت الجميل إذ الثناء بثبوته حقيقة فرع ثبوته كذلك، وثبوته تخييلا فرع ثبوته كذلك". وفي ضمن ذلك الاعتراف بأن كل إحسان وكمال له ولا نهاية لإحسانه ولا لكمالاته، فكان الحامد قد وصفه بكل صفة يعلمها وبكل ما يليق به مما لا يعلمه ، ولا تساويها في هذا جملة أخرى، ولذلك والله أعلم ابتدئ بها كتاب الله العزيز كما قال شيخنا المحقق أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الرحمن بن زكري[213] في تفسير سورة الفاتحة :"والحاصل أن معنى هذه الجملة الثناء على الله تعالى بأن جميع المحامد ثابتة له وذلك ظاهر إذا كانت اللام للاستغراق ، وكذا

أ- ساقط من "ا".

---

(210) هو أبو عبد الله محمد بن حسن اللقاني الشهير بناصر الدين الإمام المحقق ، أخذ عن جماعة من الشيوخ منهم أبو عبد الله الفيشي، من مصنفاته حاشية على المحلي وشرح خطبة المختصر وحاشية على شرح السعد للعقائد وغير ذلك، توفي سنة 958 ، ترجمته في نيل الابتهاج ص : 590–591 وتوشيح الديباج ص204–202 : وشجرة النور 272-271/1.

(211) شرح الزرقاني على اللقاني ص: 32 : الملزمة 11.

(212) هو محمد بن محمد بن أبي بكر بن علي بن أبي شريف المقدسي كمال الدين بن الأمير ناصر الدين، من فقهاء الشافعية ببيت المقدس، من تصانيفه الدرر اللوامع بتحرير جمع الجوامع والفوائد في شرح العقائد وغيرها، توفي سنة 906 هج، ترجمته في شذرات الذهب -33. 29/8

(213) سبقت ترجمته ضمن شيوخ المصنف.

على أنها للحقيقة لأنه إذا اختص جنس الحمد به كان كل حمد راجعا إليه، واعلم أنهم وجهوا الاستغراق بأن الحمد إما قديم أو حادث ، فالقديم وصفه والحادث فعله[فكل حمد][أ] إذا راجع إليه"[214]. قال في شرح الوسطى :" فهو تعالى إما أن يثني بنفسه على نفسه أو بنفسه على فعله أو بفعله على نفسه أو بفعله على فعله، فكل ثناء إذا مضاف إليه جل وعلا وإن اختلفت جهة الإضافة"[215]، قال شيخنا المحقق في التفسير المذكور:"وفيه أنه ليس[ب] قصد المتكلم[ج] بجملة الحمد الثناء على الله بأنه المحمود ببعض المحامد والخالق لبعضها ، وإن النسبة مختلفة والاستغراق مختلف بالاعتبار فإن تعسفه غير خفي، قال بل معنى أن كل حمد لله سواء كان قديما أو حادثا أنه تعالى هو المحمود بكل حمد، ووجهه أن الحمد إما أن يكون في مقابلة أو في مقابلة كمال غيرها، فالأول راجع إليه لأن النعمة إما منه بلا واسطة أو منه بها، إذ لا منعم على الحقيقة سواه/(22) والعبد المحمود على جلب أو دفع ملجأ لذلك ومستعمل فيه أحب أم كره ولو كشف عن حقيقة الحال لاستبان عجزه وظهر ضعفه وفقره وأنه ليس هو الجالب ولا الدافع فتعلق الحمد به باعتبار الصورة والمباشرة فقط، قال في الحكم: من أكرمك فإنما أكرم فيك جميل ستره[216] ﴿قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله﴾[217]، والثاني راجع إليه أيضا لأن

أ- في "ع": فالكل إذا راجع.

ب- ساقط من "ع".

ج- في "ط": التكلم.

---

(214) تفسير سورة الفاتحة لابن زكري الورقة 102-103 (م خ ح برقم 858).

(215) شرح الوسطى للسنوسي ص : 12.

(216) الحكم لابن عطاء الله ص :128.

(217) سورة الأعراف آية 188.

الكمال الباعث عليه إن كان للحادث فهو عارية عنده ومسديه وواهبه هو الله تعالى فهو المحمود بكل حمد على الحقيقة أي من المحامد المعتبرة شرعا ولا عبرة بحمد بعض الجهالة بعضا بالمحرمات، ومن حقق مبحث وحدانية الفعل اتضح له هذا[أ] المعنى وأنه لا ينافي أن العبد[ب] فاعل ومحمود لغة وشرعا ، هذا هو اللائق بالعبد أن يعتقده ويستحضره ولا يغفل عنه في مقام حمد الوسائط إذ ليس ثم إلا منته ومواهبه وجوده وفضله ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا [ولكن الله يزكي من يشاء]﴾[ج] [218]، ويرحم الله رابعة[219] حيث تقول:

أحبك حبين[د] حب الهوى	وحبا لأنك أهل لذاك
فأما الذي هو حب الهوى	فشغلي بذكرك عما سواك
وأما الذي أنت أهل له	فكشفك للحجب حتى أراك
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي[هـ]	ولكن لك الحمد في ذا وذاك[220]

ثم قال : والحاصل أن الخلق مظاهر كمالاته .

وفي كل شيء له آية	تدل على أنه الواحد[221]

أ- ساقط من "ع".

ب- في "ج": العابد.

ج- ساقط من "ج" و"د".

د- ساقط من "ب".

هـ-ساقط من "هـ".

(218) سورة النور آية 21.

(219) هي العابدة البصرية أم عمرو رابعة بنت إسماعيل العدوية التي عرفت بزهدها وحكمتها التي حملها عنها الكثيرون وشعر صوفي حسن ، توفيت سنة 180 هج، ترجمتها في سير أعلام النبلاء 241/8 ووفيات الأعيان 285/2 وشذرات الذهب 193/1.

(220) إحياء علوم الدين 328/4.

(221) أورده ابن كثير في تفسيره 251 ونسبه لابن المعتز.

فلا محمود على الحقيقة سواه[أ]، نظيره ليقرب ما يقال: لا مزور على الحقيقة سوى سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند زيارة الأولياء والعلماء لأنهم مظاهر تعيناته وجداول بحره، فينبغي لحامد الوسائط رعاية ذلك المعنى كما تنبغي للزائر رعاية هذا والله أعلم"[222].

وحاصله أن كل حمد مصروف إلى الله تعالى، ومما يستأنس به في هذا المعنى قول أبي نواس[223]:

وإن جرت الألفاظ يوما بمدحة   لغيرك إنسانا فأنت الذي نبغي[224]

وقول أبي الطيب[225]:

تملك الحمد حتى ما لمفتخر   في الحمد[ج] حاء ولا ميم ولا دال

وشمل الاستغراق جميع المحامد اللغوية التي موردها خاص كما يفهم من التعريف السابق وهو قولنا الثناء الخ وجميع المحامد العرفية التي /(23) موردها عام كما يفهم من تعريفهم العرفي بأنه فعل ينبئ عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعما، ومن هذا القبيل حمده تعالى لنفسه بخلقه بجميع[د]

أ- في "ع": إلا الله.

ب- في "ع": سوى زيادة نبينا محمد.

ج- ساقط من "ا".

د- في "ب": لجميع.

---

(222) تفسير سورة الفاتحة ورقة 103.

(223) هو أبو علي الحسن بن هانئ وقيل ابن وهب الشاعر المعروف بأبي نواس، ولد بالأهواز ونشأ بالبصرة، وكانت وفاته سنة 196 وقيل 198 هج، ترجمته في السير 279/9 ووفيات الأعيان 95/2 وشذرات الذهب 345/1.

(224) تاريخ بغداد 145/4.

(225) هو أبو الطيب أحمد بن حسين بن حسن الكوفي المشهور بالمتنبي، الشاعر المعروف بالذكاء بلغ الذروة في النظم، توفي سنة 354 هج، ترجمته في سير أعلام النبلاء 199/16 ووفيات الأعيان 120/1-121 وشذرات الذهب د- ساقط من "ع".

الكائنات، لأن جميعها فعل ينبئ عن كمالاته تعالى إذ هو المنعم بإيجادها وإمدادها ويدل عليها دلالة الأقوال عليها بل أتم ، كما أفصح عنه السيد رحمه الله تعالى [ورضي عنه][أ] بقوله :"اعلم أن القول المخصوص ليس حمدا لخصوصه بل لأنه دال على صفة الكمال ومظهر لها"(226)، ومن ثم قال بعض المحققين من الصوفية: حقيقة الحمد إظهار الصفات الكمالية وذلك قد يكون بالقول كما عرفت وقد يكون بالفعل وهو أقوى لأن الأفعال التي هي آثار السخاوة تدل عليها دلالة عقلية قطعية لا يتصور فيها تخلق بخلاف الأقوال فإن دلالتها عليها وضعية قد يتخلف عنها مدلولها، ومن هذا القبيل حمد الله تعالى[ب] وثناؤه على ذاته، وذلك انه تعالى حين بسط بساط الوجود على ممكنات لا تحصى ووضع عليها موائد كرمه التي لا تتناهى [][ج] فقد كشف عن صفات كماله وأظهرها بدلالات قطعية تفصيلية غير متناهية، فإن كل ذرة من ذرات الوجود تدل عليها، ولا يتصور في العبادات مثل هذه الدلالات ومن ثم قال عليه الصلاة والسلام: "لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك"(227). تنبيه: ما قررناه من أن[د] الحمد العرفي عام المورد لأنهم عرفوه بأنه فعل ينبئ الخ،

أ- ساقط من "ع".

ب- ساقط من "ع".

ج- زيادة كلمة: ولاستقصى في "ع".

د- ساقط من "أ".

---

(226) نحوه في شرح المواقف 8/1.

(227) أخرجه مسلم في الصحيح كتاب الصلاة باب ما يقال في الركوع والسجود 352/1 رقم 486 وأحمد في المسند 96/1 و118 والترمذي في السنن كتاب الدعوات باب رقم 75 542/5 رقم 3493 و3566، وأبو داود في السنن كتاب الصلاة باب في الدعاء في الركوع والسجود 547/1 رقم 878 والنسائي في السنن كتاب قيام الليل باب الدعاء في الوتر 249/3 رقم 1745 وابن ماجة في السنن كتاب الدعاء باب ما تعوذ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم 1263/2 رقم 3841 والإمام مالك في الموطأ كتاب القرآن باب ما جاء في الدعاء 214/1 رقم 31.

هذا ما قرره جماعة من شراح مختصر الشيخ[أ] خليل(228) وغيرهم، والحق أن العرفي هو اللغوي العرف بقولهم هو الثناء بالجميل الخ، لأن المفسرين أطبقوا على تفسير الحمد الواقع في القرآن بما فسره به أهل اللغة، فيكونان مترادفان وليس بينهما العموم والخصوص من وجه كما قالوا لإطباق أهل اللغة والشرع على انهما بمعنى واحد فاعلم ذلك ، لكن يخدش هذا ما تقدم عن السيد من أن الحمد كل ما يظهر صفات الكمال سواء كان من الأقوال أو من الأفعال، اللهم إلا أن يقال أن[ب] الثناء بالأفعال من باب الثناء بلسان الحال كأحد التأويلين في قوله تعالى ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾(229)، [فلا إشكال والله أعلم][ج]. قوله: [**الحمد لله**][د] **الذي ابتدأ الإنسان بنعمته**(230)، كان المصنف رحمه الله قصد بهذه الجمل التي عطف بعضها على بعض تذكير الإنسان وتنبيهه على بعض ما لله عليه من النعم الدينية والدنيوية لينقطع قلبه إلى الله/ (24) تعالى[هـ] وليتعلق[و] به وينحاش إليه ويتبتل إليه ويرتحل عن الدنيا ويقبل على الآخرة لعلمه أن أمره كله بيد الله، ومعرفته بحسن معاملة[ز] مولاه، فيحسن الظن به ويتوكل عليه

أ- ساقط من "ع".
ب- ساقط من "أ" و"ب" و "ط".
ج- ساقط من "ع".
د- ساقط من "أ" و"د" و"هـ" و"ط".
هـ- ساقط من "ط".
و- في "أ" و"ب": التعلق.
ز- في "ب" و"ج": معاملات.

(228) هو ضياء الدين خليل بن إسحاق بن موسى بن شعيب الجندي المالكي المعروف ،فقيه مشارك في علوم متعددة من عربية وحديث وفقه، من تصانيفه المختصر الفقهي في الفقه المالكي وشرح مختصر ابن الحاجب وغيرها، توفي سنة 767 هج، ترجمته في الديباج 357/1 ونيل الابتهاج ص: 168—173 وشجرة النور 223/1.
(229) سورة الإسراء آية 44.
(230) متن الرسالة ص : 3.

ويلجأ إليه في كل شيء لجأ[أ] الطفل إلى أمه لا يعرف غيرها ولا يفزع[ب] إلى سواها ولا يعتمد إلا إياها، وإن نابه أمر في غيبتها كان أول سابق إلى لسانه يا أماه ، فإنها مفزعه لأنه قد وثق بكفالتها وكفايتها وشفقتها، فيكفيه مولاه هم دنياه وأخراه ومن يتوكل على الله فهو حسبه، وأيضا فإن تذكر النعم يثمر مقاما عظيما هو أرفع مقامات اليقين وهو محبة المنعم بها وهو المولى جل جلاله، لأن شهود الإحسان من[ج] أسباب المحبة ، ففي الحديث الكريم : "جبلت القلوب على حب من أحسن إليها"[231]، وفيه أيضا "أحبوا الله لما يغذيكم به من نعمه وأحبوني بحب الله"[232]، والمحبة الحقيقية تورث مقامين من مقامات اليقين أيضا أحدهما الرضى بأفعال المحبوب الذي هو أعلى درجة من الصبر كما يرشد إليه[د] حديث "اعبد الله بالرضى فإن لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير"[233]، لأن المحب يستحسن كل ما يصدر له من المحبوب حتى يتلقى المهالك بوجه ضاحك، ومن أمثال العامة "الحجر من يد الحبيب تفاحة". [وفي هذا المعنى :

كن مطيعا لمن تحب وتهوى — أُنْسَهُ في مذلةٍ وهوان

وتلذذ بما أنالك واجعل — ذكره خدمة بغير تَوَانِ

حجر من يد الحبيب أراه — خير تفاحة بغير تَوَانِ][هـ]

أ- في "ع": كلجإ.

ب- في "ج": يعرف.

ج- في "أ": هي.

د- في "زب"و "ج" و"د": له.

هـ- سقطت هذه الأبيات من "ج" "و"د"و"ه" و"ط".

---

(231) أخرجه الشهاب في مسنده 350/1 رقم 599 والبيهقي في شعب الايمان 381/1 رقم 466 و486/6 وفيه قال أبو أحمد بن عدي : لم أكتبه مرفوعا إلا من هذا الشيخ ولا أدري يرفع هذا الحديث إلا من هذا الوجه وهو معروف عن الأعمش موقوفا.

(232) أخرجه الترمذي في السنن كتاب المناقب باب في مناقب أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم 664/5 رقم 3789.

(233) أخرجه أحمد في المسند 307/1.

واعتبر بأحوال السلف رضي الله عنهم الذين حصلت لهم المحبة الحقيقية كيف لم يتألموا و لم يحتفلوا بالبلايا، بل كانوا يتلذذون بمر القضاء[أ] وما ينزل بهم من المحن والرزايا، فقد كان معاذ[234] رضي الله عنه في مرضه يقول : اخنق خنقك فوعزتك لتعلم أني أحبك، وقال بلال[235] رضي الله عنه عند موته :

واطـــربــاه غـــدا ألـــقـــى الأحـبــة محـمــدا وحـزبــــه

وقال [عمر بن عبد العزيز[336](ب) : "اللهم إن كان هذا رضاك فزدني حتى ترضى"، وقال رسول الله [صلى الله عليه وسلم](ج) : "المومن بخير على كل حال أو(د) نفسه تنزع من بين جنبيه وهو يحمد الله"[237]، وكل هذا

أ- في "ع": القضايا.
ب- ساقط من "ع".
ج- في "أ": عليه الصلاة والسلام.
د- في "ب": إن.

(234) هو الصحابي الجليل معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ الأنصاري الخزرجي، كان يكنى أبا عبد الرحمن وهو أحد السبعين الذين شهدوا العقبة، آخى رسول الله ﷺ بينه وبين عبد الله بن مسعود، شهد بدرا والمشاهد كلها وبعثه النبي ﷺ قاضيا إلى اليمن يعلم الناس القرآن وشرائع الإسلام، توفي سنة 18 وقيل 19هج.

(235) هو الصحابي الجليل بلال بن رباح صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومولى أبي بكر الصديق اشتراه ثم أعتقه، شهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها، أذن زمن النبي صلى الله عليه وسلم وزمن أبي بكر و لم يؤذن بعد ذلك، توفي سنة 18 وقيل 20 هج، ترجمته في الاستيعاب /1781-182 وأسد الغابة 243/1-245 والإصابة 326/1.

(236) هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس الخليفة الراشد الزاهد أشج بني أمية،توفي سنة 101 هج، وترجمته في تهذيب التهذيب 475/7-478 والسير 114/5-148 وشذرات الذهب 119/1.

(237) أخرجه النسائي في السنن كتاب الجنائز باب في البكاء على الميت 12/4 رقم .1481

موجود في المشاهدات[أ] في حب الخلق. المقام الثاني الشكر ، لأن من أحب أحدا انطلق لسانه بذكره والثناء عليه، وأسرعت جوارحه الظاهرة والباطنة لاستعمال كل أدب يليق بين يديه ويقرب إليه، إذ كل محبة صادقة تنتج طاعة المحبوب وفعل ما يرضيه وإخلاص الأعمال إليه، لأن من عمل على المحبة سعى[ب] في رضى محبوبه ، فلا يحب أن يرى عمله غير محبوبه كما قيل أبت المحبة أن تستعمل محبا لغير محبوبه، وقيل :/(25)

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا محال في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع[238]

والطاعة بجارحة من الجوارح هي الشكر ، واعلم أن الشكر كما في لطائف المنن: "ثلاثة أقسام : شكر اللسان وهو التحدث بنعم الله تعالى ، قال تعالى ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾[239]، وقال عليه السلام :"التحدث بالنعم شكر"[240]، وشكر الأركان وهو العمل بطاعة الله تعالى، قال تعالى[ج] ﴿اعملوا ءال داود شكرا﴾[241]، وقام صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه فقيل له "أتتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال :أفلا أكون عبدا شكورا"[242]، وشكر الجنان هو الاعتراف بأن

أ- في "ج": بالمشاهدة.
ب- في "ج" و"د" و"ع": ساع.
ج- في "ب": سبحانه.

(238) أورده في شعب الايمان 386/1 ونسبه لأبي العتاهية.
(239) سورة الضحى آية 11.
(240) أخرجه أحمد في المسند 375/4.
(241) سورة سبأ آية 13.
(242) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب التهجد باب قيام النبي صلى الله عليه وسلم ترم قدماه 44/2 ومسلم في الصحيح كتاب صفات المنافقين وأحكامهم باب إكثار الأعمال=

كل نعمة بك أو بأحد من العباد إنما هي من الله، قال تعالى ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾[243]، وكان [عليه الصلاة والسلام][أ] إذا أصبح قال : "اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك[244]" [245].وقد روي[ب] أن داود عليه السلام قال : "إلهي ابن آدم ليس فيه شعرة إلا وفوقها نعمة وتحتها نعمة فمن أين يكافيها ، فأوحى الله إليه : يا داود إني أعطي الكثير وأرضى باليسير ، وإن شكر ذلك أن تعلم أن ما بك من نعمة فمني"[456]، وقيل أنه قال :"إلهي كيف أشكرك والشكر نعمة منك علي ؟ قال الآن شكرتني يا داود"، وقد أشار بعضهم إلى هذه الأقسام الثلاثة في قوله:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة — يدي ولساني والضمير المحجبا

واعلم أن شكر النعم يورث بقاءها وبالعكس، ففي الحكم :"من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها"[247]، وقيل:

الشكر قيد للنعم — مستلزم دفع النقم

وهو على ثلاثة — قلب يد فاعلم وقم

أ–في "هـ": صلى الله عليه وسلم.
ب– في "أ" و"ب" و"جس": ورد.

= والاجتهاد في العبادة 2171/3 رقم 79 و80 و18 ، وأحمد في المسند 255/4 والترمذي في السنن كتاب الصلاة باب ما جاء في الاجتهاد في الصلاة 269/2 رقم 412 وقال حديث حسن صحيح والنسائي في السنن كتاب قيام الليل وتطوع النهار باب الاختلاف على عائشة في إحياء الليل 219/3 رقم 1642 وابن ماجة في السنن كتاب إقامة الصلاة باب ما جاء في طول القيام في الصلوات 456/1 رقم 1419-1420.

(243) سورة النحل آية 53.

(244) أخرجه أبو داود في مسنده 315/5 رقم 5073.

(245) لطائف المنن ص :317.

(246) شرح الحكم لزروق ص : 91 (م خ ع ر برقم 2175د).

(247) الحكم ص : 117 .

وقال تعالى ﴿فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾[248]، وقال تعالى ﴿ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وءامنتم﴾[249]، وقال ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾[250]، وأنشدوا:

وأظلم خلق الله من كان جاحدا   لمن بات [أ] في نعمائه يتقلب

ويورث أيضا الزيادة منها قال تعالى ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾[251]، وقال سبحانه ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى﴾[252]، وقال ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾[253]، فالسيد الحكيم[ب] إذا رءا عبده قد قام بحق نعمته يمن عليه بأخرى ويراه (26)/ أهلا لها، وإلا سلبها منه وقطعها عنه، قال في الحكم: "من لم يعرف قدر النعم بوجدانها [عوقب بوجود فقدانها][ج]"[254]. ومن الحكم الجامعة للثمرتين قول القائل: "الشكر صيد للمفقود وقيد للموجود فبتذكر النعم تحصل المحبة والمحبة تورث شكر المحبوب والرضى بأفعاله، والشكر يورث بقاء النعم والزيادة منها"، وبتحصيل هذه المقامات وأشباهها يكون شرف العبد ورفعة قدره عند الله وعند رسوله [صلى الله عليه وسلم][د]، تنبيه: تقسيم الشكر إلى الأقسام

أ- في "ع": كان.

ب- في "أ" و"ب" و"ع": الحاكم.

ج- في "أ": عوقب بفقدانها.

د- في "أ" و"ب": عليه الصلاة والسلام.

---

(248) سورة النحل آية 112.

(249) سورة النساء آية 147.

(250) سورة الرعد آية 12.

(251) سورة إبراهيم آية 9.

(252) سورة محمد آية 17.

(253) سورة العنكبوت آية 69.

(254) الحكم ص : 139.

الثلاثة يدل على مورده عام ولذلك عرفوه بأنه فعل ينبئ عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعما وهذا هو معنى الشكر لغة وهو أيضا معناه شرعا، فكل واحد من الأقسام الثلاثة يؤدى به الشكر المطلوب شرعا على حدته كالواجب المخير، ويطلق الشكر[أ] شرعا أيضا على معنى آخر يعبرون عنه بالاستقامة في العبودية وبالتقوى، بمعنى امتثال الأوامر واجتناب النواهي الظاهرة والباطنة وهو معنى قول بعض الصوفية: هو صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه من سمع وبصر وغيرهما إلى ما خلق لأجله، وقال شيخنا في شرح الحصن الحصين: "إن معنى قولهم صرف العبد الخ، أن لا يخرج العبد عن طاعة ربه بأن تسلم جوارحه كلها وأوقاته كلها من المخالفة، قال: وعن ذلك أفصح الجنيد[255] رضي الله عنه بقوله الشكر أن لا يعصى الله بنعمه"[256]. والشكر بمعنى امتثال الأوامر واجتناب النواهي واجب شرعا على كل مكلف ويأثم بتركه إجماعا. وأما الشكر المقسم إلى الأقسام الثلاثة فليس بواجب، وصرح بعضهم بأنه إذا كان في مقابلة نعمة معينة فإنه يكون واجبا، وبحث فيه شيخنا في شرح الحصن فإن ذلك دعوى تحتاج إلى دليل فانظره فقد أطال في ذلك[257]، وتفسير المحلي[258] الشكر الواجب بالشكر بأحد الأقسام الثلاثة[ب]، اعترضوه[259]، وفي كلام

أ- في "ع": الشرع.
ب- ساقط من "ع".

(255) هو الجنيد بن محمد بن الجنيد النهاوندي البغدادي، كان والده من شيوخ الصوفية، وممن أخذ عنهم السري السقطي، توفي سنة 298 هج، ترجمته في حلية الأولياء 10/255-287 وصفة الصفوة 2/251-256 وطبقات الصوفية ص: 155-163.

(256) شرح الحصن الحصين لعبد القادر الفاسي ص: 15 (م خ ع ر برقم 1795ك).

(257) شرح الحصن الحصين لعبد القادر الفاسي ص11: و12 و13 و14.

(258) انظر كلامه في شرحه على جمع الجوامع: "1/61 وما بعدها، عند قول ابن السبكي: وشكر المنعم واجب..."

(259) انظر في ذلك حاشية البناني وتقرير الشربيني المطبوعين مع شرح المحلي على جمع الجوامع: 1/61.(طبع دار الفكر)

المصنف تنبيه للإنسان[أ] على ما يوصله لمعرفة نفسه بأوصافها وهي أوصاف العبودية ، وخالقه بأوصافه وهي أوصاف الربوبية، ولا بد من معرفته بنفسه حتى لا يدعي لنفسه ما ليس لها، [قال في الحكم : "منعك أن تدعي ما ليس لك مما للمخلوقين [فكيف يبيح][ب] لك أن تدعي وصفه وهو رب العالمين"(260)[ج] ، فلا يخرج عن أوصاف العبودية التي هي الفقر والذل والعجز والضعف، ولابد له من معرفته بربه[د] حتى يقدر الله قدره، قال في لطائف المنن عن /(27) الشيخ أبي العباس المرسي رضي الله عنه: "صلاح العبد في ثلاثة أشياء : معرفة الله ومعرفة الدنيا ومعرفة النفس، فمن عرف الله خاف منه ومن عرف الدنيا زهد فيها ومن عرف نفسه تواضع لعباد الله"(261)، وذلك كله هو فائدة التذكير الذي أمر الله به في غيرما آية كقوله ﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المومنين﴾(262) أي ذكرهم بآياتي حتى يعرفوني وبآلائي حتى يحبوني، وقد أوحى الله سبحانه[هـ] إلى داود عليه السلام: "أحبني وأحب من يحبني وحببني إلى خلقي ، فقال : وكيف أحببك إلى خلقك؟ فقال اذكرني بالحسن الجميل واذكر آلائي وإحساني وذكرهم ذلك فإنهم لا يعرفون مني إلا الجميل"، ومما يعين على تذكر النعم ما أرشد[و] إليه النبي [صلى الله عليه وسلم][ز] بقوله "انظروا إلى من دونكم

أ- في "أ" و"هـ": الإنسان.

ب- في "ع" و"هـ": أفيبيح.

ج- ساقط من "ط".

د- في "ب": ربه.

هـ- ساقط من "ع".

و- في "ب" و"ع" و"هـ": أشار.

ز- في "أ" و"ج": عليه الصلاة والسلام.

---

(260) الحكم ص :127.

(261) لطائف المنن ص : 296.

(262) سورة الذاريات آية 55.

ولا تنظروا إلى من هو[أ] فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا [نعمة الله عليكم][ب]"[263] قال الشيخ زروق :"وحمله المحققون[ج] على إطلاقه ليقع الشكر على الدين والدنيا، فإن العبد من حيث هو لا يليق به إلا النقص، فكل ما ظهر عليه فنعمة من الله وإن قل، فيشكر الله أن وفقه لقول لا إله إلا الله ولو مرة في عمره فافهم". ولسيدي أبي عبد الله بن عباد رسالة حسنة فانظرها في الرسائل الصغرى[264]. فالتذكير[د] بالنعم من أحسن ما يرد به العبد إلى مولاه ومن أقرب الطرق الموصلة إلى الرضى عن الله وحسن الظن به لتعلق القلب بالمنعم ومحبته للمحسن ولجإه إليه واعتماده عليه ، وأفضل عباد الله وأقربهم إلى الله من يحبب الله إلى عباد الله حتى تكون طاعتهم لله محبة لا خوفا، والطاعة شكرا ومحبة في الله تعالى أسهل بكثير من الطاعة خوفا منه تبارك وتعالى، لا تكن كالعبد السوء إن لم يخف لم يعمل، والحاصل أن العامل على سبيل المحبة والشكر[هـ] لا تكلف عنده ولا مشقة لأنه ساع في رضى محبوبه بخلاف من يلاحظ قاعدة التكليف والأمر والنهي فقط فإنه تشق عليه الأعمال وتطول في حقه المسافات، فالمحبون عباد الله في الله هم العارفون بالدلالة الميسرون الطريق[و] على

أ- ساقط من "ع" و"هـ".
ب- في "ع": نعم الله.
ج- في "أ": المحققين.
د- في "أ" و"ب": فالتذكر.
هـ- ساقط من "ج"و "د".
و- في "ب": للطريق.

(263) أخرجه مسلم في الصحيح كتاب الزهد والرقائق 2275/3 رقم 9 وأحمد في المسند 254/2 والترمذي في السنن كتاب صفة القيامة باب رقم 58 4/665-666 رقم 2513, وابن ماجة في السنن كتاب الزهد باب القناعة 1387/2 رقم 4142.

(264) الرسائل الصغرى لابن عباد ص : 33–34 .

الخلق، وهذه الطريق وهي طريق[أ] المحبة والعمل شكرا هي طريق الشاذلية وهي الصراط[ب] المستقيم الذي قعد الشيطان عليه، قال بعض العارفين: "لو علم الشيطان طريقا توصل إلى الله أفضل/ (28) من الشكر لوقف فيها، ألا ترى كيف قال ﴿لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾[265] ولم يقل ولا تجد أكثرهم صابرين ولا خائفين ولا راجين"، ومقصود الشيطان بذلك أن يكفر العباد نعم الله تعالى حتى يسلبوها وأن يمنعهم الرضى عن الله تعالى ويخرجهم من اختيار الله لهم إلى اختيارهم لأنفسهم فيكونون كالمدبرين مع الله المنازعين له المسيئين الظن به، وقد[ج] قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: "قرأت ليلة ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ فقيل لي: شر الوسواس وسواس يدخل بينك وبين حبيبك يذكرك أفعاله السيئة وينسيك أفعاله الحسنة ويكثر عندك ذات الشمال ويقلل عندك ذات اليمين ليعدل بك عن حسن الظن بالله وكرمه إلى سوء الظن بالله ورسوله"[266]، فاحذر هذا الباب فقد أخذ منه كثير من العباد والزهاد وأهل الطاعة[د] والسداد، ولشيخنا أبي محمد سيدي عبد السلام بن حمدون جسوس[267] نور الله ضريحه في هذا المعنى:

أ- في "أ": طريقة وفي "هـ": وأطريق.
ب- في "أ": صرط وفي "ب" و"ج" و"ع": الطريق.
ج- ساقط من "أ؛ و"ع".
د- في "أ": الطاعات.

(265) سورة الأعراف آية 16.
(266) شرح عبد الرحمن الفاسي على حزب البحر ص: 244 (م خ ع ر برقم 3510د).
(267) سبقت ترجمته ضمن شيوخ المصنف.

إذا قنطتك[أ] النفس يوما فَحسِّنَنْ ظنونَك بالمولى فذلك أليق
ألم تر أن الذنب منك محقق وأنك في بحر المواهب مغرق

ومن فتح الله بصيرته وطهر قلبه ونور سريرته قصر محبته عل مولاه ، فإن[ب] أسباب المحبة إنما [هي حقيقة في الله][ج] وهي ثلاثة : الحسن والإحسان [وعظم الشأن][د] وعزة السلطان ، أما الحسن فلا شك[هـ] أنه تعالى المنفرد بجميع صفات الكمال ونعوت الجلال إذ هو الواجب الوجود الذي ليس كمثله شيء، وكل ما سواه حادث[][و] الوجود ، وهو القديم الذي لم يسبق وجوده عدم الباقي الذي لا يلحقه عدم القادر الذي لا يعجزه شيء العالم الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة الغني الذي يفتقر إليه كل شيء ولا يفتقر إلى شيء . وأما الإحسان فلا شك أنه المنعم بجميع نعم الدنيا والآخرة ، وأنه الكريم على الإطلاق ، والكريم كما قيل هو الذي إذا قدر عفا وإذا وعد وفى وإذا أعطى زاد على منتهى الرجاء ولا يبالي كم أعطى ولا لمن أعطى، وإذا رفعت حاجة إلى غيره لا يرضى ، وإذا جفى عاتب وما استقصى، ولا يضيع من لاذ به والتجأ، ويغنيه عن الوسائل والشفعاء، وليس ذلك إلا لله سبحانه،فإذا لا محسن حقا إلا الله،﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾[268]/(29) وقد قال الشيخ أبو الحسن: "نحن لا نحب إلا الله، فقيل له : قد أبى ذلك جدك يا سيدي بقوله" جبلت القلوب

أ- في "أ" امنطتك وفي "ب"و "ج": امتطتك.

ب- في "ع": فإنما.

ج- ساقط من "ج".

د- ساقط من "ج" و"د" و"ط"، وفي "ع": عظمة الشأن.

هـ- في "ع": إشكال

و-في "أ": عم وفي "ب" و"هـ": مدعم.

---

(268) سورة النحل آية 53.

على حب من أحسن إليها"، فقال نحن لا نرى محسنا إلا الله فلا نحب سواه"[269]، وفي الحديث الكريم" يد الله سخاء الليل والنهار ، أرايتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض..."[270]، الحديث. وأما [عظم الشأن وعزة السلطان][أ] وكمال الملك والاقتدارج فلا شك أن كل شيء تحت قهره وفي طي قبضته، والكائنات كلها أثر قدرته وهو الجبار القاهر وهو المتصرف في كل شيء.بما شاء وكيف شاء لا معقب لحكمه، لا راد لما قضيت ولا مانع لما أعطيت ، (قل اللهم مالك الملك [توتي الملك لمن تشاء][ب][271]، فلا سلطان مثل سلطان الله ولا عزة مثل عزته [ولا ملك كملكه][ج]، ولشيخنا أبي محمد بن عبد السلام نفعنا الله به في ذلك أيضا:

قلوب أهل النهى[د] ببابكم وَقَفتْ تَحَقَّقَتْ أنكم للخير مُجْتَمَعُ
فالعز في جاهكم والجود في يدكم والحسن في ذاتكم فكيف تنقطع

فمن عرف هذه الثلاثة حق المعرفة فقد ظفر بالكنز العظيم وهو معرفة المولى جل جلاله، وقد قيل : إذا أراد الله أن يفتح على عبده باب ولايته ألهمه ما عليه من النعم، فيرى أن سيده يواصله في كل زمان وأوان وأنه لا يقطع عنه عادة الإحسان والامتنان على أي حال كان، وأنه غرس إحسانه

أ- في "ع": عزة الشأن وعظم السلطان.
ب- ساقط من "أ" و"د".
ج- ساقط من "ج" و"د" و"ط".
د- في "ب" و "ج": التقوى.

---

(269) التنوير في إسقاط التدبير ص : 55.
(270) أخرجه البخاري كتاب التوحيد باب قول الله تعالى﴿ لما خلقت بيدي﴾ 173/8 ومسلم في الصحيح كتاب الزكاة باب الكنازين الأموال والتغليظ عليهم 691/1 رقم 37 وأحمد في المسند 313/2 والترمذي في السنن كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة المائدة 251/5 رقم 3.
(271) سورة آل عمران آية 26.

ومعدن امتنانه، فهو لا محالة يفر إلى باب مولاه راضيا عنه محبا له فرحا به ذاكرا له بقلبه ولسانه مكتفيا به عما سواه، وقد أنشدوا:

كانت لقلبي أهواء مفرقة فاستجمعت مذ[أ] رأتك العين أهوائي[272]
تركت للناس [دنياهم ودينهم][ب] شغلا بذكرك يا ديني ودنيائي
[فصار يحسدني من كنت أحسده وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي][ج]

تنبيه: ما قررناه من أن التذكير بالنعم من أحسن ما يرد به العبد إلى مولاه إنما ذلك في حق أهل النفوس الكريمة ، وأما النفوس اللئيمة[د] فلا تنقاد إلا بسلاسل الامتحان ووقوع المصائب في الأموال والأبدان، قال الشيخ أبو مدين رضي الله عنه :"سنته عز وجل استدعاء العباد بسعة الأرزاق ودوام المعافاة ليرجعوا إليه بنعمته فإن لم يفعلوا ابتلاهم بالسراء والضراء لعلهم يرجعون، لأن مراده عز وجل رجوع العبد إليه طوعا أو كرها"[273]، وإلى هذا أشار في الحكم بقوله: "من لم يقبل على الله بملاطفة الإحسان قيده الله[هـ] بسلاسل الامتحان"[274]، فالنعم/(30) والنقم جندان من جنود الله تعالى يحوش عباده بهما إليه، ومن كتب عليه الشقاء والضلال لا ينقاد إلى الله على كل حال ﴿ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه﴾[275]، ولنرجع إلى ألفاظ

أ- في "أ": قد.
ب- في "ج": دينهم ودنياهم.
ج- سقط هذا البيت من "أ".
د- في "أ": اللايمة.
هـ- في "ب": قيد إليه.

---

(272) إحياء علوم الدين 329/4.
(273) شرح الحكم لابن عباد 70/1.
(274) الحكم ص:117 .
(275) سورة الأنعام آية 29.

الشيخ رحمه الله ، فقوله: **الذي ابتدأ الإنسان**[276]، يحتمل أن يكون ابتداء من الابتداء ن بمعنى الافتتاح كما في حديث البسملة: "كل أمر ذي بال لا يبتدأ فيه باسم الله الخ..."، فيكون كقولك ابتدأت زيدا بالكلام أو بالسلام مثلا، وعلى هذا فالباء في قوله بنعمته للتعدية لتوقف المعنى على المجرور، إذ لو قلت ابتدأت زيدا لم يتم معنى الكلام إلا بذكر المفعول الثاني، والعامل لا يتعدى إليه بنفسه فجيء بالباء المتعدية[أ] التي [هي كالهمزة][ب]، والمعنى أن مولانا[ج] سبحانه أنعم على الإنسان بالنعم قبل أن يستحقها بصالح الأعمال وأنه ابتدأ بالنوال قبل السؤال وأن أول شيء برز له من مولاه أن أنعم عليه بالنعم من غير مقتضى لذلك بل على سبيل الكرم والأفضال ، وفي أدعية النبي[د] [صلى الله عليه وسلم][هـ] : "يا مبتدئا بالنعم قبل استحقاقها"، وفي حزب الشاذلي رضي الله عنه : "فقد أعطيتنا الإيمان من قبل أن نسألك"[277]، وفي الحكم :" عنايته فيك لا لشيء منك ، وأين كنت حين واجهتك عنايته وقابلتك رعايته ، لم يكن في أزله إخلاص أعمال ولا وجود أحوال بل لم يكن هناك إلا محض الإفضال وعظيم النوال"[278]، وفي الحكم أيضا :" أنت البادئ بالإحسان من قبل توجه العابدين، وأنت الجواد بالعطايا من قبل طلب الطالبين وأنت الوهاب ثم أنت لما وهبتنا من المستقرضين"[279] وقيل:

أ- في "أ" المعدية .

ب- في "ع": التي هي بمعنى الهمزة.

ج- في "ع": المولى .

د- ساقط من "ب".

هـ-في "أ": عليه الصلاة والسلام.

(276) متن الرسالة ص: 3 .

(277) الحزب الكبير للشاذلي ص : 157 (من لطائف المنن).

(278) الحكم ص : 134.

(279) الحكم ص : 167.

بلا عمل مني إليه[أ] اكتسبته سوى محض فضل لا بشيء يعلل

ويحتمل وهو الظاهر أن يكون ابتدأ بمعنى بدأ، وبدأ هو الوارد في القرآن ﴿كما بدأكم تعودون﴾[280]، وبدأ وأبدأ وخلق وبدأ واخترع متقاربة أو مترادفة ، وعلى هذا الاحتمال فالباء يحتمل أن تكون للمصاحبة ويحتمل أن تكون للإلصاق، والمعنى أن النعم ملتصقة به وهو[ب] أبلغ من المصاحبة لأن اللصوق يقتضي اللزوم بخلاف المصاحبة ، إشارة إلى أن النعم ملازمة له لا تفارقه، وتحتمل[ج] السببية أي بسبب أن ينعم عليه، قال الشيخ زروق بعد ذكر احتمال السببية والمصاحبة: "وقد تكون منوية بهما معا فيكون التقدير : ابتدأ الإنسان بسبب نعمته حالة كونه مصحوبا بها إذ لولا إنعام الله عليه بإيجاده ما كان وجوده ، ولولا مصاحبة النعمة له لانقطع وجوده بعد إيجاده"[281]، وقوله **الإنسان**[282]، الظاهر أن أل فيه للاستغراق/(31) فيكون شاملا لجميع أفراد الإنسان ، آدم عليه السلام وذريته، مومنهم وكافرهم ، وإن كانت نعم[د] الكافر وبالا عليه بالنظر للمآل[هـ] ﴿أيحسبون أن ما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون﴾[283]، أي بل لا يشعرون أن ذلك وبال عليهم

أ- ساقط من "ا" و"ج" وفي"ع": إليك.

ب- في "ب" و"ع": هذا.

ج- في "ع": يحتمل.

د- في "ب" و"ع": نعمة.

هـ- ساقط من "ع".

(280) سورة الأعراف آية 29.

(281) شرح زروق على الرسالة 5/1.

(282) متن الرسالة ص : 3.

(283) سورة المومنون آية 56-57.

﴿إنما نملي لهم ليزدادوا إثما﴾(284)، ويدل له قوله بعد: فهدى[أ] من وفقه الخ، فإنه لما ذكر أن الجنس كله قد اشترك في النعم الدنيوية أشار إلى أنه بالنسبة إلى[ب] النعم الدينية افترق على فرقتين، ولا يبعده[ج] قوله : وصوره في الأرحام(285)، لأن الكلام يصرف[د] لما يليق به كقوله تعالى ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين﴾(286)، ولأن ذكر بعض أفراد العام بعده لا يخصصه ونظيره قوله تعالى ﴿وبعولتهن أحق بردهن﴾(287) بعد قوله ﴿والمطلقات يتربصن...﴾(288) الشامل للرجعيات والبائنات،فإن ضمير "بردهن" إنما يعود على الرجعيات فقط والله اعلم. وأما احتمال أن يكون المراد بالإنسان خصوص آدم وبضمير صوره ذريته فيكون نظير قوله تعالى ﴿ولقد خلقنا الإنسان ...الآية﴾(289) فهو بعيد لا داعي إليه هنا لأن البدء بالنعمة عام لا يختص بفرد من الأفراد بخلاف الخلق من الطين فإنه خاص بآدم عليه السلام ، فوجب أن يكون المراد بالإنسان في الآية خصوص آدم وإن كان يمكن أن يوجه هذا الاحتمال الثاني بأن آدم هو مبدأ هذا الجنس فهو من ابتدئ بالنعمة . والإنسان قيل مشتق من الأنس لأنه يأنس بشكله فيكون من أنس وقيل من آنس بمعنى

أ- في "أ" و"د" فهذا .

ب- ساقط من "ط".

ج- في "ع" يبعد.

د- في "أ": يطرق.

(284) سورة آل عمران آية 871.

(285) متن الرسالة ص : 2.

(286) سورة المومنون آية 12-13.

(287) سورة البقرة آية 226.

(288) سورة البقرة آية 226.

(289) سورة المومنون آية 12.

أبصر لأنه ظاهر مبصر ، ولذلك يقال له بشر لظهور بشرته بخلاف الجن، وقيل من النسيان لنسيانه عهد الله ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي [و لم نجد له عزما][أ](290)]، وقوله: **بنعمته**(291)، هي بكسر النون بمعنى المنة فهي اسم لكل خير كالصحة والعافية والمال ، وبفتحها التنعم وبضمها السرور، ثم اعلم أن تعقيب جملة الحمد بهذا التابع شبه البرهان بعد الدعوى لأنه لما ادعى في جملة الحمد أن كل وصف بجميل مختص بالله أو مستحق لله أتى بما يدل على ذلك، وهو أنه سبحانه هو الخالق ومعلوم أن الخلق والإيجاد يتوقف على اتصاف الموجود بصفات الكمال ، وبهذا تعلم أن تعقيب جملة الحمد في سورة الفاتحة بالوصف برب[ب] العالمين وما بعده في غاية الحسن والإيجاز كما قرره في شرح صغرى الصغرى(292). قوله : وصوره في الأرحام بحكمته(293)، أشار به إلى أن الله تعالى كان لكل إنسان قبل أن يكون لنفسه إذ هو تعالى [المنفرد بتصويره في ظلمات الأحشاء][ج]/ (32) كيف يشاء المتولي لرعايته وحفظه في أوعية البطون التي جعلها له صدفا يصونه وفرشا، بل هو تعالى المدبر له في جميع تنقلاته وأطواره والقائم له في كل ذلك بوجود إبرازه من ابتداء وجود نطفته إلى استقراره في إحدى الدارين جنته أو ناره كما أشار سبحانه إلى ذلك بقوله ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ...﴾ إلى ﴿تبعثون﴾(294)،

أ- ساقط من "ط".

ب- في "ع": لرب.

ج- في "أ": المنفرد في ظلمات الأحشاء بتصويره.

(290) سورة طه آية 115.

(291) متن الرسالة ص : 3.

(292) شرح صغرى الصغرى ص : 173.

(293) متن الرسالة ص : 3.

(294) سورة المومنون آية 12-16.

ومن ذلك ما يلزمك أيها الإنسان الاستسلام إليه والتوكل عليه ويضطرك إلى إسقاط التدبير وعدم منازعة[أ] المقادير[ب] كما أشار إليه بعضهم بقوله على لسان الحقيقة :

تذكر جميلي فيك [مذ كنت نطفة][ج] ولا تنس تصويري لشخصك في الحشا
[وأخرجتك الدنيا ولا لك حيلة ويسرتك الأرزاق من حيث لا تشاء][د]
وسلم لِيَ الاقدار[هـ] واعلم بأنني أُصَرِّفُ أحكامي وأفعل ما أشا
وكن وَاثِقاً بِي في أمورك كلها سأكفيك منها ما تخاف وما تخشا[و]

وتقدم أن ضمير صوره للإنسان ما عدا آدم ، فيتناول عيسى عليه السلام ولا يشكل عليه قوله تعالى ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل ءادم خلقه من تراب﴾[295]، لأن ضمير خلقه لآدم وهو من باب تشبيه الغريب الذي هو الولد بلا أب بالأغرب الذي هو وجود إنسان بلا أم ولا أب ردا على المخالف ، وصوره شكله على صورة[ز] أرادها لأن التصوير جعل الشيء على صورة وطور مخصوص، ﴿هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء﴾[296] ﴿أفرايتم ما تمنون ءانتم تخلقونه أم نحن الخالقون﴾[297]

أ- في "أ": المنازعة.
ب- في "هـ": القدير.
ج- ساقط من "ب".
د- سقط هذا البيت من "ج" و"د" و"ط".
هـ- في "ج" الأمر وفي "ط": الأقدار.
و- البيتان الأخيران معكوسا الترتيب في "أ" و"ب".
ز- في "أ": صفة.

---

(295) سورة آل عمران آية 59.
(296) سورة آل عمران آية 6.
(297) سورة الواقعة آية 59.

أي أنتم تخلقونه بشرا، أخرج البخاري في تاريخه عن جرير وابن المنذر والطبراني وابن مردويه من طريق موسى بن علي بن رباح عن أبيه عن جده أن النبي [صلى الله عليه وسلم][أ] قال له : "ما ولد لك ؟ قال يا رسول الله ما عسى أن يولد لي إما غلام وإما جارية ، فقال فمن يشبه؟ قال يا رسول الله ما عسى أن يشبه إما أباه وإما أمه، فقال النبي عليه الصلاة والسلام : لا تقولن هذا إن النطفة إذا استقرت في الرحم أحضر الله كل نسب بينها وبين آدم فركب خلقها[ب] في صورة من تلك الصور، أما قرأت في أي صورة ما شاء ركبك" من الدر المنثور[ج](298). وفي صحيح البخاري : "إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما وأربعين ليلة، ثم يكون علقة مثله ثم يكون مضغة مثله ثم يبعث إليه الملك فيؤذن بأربع كلمات فيكتب رزقه وأجله وشقي أم سعيد ثم ينفخ فيه الروح "(299)، وفيه أيضا من حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :"وكل الله بالرحم ملكا يقول أي ربي نطفة أي ربي علقة (33)/ أي ربي مضغة، فإذا أراد الله أن يقضي خلقها قال يا رب أذكر أم أنثى أشقي أم سعيد فما الرزق فما الأجل ، فيكتب كذلك[د] في بطن

أ- في "ب": عليه الصلاة والسلام.
ب- في "ب" و"ج" و"د": خلقتها.
ج- في "ع": المنشور.
د- في "ع" ذلك.

(298) الدر المنثور 534/6.
(299) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب التوحيد باب (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) 188/8 وكتاب الأنبياء باب خلق آدم وذريته صلصال طين 103/4، ومسلم في الصحيح كتاب القدر باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وشقاوته وسعادته 2036/3 رقم 1 ، والترمذي في السنن كتاب القدر باب ما جاء في أن الأعمال بالخواتم 446/4 رقم 2137 وابن ماجة في السنن المقدمة باب القدر 29/1 رقم 76.

أمه"(300)، والضمير المستتر في صوره لله والبارز للإنسان. والأرحام جمع رحم وهو هنا جلدة منكمشة تنفتح عند الجماع فيجتمع فيها ماء الرجل وماء المرأة ويتخلق(أ) فيها الولد، ويطلق أيضا بمعنى القرابة ، قال تعالى ﴿واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام﴾(301)، وفي الحديث :"إن الله تعالى(ب) خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه قالت الرحم : هذا مقام العائذ بك من القطيعة ؟ قال نعم ، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت بلى ، قال فهو لك"(302). ثم مقتضى الظاهر أن يفرد أولا وثانيا فيقول وصوره في الرحم أو يجمع فيقول وصورهم في الأرحام كما في آية ﴿[هو الذي](ج) يصوركم في الأرحام﴾(303) فإما أن يقال أفرد أولا نظرا للفظ الإنسان وجمع ثانيا نظرا لمعناه ، وأطلق الأرحام على الظلمات الثلاث ظلمة الرحم والبطن والمشيمة كما في [قوله تعالى](د) ﴿يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث﴾(304)،

أ- في "ب": يخلق منها.

ب- ساقط من"ع".

ج- ساقط من "ع".

د- في "أس و"ب": العظم.

(300) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الأنبياء باب خلق آدم وذريته من صلصال طين 104/4 ومسلم في الصحيح كتاب القدر باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته 2038/3 رقم 5 وأحمد في المسند 116/3.

(301) سورة النساء آية 1.

(302) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب تفسير القرآن تفسير سورة محمد 42/6 وكتاب التوحيد باب قول الله تعالى لايريدون أن يبدلوا كلام الله لقول فصل حق وما هو بالهزل اللعب 199/8 ومسلم في الصحيح كتاب البر والصلة باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها 1981/3 رقم 16 وأحمد في المسند 330/2.

(303) سورة آل عمران آية 6.

(304) سورة الزمر آية 7.

والحكمة تطلق على العلم والإتقان والإصابة في القول والشكر ويحتملها قوله تعالى ﴿يوتي الحكمة من يشاء﴾[305]، وأما كلام المصنف فيحتمل أن يراد بها فيه العلم بالأشياء على ما هي عليه بحيث لا يشوبه خطأ، أي[أ] صوره عالما بما يكون عليه وسيأتي للمصنف : **علم كل شيء قبل كونه**[306] الخ، ويحتمل أن يراد بها الإتقان والإحكام فتكون أسم مصدر أحكم. ولا شك أن هذا الشكل الآدمي من أحسن الأشكال، قال تعالى ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾[307] وقال تعالى ﴿وصوركم فأحسن صوركم﴾[308]، وذلك أنه تعالى جعل الإنسان شيئين ، جسدا وروحا، فكانت بنيته متضمنة أسرار جميع الموجودات علويها وسفليها، لطيفها وكثيفها ، فصار لذلك روحانيا جسمانيا أرضيا سماويا، وبيان ذلك على سبيل الإشارة أن المولى سبحانه ركب الإنسان من أجزاء خلقها من نطفة من ماء مهين ، وجعل في كل جزء من أجزائه منفعة خاصة به وأمده بما يحفظها عليه، وهي العظم والمخ والعصب واللحم والعروق والدم والجلد والشعر والظفر ، والسمع والبصر والشم والذوق والنطق ، فإنها كلها إنما هي من هذا الماء ، ولو أن جميع الخلائق أرادوا أن يبنوا دارا مثلا تكون مادتها مأخوذة من مجرد الماء من تراب وحجر وجير وخشب وغير ذلك لظهر عجزهم، فسبحان الحكيم[ب] الخبير ومن هو على كل شيء قدير، فخلق العظام[ج]/ (34) عمودا للجسد، ولم يجعل

أ- في "ب": إلا.

ب- في "ب": الكريم.

ج- في "أ" و"ب": العظم.

---

(305) سورة البقرة آية 862.

(306) متن الرسالة ص : 8.

(307) سورة التين آية 4.

(308) سورة غافر آية 64.

للجسد[أ] عظما واحدا ليلا يكون مثل الخشبة لا يقوم ولا يقعد ولا يركع ولا يسجد، وخلق المخ في العظام في غاية الرطوبة ليرطب[ب] يبس العظام فلا تتهشم، وخلق العضلات والعصب وربطها بها كالجبال ، وخلق اللحم وعبأه على العظام ليسد به خلل الجسد كله حتى يصير مستويا لحمة واحدة، وخلق العروق كبارا وصغارا في جميع الجسد جداول لجريان الغذاء[ج] فيها إلى أركان الجسد فيأخذ الصغير من الغذاء حاجته والكبير حاجته، وفي الحديث "جملة ما في الإنسان ثلاثمائة عرق وستون عرقا بين متحرك وساكن ووكل الله بكل عرق جمعا من الملائكة يحفظونه"، فلو تحرك الساكن أو سكن المتحرك لتأذى الإنسان بذلك[د]. وخلق الدم وأجراه في العروق سيالا خاثرا ولو كان يابسا أو أكثف مما هو عليه لم يجر فيها ، ولو كان ألطف مما هو عليه لم يحصل به الغذاء ، وخلق الجلد كسوة للحم كالوعاء له ، ولولا ذلك لهلك عادة وخلق الشعر وكسا به الجلد زينة له في بعض المواضع ووقاية في بعضها، وخلق الأظفار للرجلين واليدين لتشتد بها أطرافها لكثرة حركتها والتصرف بها في الأمور، فهي كالحاشية لأطراف الثوب وليحك بها وينتفع بها في موضع الحاجة، ولما كان قطعها مما يحتاج إليه في بعض الأوقات لم تجعل كسائر الأعضاء في تألم الإنسان بقطعه بل كالشعر، ثم انظر إلى الرأس وما جمع الله تعالى فيه من الحواس، فانظر منفعة العين مع صغر ناظرها وهي تحيط بالقمر ، وقد قيل أنه[هـ] قدر الدنيا ثمان مرات وبالشمس وقد قيل أنها قدر الدنيا مائة مرة ونيفا وستين

أ- في "ب": الجسد.

ب- في "ب": ليرطبها.

ج- في "ب" و"ع" و"هـ": الغداة.

د- في "أ": بذال.

هـ- في "ع": أنها.

مرة[أ]، وجعلها في أعلى الجسد لتكون منفعتها أعم[ب] وأتم، وجعل عليها أجفانا كالأغطية تقيها من الآفات لضعفها، يتمكن[ج] بسهولة من رفعها ووضعها كلما احتاج إلى ذلك وجعل في تلك الأجفان أهدابا زينة ووقاية لها من السقط والغبار، ووضعها سبحانه في زاوية من الوجه ليقل وصول الأذى إليها لرطوبتها وصقالتها، وجعل عظم الحاجب بارزا عليها يقيها لذلك أيضا، وأمدها بماء مالح ملازم لها يحفظها وبمادة من الدماغ تنصب إليها في عرق مجوف أرق من خيط العنكبوت منعطفا منعرجا لتصل المادة إليها على مهل بلا قوة انصباب ، وجعلها مع شدة ضعفها لا تحس بحر ولا برد لينتفع بها في سائر الأوقات. وانظر إلى الفم وما فيه من المنافع ، فجعل له /(35) شفتين ينطبقان عليه صونا له من الرياح والغبار وزينة، وأسنانا مختلفة يتمكن[د] ببعضها من القطع وببعضها من الطحن عند الحاجة إلى الأغذية الكثيفة ، ولسانا لذوق كل مأكول ومشروب وليترجم به عن كل شيء ، وعينا نباعة على الدوام أحلى من كل حلو وأعذب من كل عذب ليحرك اللسان الغذاء الكثيف [ويمزجه برطب][هـ] الماء فيعود زلقا فينحدر في الحلق بلا مؤنة ن ومن عجيب هذه[و] العين أنها مع عدم انقطاعها ألجمت أن تتعدى وجه منفعتها فلا يملأ ماؤها الفم حتى يتكلف طرحه، فتبارك الله أحسن الخالقين. وانظر إلى الأنف وما فيه من منفعة الشم وإلى الأذن وما فيه من منفعة السمع، فأنفه وأذناه أصحاب أخباره كعينه ولمسه. وجمع في الرأس أنواع الماء ، ماء العين مالح لأنها شحمة ،

أ- ساقط من "ع".
ب- في "ع": أعلى.
ج- في "ع": ليتمكن.
د- في "ع" ليتمكن.
هـ- في "ج" و"د": ويمزجه بذلك وفي "ع" و"هـ": ويخرجه بذلك.
و- في "أ": هذا.

وماء الأذن مر ليلا تدخلها الهوام لأنها لا غطاء لها، وماء الفم عذب للأكل والشرب، وماء الأنف مخالف[أ] لها كلها. وانظر اليدين وأصابعهما وما يحصل بهما من النفع ويدفع بهما من الضرر، فهما كالحجاب يدفعان عن الإنسان ،وجعل فيهما الكف والأصابع مفرقة ذات مفاصل ليتمكن من قبضها وبسطها بحسب الحاجة ، تارة يجعلها مغرفة حاملة وتارة كاسرة للأشياء الصلبة وتارة قاطعة للأشياء اللزجة[ب]، وتارة جاذبة[ج] وتارة دافعة، وتارة جامعة بين الأطعمة المختلفة وتارة مفرقة . وانظر القدمين وقطع المفاوز العظيمة والكر والفر بهما وهما كالمركوب للإنسان. وانظر إلى الأنفاس الداخل يجلب للقلب الهواء ويروح عليه والخارج يدفع عنه الهم والضيق ، وهي أربعة وعشرون ألف نفس على ما قيل ، وفي كل نفس نعمتان دخوله نعمة وخروجه نعمة، ومن جهل كثير من الناس أنهم لا يعدون النعم العامة للخلق نعما، فلا يشكرون على روح الهوا والتمكن من إخراج النفس وإدخاله والقدرة على طرح الأذى والتمكن.بما[د] يقضي به مجرد الضروريات من غير توسع ، وقد نبهنا [عليه الصلاة والسلام][هـ] لهذا المعنى بقوله: " من أصبح آمنا في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها"[309]، وفي رواية "فعلى الدنيا العفا". ثم جل هذا مما يشارك فيه الإنسان غيره من الحيوان، ويختص الإنسان عن

أ- في "ع": مخالط.

ب- في "ع" اللزمة.

ج- في "ج" و"د" و"ع" و"هـ": جالبة.

د-في "ب" و"ع" و"هـ": مما.

هـ- في "ع" و"هـ": صلى الله عليه وسلم.

(309) أخرجه الترمذي في السنن كتاب الزهد باب رقم 34 574/4 رقم 2346 وابن ماجة في السنن كتاب الزهد باب القناعة 1387/2 رقم 4141.

سائر الحيوان بالعلم والعقل والنطق وتركيب الصور وإن لم يشاهدها، وإحضار الموجودات في ذهنه وارتسام[أ] المسموعات في قواه، ويرى/(36) في نومه ما يكون في يومه، ضحاك عن سرور وبكاء عن حزن، كاتب ذو حيل، خازن للحكمة ، يخبر عن كل محسوس، يعبر عن نفسه وعن جميع المخلوقات، قابل للوحي واع للعلم، يميز ما يضره وما ينفعه، ثم الإنسان على صغر جرمه وضعفه نسخة من العالم العلوي والسفلي، ولذلك يقال له العالم الأصغر ، فإن رأسه كهيأة الفلك في شكله واستدارته واجتماع اللطائف والأنوار فيه، وفيه سبعة أعظم كأيام الجمعة، وأذناه كالمشرق والمغرب وأعضاؤه سبع كالدراري، وفي ظهره أربع وعشرون فقرة كساعات[ب] الليل والنهار ، وثمانية وعشرون مفصلا عدد منازل القمر، وفي بطنه من الأمعاء عدد أيام الأهلة ، وعروقه المتحرك منها والساكن بعدد أيام السنة ولياليها، وقدامه[ج] كالنهار وخلفه كالليل، وطبائعه أربع عدد فصول السنة، وروحه من عالم الملكوت ، وصدره المشروح الذي هو موضع العلم من اللوح المحفوظ ، وضوء بصره من نور كواكب السماء، وضحكه من صولة الرعد ، وتبسمه من البرق وبكاؤه كالمطر ، ونفسه من الريح ، ومنخراه كالريحين حار وبارد، وشعره من نبات الأرض وسواده من الليل وعظامه من الجبال ودمه من البحار ولحمه من التراب، فهو لباب هذه العوالم ، فالمطيع من أطاع الله بهذه العوالم كلها ، ولذلك عظمت الطاعة منا فوعدنا عليها بالثواب العظيم ، والعاصي منا عاص بها كلها ، ولذلك توعدنا عليها بالعذاب الأليم ، لذلك قال في المباحث:

أ- في "أ": ارتباطه وفي "ط": ارتباك.

ب- في "ع": كساعة.

ج- في "ط" : قوامه.

أليس فيك العرش والكرسي والللوح والعلوي والسفلي[310]

وقال بعضهم :

دواؤك فيك ولا تشعر وداؤك منك وتستنكر
وتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر[311]

هذا بعض[أ] ما في جسده من العجائب، وأما الروح التي هي غيب عنا فانظر ما أودع فيها من الأوصاف المشاركة لأوصافه في التسمية من علم وقدرة وإرادة وسمع وبصر وكلام ، ومن الأخلاق المحمودة والمذمومة كالرضى والغضب والكرم والبخل والصبر والجزع والذكر والغفلة [والمحبة والمعرفة][ب] والشوق والإحاطة بالأكوان والخواطر المتصلة به وغير ذلك من الخصوصيات . قال شيخنا المحقق في شرح الحكم: "وتفصيل ذلك أن فيه من معاني الملائكة العقل والمعرفة والعبادة ومن معاني الشياطين الإغواء والإذاية والتمرد[ج] والطغيان والفساد/(37) في الأرض ومن معاني الجن التشكل والتطور، ففي حالة الغضب والرفاهية يكون أسدا مفترسا وفي حالة الفاقة والمرض يكون هرا طائعا لائذا ملتمسا ، وفي غلبة الشهوة يكون خنزيرا لا يبالي أين يلقي نفسه ويدمر[د] كل من قابله، وفي حالة الحرص والشره[هـ] يكون كلبا عقورا ينبح بخصامه ويجرح بفعله وكلامه،

أ– ساقط من "أ".
ب– في "ج": المعرفة والمحبة .
ج– في "أ": التحرك.
د– في "ب" و"ج": يرمي.
هـ– في "أ": الشدة.

(310) الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية عن جملة الطريقة الصوفية لأحمد بن عجيبة وصاحب المباحث هو أحمد بن محمد التجيبي المعروف بابن البناء السرقسطي 389/2.

(311) فيض القدير 366/5.

وفي حالة الاحتيال والخداع يكون ذيبا وفي حالة العطف واللين والمحبة[أ] يكون أما وأبا، وفي حالة[ب] البغض يكون عقربا ففيه من طبائع الحشرات وغيرها من الحيوانات ، وفيه من الجنة سلامة الصدر والأخلاق الطيبة فيتنعم به كل[ج] من خالطه ولقيه، وفيه من النار أضداد ذلك فيحترق به من كانت بينه وبينه أدنى ملابسة، وفيه من العرش أنه محل التجلي الأكبر والاستواء الأعظم "ووسعني قلب عبدي المؤمن"، ومن اللوح أنه خزانة العلوم ، ومن القلم أنه ضابط العلوم ومؤلفها ، بل في جنسه رجل علمه الله علم اللوح والقلم صلى الله عليه وسلم، ومن السماء أنه محل الأسرار والأنوار ومجمع الملائكة الحفظة ، والمعقبات ثلاثمائة وستين ملكا وغيرهم، ومن الأرض أنه محل لنبات الأخلاق والطبائع ولنزول أمطار الرحمة وصواعق النقمة، ومن اللين والخشن ومن معاني النبات والأشجار أنه يكون مبدأه غضا طريا مترعرعا ، وفي آخره غثاء أحوى يابسا أسود، ومنه كشجر الياسمين اللطافة والطيب ومنه كشجر السدر الشوك وقلة المنفعة ، وكالقوسج الشوك وقبح الرائحة وكالحنظل المنظر الحسن والمذاق البشع المر، وكشجر العنب كثرة النفع وسهولة التناول ، وكالتفاح والأجاص النزهة والتفكه. ومن عجيب أمر الإنسان أنه قوي ضعيف قادر عاجز رفيع وضيع عزيز ذليل عالم جاهل، كأن الأضداد تجتمع فيه بحسب الاعتبارات المختلفة، وفيه من السماء والأرض والعيون والنبات والساكن والمتحرك، فانظر إلى دقائق هذا الصنع الجليل فسبحان من خلقه وجعل أصله علقة"[312]. وهذا نور يسير من بحر لا ساحل له ، هذا في

أ- ساقط من "ع".
ب- ساقط من "ع" و"هـ".
ج- ساقط من "أ".

(312) شرح الحكم لابن زكري ورقة 215.

الإنسان ولخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ، فلو تتبعت عجائب الملك في السماوات والأرضين وسائر حيواناتها وأشجارها ونباتها، ثم عجائب الملك في السماوات[أ] وملائكتها وعرشها وكرسيها ثم عجائب الجنة وسكانها ثم أهوال النيران وعظم زبانيتها واختلاف أنواع العذاب لأهلها لاطلعت على ما تتحير فيه العقول وتدهش لسماعه الألباب فسبحان اللهب رب العالمين، وانظر شرح الكبرى[313]، والوسطى[314]، والباء في قوله بحكمته /(38) للمصاحبة لا للآلة حتى يرد ما قيل من أنه كان من حق المصنف أن يقول بقدرته، لأن القدرة هي الصفة[ب] التي يتأتى بها الإيجاد والإعدام، لأن كون القدرة هي صفة التأثير أمر معلوم ، ومقصود المصنف التنبيه على ما لله سبحانه في هذا الخلق من الصنع العجيب ودقائق الحكمة فلذلك قال **بحكمته.**

قوله: **وأبرزه**[315]، أي أخرجه [من العدم إلى الوجود][ج] ومن ضيق البطن إلى سعة الفضاء ، وعلى هذا فالضمير للإنسان ما عدا آدم. ورد أنه إذا جاء أجل الوضع بعث الله ملكا يقال له الزاجر فيزجر الولد زجرة فيخرج وقد نسي الميثاق، وفي رواية أخرى أنه يزجر الجنين زجرة فيفزع فينقلب فيصير رأسه إلى أسفل البطن ليسهل الله على المرأة والولد الخروج ثم يزجره زجرة أخرى فيخرج الولد باكيا فزعا من الزجرة فينسى الميثاق، نقله الصقلي في الطب النبوي عن الحسن [بن

أ- ساقط من "أ" و"د" و"هـ".

ب- في "أ" و"ب": الصفات.

ج- في "ب": من الوجود إلى العدم.

(313) انظر الورقة 2 من شرح كبرى السنوسي.

(314) انظر معناه في شرح الوسطى ص.47 :

(315) متن الرسالة ص : 3.

الجهم][أ] عن أبي جعفر. قوله: إلى رفقه ، أي إلى ما يرتفق أي ينتفع به، ومرافق الإنسان منافعه، قال تعالى ﴿فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا﴾[316]، فالرفق وإن كان مصدرا فالمراد به جميع الأشياء التي يحصل له بها ارتفاق أي انتفاع من مطاعم ومشارب وملابس ومساكن ومراكب وغير ذلك من سائر ملاذه ومنافعه وحاجياته ، ويحتمل أن يكون مراده بالرفق[ب] شيئا[ج] خاصا وهو ما يرتفق به الولد في صغره من الأمور التي تناسب ضعفه وعدم قدرته على القيام بمصالح نفسه، وذلك كاللبن الذي هو غذاء لطيف كاف عن الطعام والشراب، لأن الولد إذ ذاك لا يستطيع خشونة[د] المطاعم فأجراه سبحانه في الثديين ووكل بهما مستحث الرحمة في قلب الأم ، فكلما وقف اللبن استحثته الرحمة التي جعلها الله له في الأم مستحثا لا يفتر[هـ] ومستنهضا لا يقصر، وكاشتغال الأب والأم بتحصيل مصالحه والرأفة عليه والنظر بعين المودة منهما إليه، قال في التنوير :"وما هي إلا رأفته سبحانه ساقها للعباد في مظاهر الآباء والأمهات تعريفا بالوداد، وفي حقيقة الأمر ما كفلهم إلا ربوبيته [وما حضنهم إلا إلهيته][و]"[317]، وإلى على بابها لا بمعنى مع بدليل ما بعده، قوله : **وما يسر له من رزقه**[318]، عطف تفسير أو تعميم بعد

أ- في "هـ": بن أبي الجهم.
ب- في "ب" المرفق.
ج- في "أ": شيا.
د- في "ع" و"هـ": خشونات.
هـ- في "ط": لا يعتبر.
و- ساقط من "د" و"ع".

(316) سورة الكهف آية 16.
(317) التنوير في إسقاط التدبير ص :9.
(318) متن الرسالة ص : 3.

تخصيص، وفي قوله **يسره** تنبيه على أنه تعالى قد تكفل برزق الإنسان وأنه مقدر مقسوم ، قال تعالى ﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا﴾(319)، وقال تعالى ﴿والله فضل بعضكم على بعض في الرزق﴾(320)، فما كتب منه [لكل أحد][أ] لا بد وأن يصل إليه لا فرق/(39) بين صغير وكبير [وقوي وضعيف][ب] وشريف وحقير ، ولا يزاد له بحرصه ومبالغته في تعاطي الأسباب ، كما لا ينقص له منه بتكاسله وعجزه وقعوده عن الأسباب ، نعم ما ربط تقديره بسبب لا يتوصل إليه إلا بذلك السبب كما سيأتي بسطه حتى قيل:

لو كان عن[ج] قلق أو عن مغالبة   طار البزاة بأرزاق العصافير

ولبعضهم في هذا المعنى:

يا طالب الزيد والأرزاق قد قسمت   بين الخلائق لم تنقص ولم تزد
أتعبت نفسك فيما لست مدركه[د]   وضاع عمرك في هم وفي نكد
لو طرت بين السما والأرض مجتهدا   في شربة الماء[هـ] فوق الرزق لم تجد

ومما يوضح لك[ز] أمر القسمة الإلهية ونفوذ الإرادة الأزلية حرمان كثير من الأقوياء الأذكياء وسحه وإفاضته على كثير من الضعفاء والأغبياء لتعلم أن ذلك تقدير العزيز العليم وتدبير الملك الحكيم وفي ذلك قيل :

أ–ساقط من "هـ".
ب– ساقط من "ب" و"ج".
ج– ساقط من "أ" و"ب".
د– في "ج": تدركه.
هـ– في "ب" و"ج": الماء وهو الصواب.
و– في "أ": على قدر.
ز– ساقط من"ع".

(319) سورة الزخرف آية 31.
(320) سورة النحل آية 71.

كم من قوي قوي في تقلبه مهذب الرأي عنه الرزق منحرف[أ]
وكم من ضعيف ضعيف في تقلبه كأنه من خليج البحر يغترف
هذا دليل على أن الإله له في الخلق سر خفي ليس ينكشف[321]

وللإمام الشافعي رضي الله عنه :

ومن الدليل على القضاء وكونه بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق[322]

أوحى الله إلى موسى عليه السلام : أتدري لماذا رزقت الأحمق ؟ قال لا يا رب، قال ليعلم العاقل أن طلب الرزق ليس بالاحتيال . وقيل لراهب: من أين تأكل ؟ فأشار إلى فيه وقال : الذي خلق الرحى يأتيها بالطحين. وقد قيل : سر خلق التدبير في العبد والاختيار إنما هو ظهور قهر القهار حيث يهدم ما يدبره العبد ويريده، فما خلق لك الإرادة لتكون لك الإرادة ن لكن لتنتقل منها إلى إرادة كاملة [لا تدافع][ب] وهي إرادة الحق واجب الوجود[ج] تعالى وتقدس ، لذلك قيل لبعض العارفين : بماذا عرفت ربك؟ فقال : بنقص العزائم. وإذا علمت أن رزقك مقسوم مضمون لك فلا تهتم لرزقك ولا تجتهد في السعي فيه وتدع ما هو مطلوب منك من العمل الذي تتوصل به إلى سعادة الآخرة ، فإنه موكول إلى اكتسابك له واجتهادك فيه ومراعاة شروطه وأسبابه /(40) وأوقاته ، وبذلك جرت سنة الله في عباده ، قال الله [عز وجل][د] فيما طلبه من العبد ﴿وأن ليس

أ- في "ع": ينحرف.
ب- ساقط من "ع".
ج- ساقط من "أ" و"ب".
د- في "أ" و"ب" و"د": تبارك وتعالى.

(321) حلية الأولياء 276/7 ونسبها لسفيان بن عيينة.
(322) ديوان الشافعي ص : 98.

للإنسان إلا ما سعى﴾(323) وقال ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى﴾(324) إلى آيات كثيرة ، وقال فيما ضمنه له : ﴿كأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم﴾(325)، وقال تعالى ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون...﴾ الآية(326)، وقد فهم قوم من هذه الآية سر الإيجاد وهو العبودية لله، فشغلهم القيام بحق الله عن كل ما سواه، وقال تعالى ﴿الله الذي خلقكم ثم رزقكم﴾(327)، ويستفاد منها أن الرزق كالخلق، فكما انفرد تعالى بالخلق والإيجاد كذلك هو المنفرد بالرزق والإمداد ، فقرنهما احتجاجا على العباد،ونهيا لهم أن يشهدوا رزقه[أ] من غيره وإحسانه من خلقه ، وبالجملة فشهود الرزق من الله يورث محبته ، فإن من رأى أن المطعم هو الله تجدد مزيد محبته بتجدد نعم الله ، ويورث رفع الهمة إلى الله وقصر المحبة عليه ، وقال تعالى ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾(328)، ويستفاد منها سعة كفالته وأن شيئا لا يخرج عن[ب] حياطته ورعايته [والأكل على مائدته][ج]، وقال تعالى ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون... ﴾الآية(329)، وفي تبيين محل الرزق رفع لهمم[د] الخلق ، ولأجل

أ- في "أ": رزقهم.

ب- في "أ" و"ج": منها عن.

ج- ساقط من "ع" وفي "ب" و"د": والأكل من.

د- في "أ": لهم.

(323) سورة النجم آية 38.

(324) سورة البقرة آية 196.

(325) سورة العنكبوت آية 60.

(326) سورة الذاريات آية 65.

(327) سورة الروم آية 39.

(328) سورة هود آية 6.

(329) سورة الذاريات آية 22.

هذا لما سمع بعض الأعراب[أ] هذه الآية نحر ناقته وخرج فارا إلى الله وهو يقول : سبحان الله رزقي في السماء وأنا أطلبه في الأرض، ففهم عن الله أن مراده بهذه الآية أن يرفع همم عباده إليه وأن تكون رغبتهم فيما لديه كما قال في الآية الأخرى ﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه﴾ (330)، لتنحاش الهمم إلى بابه ولتجنح القلوب إلى جنابه ، ومعنى ﴿في السماء رزقكم﴾ أنه مكتوب في اللوح المحفوظ، أو المراد الشيء الذي منه أصل رزقكم وهو المطر في السماء كما قال في الآية الأخرى ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾(331)، قال في التنوير مشيرا إلى هذا المعنى :" ويجوز أن يكون المراد تعجيز العباد عن دعوى القدرة على الرزق بالأسباب ، لأنه تعالى لو أمسك الماء عن الأرض لتعطل سبب كل ذي سبب من حارث وتاجر وخائط وكاتب وغير ذلك، فكأنه يقول : ليست أسبابكم هي الرازقة لكم ولكن أنا الرازق لكم وبيدي تيسير أسبابكم فأسلموا إلي فأنا المنزل إليكم[ب] ما به كانت أسبابكم وتمت أكسابكم"(332). وقال تعالى ﴿وامر أهلك بالصلاة ... ﴾ الآية(333)، قال في التنوير :" أي[ج] قم بخدمتنا ونحن نقوم لك بقسمتنا ، وهما شيئان شيء ضمنه الله لك فلا تتهمه، وشيء طلبه منك فلا تهمله ، فمن اشتغل [بما /(41) ضمن له][د] عن ما طلب منه فقد عظم جهله واتسعت غفلته وقلما يتنبه لمن يوقظه، بل حقيق على العبد

أ- في "أ" و"ب": العرب

ب- في "ج": إليه.

ج- ساقط من "أ".

د- ساقط من "ب".

(330) سورة الحجر آية 21.

(331) سورة الأنبياء آية 30.

(332) التنوير في إسقاط التدبير ص :45..

(333) سورة طه آية 131.

أن يشتغل بما طلب منه عن ما ضمن له، إذا كان سبحانه[أ] قد رزق أهل الجحود كيف لا يرزق أهل الشهود ، إذا كان سبحانه قد أجرى رزقه أجرى رزقه على أهل الكفران كيف لا يجري رزقه على أهل الإيمان ، فقد علمت أيها العبد أن الدنيا مضمونة لك أي مضمون لك منها ما يقوم بأودك ، والآخرة مطلوبة منك أي العمل لها لقوله سبحانه ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى﴾[334] فكيف يثبت لك عقل أو بصيرة واهتمامك بما ضمن لك اقتطعك عن اهتمامك بما طلب منك من أمر الآخرة حتى قال بعضهم: "إن الله ضمن لنا الدنيا وطلب منا الآخرة فليته ضمن لنا الآخرة وطلب منا الدنيا"[335]، قال في القوت : "كتب بعض السلف إلى بعض إخوانه من أبناء الدنيا يعظه: أخبرني عن هذا الذي تكدح فيه وتحرص عليه من أمر الدنيا ، هل بلغت منها ما تريد[ب] وأدركت ما تتمنى؟ فقال لا، قال أفرايتك[ج] هذا الذي أنت حريص عليه لم تنل منه ما تريده فكيف تنال من الآخرة وقد أعرضت وصرفت عنها ؟ فما أراك تضرب إلا في حديد بارد"[336]. وإلى هذا أشار في الحكم بقوله:" اجتهادك فيما ضمن لك دليل على انطماس البصيرة منك"[337]، وفي بعض الآثار عن الله تعالى : عبدي أطعني فيما أمرتك ولا تعلمني ما يصلحك، وقال إبراهيم

أ- في "أ" و"ب"و "ج"و"د": تعالى.

ب- في "د"تريده .

ج- في "أ" و"ب" و"ج": أفرايت.

(334) سورة البقرة آية 196.

(335) التنوير في إسقاط التدبير ص :11.

(336) قوت القلوب 100/1.

(337) الحكم ص : 105.

الخواص[338]: "العلم كله في كلمتين ، لا تتكلف ما كفيت ولا تضيع ما استكفيت"[339]، ومن هذا الباب إذا ليم[أ] الإنسان على ذنب يقول إن الله غفور رحيم، وإذا سمع أن فلانا ربح ببلد كذا سعى إليها بكب ما يمكنه وارتكب المخاطرات العظيمة من غير مبالاة بما يلقاه في ذلك ويحصل له من عظيم المشقات[ب] كما أشار إليه قول القائل:

تقول مع العصيان ربي غافر — صدقت ولكن غافر بالمشيئة
وربك رزاق كما هو غافر — فلم لا تصدق فيهما بالسوية
فإنك ترجو العفو من غير توبة — ولست ترجى الرزق إلا بحيلة
على أنه بالرزق كفل نفسه — لكل ولم يكفل لكل بجنة
فلم ترض إلا السعي فيما كفيته — وإهمال ما كلفته من وظيفة[ج]
تسيء به ظنا وتحسن تارة — على قدر ما يقضي[د] الهوى في القضية

وسيأتي تتمة لهذا عند قول المصنف: **رب العباد ورب أعمالهم**[340]، وقد أشبع الكلام على/ (42) هذه الآيات في التنوير[341]، وإنما نقلنا منه النزر اليسير. وقد علمت من هذه الآيات دليل ما ذكره المصنف من أن المولى

أ- كذا في النسخة الأم وفي باقي النسخ أليم.
ب- في "ج" المشتقات. والصواب ما أثبتناهُ
ج- في "أ": وضيفة .
د- كذا في النسخة الأم وفي باقي النسخ : يعطي.

---

(338) هو إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل أبو إسحاق الخواص ، من كبار المشايخ في عصره ولد في سر من رأى وتوفي في جامع الري سنة 291 هج، ترجمته في طبقات الصوفية ص: 284—287 وحلية الأولياء 10/325-331 وصفة الصفوة 4/67-70.

(339) طبقات الصوفية ص : 285.

(340) متن الرسالة .8 :

(341) تحدث عنها ابتداء من ص :8.

سبحانه هو المتكفل برزق عباده فإن قلت أراني[أ] إذا باشرت الأسباب تيسر لي الرزق وحصل لي ما أحتاجه وإذا قعدت عنها[ب] فقدت ذلك ولم أتوصل إليه ؟ قلت هذا صحيح في حقك وفي حق أمثالك الذين أقامهم الله في الأسباب ، وإيضاح ذلك وكشف الغطاء عنه أن الله تعالى قدر وصول العبد إلى أشياء بغير طلب ، فهو واصل إليها دونه ، [وقدر وصوله][ج] إلى أشياء [أخرى بعد الطلب][د] فلا يصل إليها إلا بعده، فالطلب من القدر[هـ] ، ولا فرق بين الأمر المطلوب وبين الطلب في أنهما مقدران[و] فلا يتنافيان ، وكذا التوكل مع السبب لا منافاة بينهما، لأن التوكل محله القلب والكسب محله الجوارح ولا تضاد مع اختلاف[ز] المحل ، فلا يترك السبب اعتمادا على القدر ، ولا يجتهد فيه مع الغفلة عنه، ولهذا يقولون لابد من الأسباب وجودا والغيبة عنها شهودا ، وقد علم مما تقدم أن ارتباط الرزق بالسبب ليس عقليا وإلا لما رزق أكثر الحيوانات، ولا عاديا وإلا لما اطرد تخلفه، وقد اطرد في البله والصبيان وذوي التجريد ، وإنما هو تشريع لأن الله[ح] أمر بعمارة هذه الدار عبودية وعبادة لينظر كيف يعملون، فكان منهم المهتدي الذي تحقق بأوصاف مولاه وأنه الفاعل لما يشاء والحاكم بما يريد، وأن ما عنده لا ينال بحيلة ولا سبب وأنه ﴿الرزاق ذو القوة

أ- في "ع": لو أني.

ب- في "ع": عينه.

ج-في "ج" و"هـ": وقد وصوله.

د- في "أ" و"ب" و"ج" و"د": أخرى بالطلب.

هـ- في "ب": القادر.

و- في "ع" و"ط": مقدوران.

ز- في "أ": اخلاف.

ح- في "ب" و"ج": الله تعالى.

المتين﴾(342)، فلاحظ ما أقامه فيه من أسباب فقام إليها عبودية وامتثالا، وأجمل حينئذ[أ] في الطلب، أو تجريد فاغتنم وقته وعمره بطاعة مولاه، ثابت القلب مطمئن النفس واثقا بضمان الله حيث قال ﴿وامر أهلك بالصلاة ...﴾ الآية(343)، ومنهم الضال الذي لم يستحضر ذلك وغلبت عليه الغفلة والسهو فطلب الرزق من غير وجهه واستغرق في ذلك أوقاته مضيعا للفرائض متعديا للحدود كأنه لم يخلق إلا لذلك، قاله شيخنا المحقق في شرحه للحكم(344) . وبما قرره[ب] من أن طلب الرزق مقدور كالرزق وأنه لا منافاة بين التوكل والسبب تعلم أنه لا منافاة بين كون الرزق ميسرا مقدرا وأن منه ما لا يتوصل إليه إلا بسبب، واعلم أن الرزق وإن كان منزلا ميسرا ولكن المولى سبحانه أبهم وقته وسببه وواسطته لفوائد وحكم عجيبة تفهم من التنوير في الفصل الذي عقده للتدبير/(43) في شأن الرزق فعليك به فإنه مهم. وفيما تقدم من كلام المصنف إشارة إلى نعمتي الإيجاد والإمداد وأن أصل وجود الإنسان من الله واستمرار وجوده من الله، فأنت عبد مملوك لا تملك من نفسك ولا لنفسك شيئا، قال في الحكم : "نعمتان ما خلا موجود عنهما ولا بد لكل مكون منهما، نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد"(345)، "[أنعم عليك][ج] أولا بالإيجاد وثانيا بتوالي[د]

أ- ساقط من "ج".
ب- في "أ": قررناه.
ج- في "أ": أنعم الله عليك.
د- في "أ": تولي.

(342) سورة الذاريات آية 58.
(343) سورة طه آية 131.
(344) شرح الحكم لابن زكري ص:136.
(345) الحكم ص.122 :

الإمداد"[346]. ونعمة الإيجاد هي إزالة العدم السابق ، ونعمة الإمداد هي إزالة العدم اللاحق، وقد قال الشيخ أبو مدين رضي الله عنه: "الحق تعالى مستبد[أ] والوجود مستمد والمادة من عين الوجود"[347]، فالموجودات بأسرها والمكونات بأجمعها آثار ناشئة عن قدرته ، وكل أثر[ب] منها شاهد بربوبيته، فلولا الله تعالى لم يكن شيء، وبعموم هاتين النعمتين تعلم أن ابتداء كل شيء منه وأن بقاء كل شيء به، فكل شيء مفتقر إليه وهو تعالى القائم بنفسه الغني على الإطلاق، فالفقر والحاجة من أوصاف العبد الذاتية له بحيث لا تفارقه أبد الأبد ، فلا يتصور من عبد غناه عن مولاه طرفة عين ، فيد الله هي العليا على كل ما سواه، ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد﴾[348]، فمن تمسك بوصفه[ج] وهو الذلة والافتقار لم يخرج عن طوره وبقي على أصله ، ومن تمسك بالعزة والاستكبار فقد تطور على غير شكله، ومن تطور على غير شكله فدمه هدر، "العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحدا منهما قصمته"[349]، وقد خرج من هذا أنك مفتقر إليه تبارك وتعالى ابتداء ودواما، إذ لولا هو ما وجدت وما استمر وجودك في مدة وجودك، وكل منهما موجه

أ- في "هـ": مستمد.

ب- في "أ" و"ب": أثار.

ج- في "أ" : بأصله ووصفه.

---

(346) الحكم ص.123 :

(347) شرح الصغرى لعبد الرحمن الفاسي ورق 29.

(348) سورة فاطر آية 15.

(349) أخرجه أحمد في المسند 2/ 376 و414 و427 442 وأبو داود في السنن كتاب اللباس باب ما جاء في الكبر 350/4 رقم 4090 وابن ماجة في السنن كتاب الزهد باب البراءة من الكبر والتواضع 1397/2 رقم 4174.

عليك الإعراض عما[أ] سواه ودوام الإقبال عليه وأن تكون على الدوام بين يديه، بالضراعة مرة والشكر مرة وبالتسليم والرضى مرة ، سيما عند ورود الأسباب المذكرة لك بالفاقة التي هي الفقر والاحتياج والذلة والمسكنة والعجز والضعف. وعلى قدر تحققك بفاقتك يكون التجاؤك إلى الله وانتصارك بالله واعتمادك على الله ، وحينئذ يمدك ويعينك وينصرك، فشهود الفاقة ينتج الغنى بالله وهو الغنى الحقيقي[ب] الذي لا غنى بعده ، وشهود الغنى [بغير الله] [ج] ينتج الفاقة إلى الناس والخلق ، ويصير اعتمادك على نفسك ونظرك إليها فيكلك[د] إليها ، وعند ذلك تفتضح أسرارك ويظهر/(44) عوارك وهذه هي الفاقة الحقيقية التي لا فاقة بعدها ، وحاصل الأمر أن المستحضر لفاقته هو بربه والغافل عنها بنفسه، ومن كان بالله لم يفته خير ومن كان بنفسه فلا خير عنده، وبقدر تحققك بفاقتك يكون تحققك بفاقة الخلائق لأنهم أمثالك، فما وجب لك وجب لهم، إذ كل شيء مخلوق مثلك عاجز مثلك ضعيف مثلك وبقدر تحققك بفاقتهم تستوحش منهم ولا تبقى لك حاجة عندهم، إذ لا معنى للاعتماد على العاجزين، وبقدر استيحاشك منهم يكون أنسك بالله تعالى، فشهود الفاقة فتح لباب الأنس، قاله شيخنا في شرح قوله في الحكم[350]: "خير أوقاتك وقت تشهد فيه فاقتك وترد فيه إلى الوجود ذلتك"[351]. ويرحم الله القائل [في الغنى بالله][هـ] :

أ- في "ع": لا.

ب- ساقط من "ع" و"هـ".

ج- ساقط من "أ".

د- في "أ": فيوكلك.

هـ-ساقط من "ع" و"ط" و"هـ".

---

(350) شرح الحكم لابن زكري ورقة : 141.

(351) الحكم ص : 123 .

تــبـارك الــلــه وســبـحــانــه　　مــن جـهـل الـلـه فـذاك الـفـقير
مــن ذا الـذي تــلــزمــه فــاقــة　　وذخـره الـلـه الـعـلـي الـكـبير

وانظر قوله تعالى ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾[352]، ثم لما كان العلم من جملة رزق الإنسان ولذلك يقال أن علم المرء محسوب من رزقه، بل هو أفضل ما رزقه الإنسان لأنه به يتوصل إلى معرفة الله وجلاله وعظمته ، وبه يتوصل إلى عبادته التي هي عنوان رضوان الله ومحبته للعبد لأن "الله إذا أحب عبدا استعمله"[353] كما في الحديث، عطفه المصنف على ما تقدم عطف خاص على عام إشارة إلى مزية هذا الفرد من الرزق، فقال: **وعلمه ما لم يكن يعلم**[354]، ومزية العلم وفضيلته مما يحتاج إلى إقامة الدليل ، قال الحسن [355]رضي الله عنه:" لولا العلم صار الناس مثل البهائم"[356]، أي بالعلم يخرج من حد البهيمية إلى حد الإنسانية ، وقد امتن الله تعالى على نبيه[أ] صلى الله عليه وسلم بالعلم في قوله ﴿وعلمك ما لم تكن تعلم﴾[357]، وعلى أزواجه في قوله ﴿واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة﴾[358]، وعلى المومنين بقوله ﴿لقد من الله على

أ–في "ج" و"هـ": النبي .

(352) سورة الطلاق آية 3.
(353) أخرجه الحاكم في المستدرك 490/1 رقم 1257 والترمذي في السنن 450/4 رقم 2142.
(354) متن الرسالة ص : 3.
(355) هو الحسن البصري ابن أبي يسار أبو سعيد الأنصاري ، روى عن عمران بن حصين وأبي موسى وغيرهما، توفي سنة 110 هج، ترجمته في السير 563/4-588 وطبقات المفسرين 150/1 وشذرات الذهب 136/1.
(356) التبصرة لابن الجوزي 193/2.
(357) سورة النساء آية 112.
(358) سورة الأحزاب آية 34.

المومنين﴾[359] الآية، وقال ﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾[360] ﴿قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور﴾[361]. ويأتي إن شاء الله جملة [مما ورد][أ] في العلماء والمتعلمين عند قوله : **ووقفوا عند ما حد لهم**[362]، وشمل كلام المصنف العلوم الضرورية والنظرية ، فقوله: **ما لم يكن يعلم** أي من العلوم الضرورية أولا ثم النظرية ثانيا، ثم العلوم النظرية يوصل بعضها إلى بعض، كما أن الضرورية يتوصل بها إلى النظرية ، إلى أن /(45) توصل[ب] بذلك لمعرفة من أشده واهتدى به لجميع مصالحه الدنيوية والأخروية التي أعظمها معرفة خالقه وما يجب له من الكمالات، فالعلم بجميع أنواعه منة وموهبة من الله لعبده ، فلا ينبغي له أن يزهو بعلمه وإن بلغ فيه ما بلغ، كما أنه لا ينبغي له أن يحتقر شيئا مما علمه الله إذ كثير من أمثاله حرم ذلك. وكان المصنف [رحمه الله][ج] لما نبه على قوت[د] الأشباح الذي هو قدر مشترك بين سائر الحيوان، نبه على القوت الحقيقي الذي هو قوت الأرواح وهو المعارف والعلوم التي امتاز بها الإنسان عن غيره من سائر أنواع الحيوان ، ولذلك كان السعي في تحصيل علوم تكميل النفس وتطهيرها من النقائص من أسباب الفلاح وهو الفوز بكل خير كما قال تعالى ﴿قد أفلح من زكاها [وقد خاب من دساها][هـ]﴾[363]، وإلى هذا أشار القائل :

أ- في "جس": ما ورد.
ب- في "أ" و"ب" و"ج" و"د": يتوصل .
ج- ساقط من "أ".
د- في "ب": قوة .
هـ- ساقط من "ع" و"ه".

---

(359) سورة آل عمران آية .461
(360) سورة الزمر آية 10.
(361) سورة الرعد آية .71
(362) متن الرسالة ص :3.
(363) سورة الشمس آية 9 و10.

يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته ... وتطلب الربح[أ] مما فيه خسران
عليك بالنفس فاستكمل فضيلتها ... فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان[364]

وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كثيرا ما يتمثل بقول القائل:

نهارك يا مغرور سهو وغفلة ... وليلك نوم والردى لك لازم
يغرك ما يفنى وتفرح بالمنى ... وكم غر باللذات[ب] في النوم حالم
وشغلك فيما سوف تكره غيه ... كذلك في الدنيا تعيش البهائم[365]

وقد سأل رجل سهل بن عبد الله التستري[366] رضي الله عنه عن القوت فقال "هو الحي الذي لا يموت ، فقال إنما[ج] سألناك عن القوام فقال القوام هو العلم، قيل إنما سألتك عن الغذاء، قال الغذاء هو الذكر ، قال إنما سألناك عن طعمة الجسد ، قال مالك وللجسد؟ دع من تولاه أولا يتولاه آخرا، إذا دخلت عليه علة فرده إلى صانعه، أما رأيت الصنعة إذا عيبت ردوها إلى صانعها حتى يصلحها"[367]. ثم لما ذكر المصنف رحمه الله جملة من النعم وكان تتبع النعم وإحصاؤها غير ممكن كما قال تعالى ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾[368]، أتى بعبارة جامعة فقال : **وكان فضل الله عليه**

أ- في "أ" المربح. والصواب ما أثبتناهُ، لأن الوزن لا يستقيم إلا به.
ب- في "أ" و"د" و"ع": بالذات.
ج- ساقط من "ع".

(364) شرح الحكم لابن عباد 77/1.
(365) شعب الايمان 409/7 رقم 10795.
(366) هو سهل بن عبد الله التستري ، صوفي مشارك في أنواع من العلوم له عدة مؤلفات منها رقائق المحبين ومواعظ العارفين وتفسير القرآن الكريم، توفي سنة 283 هج، ترجمته في السير 330/13-333 وحلية الأولياء 189/10 ووفيات الأعيان 429/2.
(367) الحلية 208/10.
(368) سورة النحل آية 18 وسورة إبراهيم آية 36.

عظيما(369)، ثم هذا[أ] مما هو واضح وضوح الشمس ودلت عليه الأدلة من الكتاب[ب] والسنة، كيف وجميع الكائنات مسخرة وخادمة للإنسان، قال تعالى ﴿وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه﴾(370)، هذه الحيوانات العجم/(46) على جفاوتها وغلظتها وقوتها وشدة شكيمتها، خلقها الله تعالى ورزقها من أجل الإنسان وذللها له ومكنه منها وملكها له حتى ركبها وحمل عليها وأكل منها فداء لرقبته برقابها ، ولو شاء تعالى لعكس، قال تعالى ﴿أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا﴾ إلى ﴿يشكرون﴾(371)، وقال ﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفء﴾ إلى ما لا تعلمون﴾(372)، وإلى هذا أشار سيدي عبد الوارث [في قصيدة على لسان الحقيقة][ج] بقوله:

فما فوقكم مخلوق أو هو تحتكم[د] عبيد لكم سخرتهم فتسخروا

قال ابن العربي : سمعت بعض العلماء يقول لا توضع اللقمة في الفم حتى توضع على أيدي ثلاثمائة وستين ملكا، فالأكوان كلها عبيد[هـ] مسخرة لك ومخلوقة من أجلك ، إما انتفاعا كما في الآيات المتقدمة ، وإما اعتبارا كما أشار تعالى إلى ذلك بقوله﴿الله الذي خلق سبع﴾ إلى قوله

أ- في "ب" و"ج" و"د": إن هذا.
ب- في "أ" و"د": الكتب.
ج- ساقط من "أ" و"ب".
د- في "هـ": هو تحت تحتكم.
هـ- ساقط من "ب".

---

(369) متن الرسالة ص : 3.
(370) سورة الجاثية آية 12.
(371) سورة يس آية 70-71-72.
(372) سورة النحل آية 5-6-7-8.

﴿علما﴾[373] فقد بين لك أن السماوات والأرض مخلوقة من أجل أن تعلم أيها الآدمي كمال قدرة خالقها وإحاطة علمه[أ]، فالآيات الأولى [ب] إشارة إلى الأقوات[ج] الحسية ، وهذه الآية[د] وما كان بمعناها إشارة إلى الأقوات[هـ] المعنوية التي هي غذاء الأرواح، وبالجملة إذا تأملت رأيت أن الإنسان هو لباب الكون ونخبته حسا ومعنى ، أما حسا فالسماء تظل[و] والأرض تقل والجهات تكتنف، والحيوانات تنفع والجمادات تدفع ، وأنت في وسط الجميع، [قال في الحكم][ز]:" جعلك في العالم المتوسط بين ملكه وملكوته ليعلمك جلالة قدرك بين مخلوقاته، وأنك جوهرة تطوى عليك أصداف مكوناته"[374]. وأما معنى، فأنت عبد الحضرة لأنه لا مخاطب سواك ولا منظور[ح] إليه غيرك ، قال تعالى ﴿ولقد كرمنا بني آدم ... ﴾ الآية[375] قال الواسطي[376]، رضي الله عنه في معنى قوله تعالى ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾، قال :" بأن سخرنا لهم الكون وما فيه ليلا يكونوا في تسخير شيء

أ- كذا في النسخة الأم ، وفي باقي النسخ : علمه بجميعها.

ب- في "ع": الأول.

ج- في "أ": القوات .

د- في "أ": الآيات.

هـ- في "أ": القوات.

و- في "أ": تصل.

ز- بياض في "ط".

ح- في "أ": منظر.

---

(373) سورة الطلاق آية 12.

(374) الحكم ص :147.

(375) سورة الإسراء آية 70.

(376) هو أبو بكر محمد بن موسى الواسطي خرساني الأصل من قدماء أصحاب الجنيد ، وقد تكلم في أصول التصوف ، توفي سنة 311 هج ، ترجمته في الرسالة القشيرية ص 41 : وحلية الأولياء /349-350 10 وطبقات الشعراني 1/99-100.

ويتفرغوا إلى عبادة ربهم"[377]. وقال ابن غازي[378] رحمه الله في الروض الهتون : "مما اشتهر من الحكاية عن بعضهم وهو والله أعلم أبو العباس أحمد بن يحي بن عبد المنان، أنه عرض له الشيطان فيما بين فاس ومكناسة فقال:

أكلتم السابح في لجة ولم تفلتوا ذوات الجناح
هذا وقد عرضتم[أ] للفنا فكيف لو خلدتم يا وقاح

فأجابه ابن عبد المنان وأحسن/ (47):

بالعقل فضلنا ربنا وسخر الفلك لنا والرياح
والحوت والطير متاع لنا فما علينا فيهما[ب] من جناح"[379]

فمما أكرم الله تعالى به الإنسان وميزه به عن غيره من الحيوان العقل، قال في التنوير: "والعقل أفضل ما من الله به على عباده ، فإنه سبحانه لما شرك جميع الموجودات في نعمتي الإيجاد والإمداد كما قد يفهم من قوله ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾[380]، أراد أن يميز بعضها عن بعض ليظهر سعة تعلقات إرادته واتساع مشيئته، فميز بعض الموجودات بالنمو كالنبات وسائر الحيوان، فظهرت القدرة فيه

أ- كذا في الروض الهتون ، وفي "أ" نشئتم وفي "ب" و"د" و"هـ" و"ط":انشئتم.
ب- في "ع": فيهم.

---

(377) شرح الحكم لزروق ص : 108 (م خ ع ر برقم 2175د) .
(378) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن غازي العثماني المكناسي ، ولد بمكناس وتوفي بفاس سنة 919 هج، من تصانيفه الروض الهتون والدرر اللوامع في قراءة الإمام نافع وله شعر حسن، ترجمته في نيل الابتهاج ص583—581 : وتوشيح الديباج ص178—176 : وفهرس الفهارس 1/288-293 ونشر المثاني .
(379) الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون ص : 17 .
(380) سورة الأعراف آية 156.

ظهورا[أ] أجلى من ظهورها[ب] فيما لا ينمو من الكائنات ، ولما اشترك النبات في النمو مع سائر الحيوانات أفرد الحيوانات بوجود الحياة فظهرت القدرة فيه ظهورا أجلى من ظهورها في الناميات، فأراد أن يميز الآدمي عن سائر الحيوانات فأعطاه العقل ففضله بذلك على[ج] الحيوان، وكمل به نعمته على الإنسان ، وبالعقل ووفوره[د] وإشراقه ونوره تتم مصالح الدنيا والآخرة"[381]، انتهى ببعض اختصار. ويكفي في فضل الإنسان وشرفه أن الله سبحانه أمر ملائكته المكرمين بالسجود لآدم تعظيما له وإكراما وطرد اللعين بعد أن عبده ثمانين ألف سنة ، فلم يترك فيما قيل موضع قدم إلا وسجد لله تعالى فيه سجدة، حيث تكبر عن ذلك كما أخبر بذلك سبحانه في غير ما آية، ومن فضله وشرفه أن الله سبحانه جعل آدم خليفته في أرضه منفذا لأحكامه حاكما بأمره ، ومن فضله أن جعله[هـ] متصرفا في الأشياء بالاختيار حتى كأنه يقول للشيء كن فيكون، وتصدر منه أمور غريبة وصنائع عجيبة يتعجب منها. ومن فضله عليه هذا اللسان الفصيح الذي يعبر به عما في الضمير ويتلوا به كلام ربه المولى القدير ، هذا بعض ما كرمه الله به في الدنيا ، وأما ما أتحفه به في الجنة فيكفي في ذلك قوله تعالى ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾[382]، وقوله ﴿وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا﴾[383]، قال الشيخ العارف بالله أبو عبد الله سيدي محمد

أ- ساقط من "ج".

ب- في "ج": ظهوره.

ج- في "أ" و"ب" و"ج" و"د": عن.

د- في "أ": ووجوده.

هـ- في "ع": فعله.

---

(381) التنوير في إسقاط التدبير ص :24 .

(382) سورة السجدة آية 17.

(383) سورة الإنسان آية 20.

ابن عباد [رحمه الله][أ] [ونفعنا به][ب] [في شرح الحكم][ج] ما نصه:"وناهيك به شرفا تسميته إياهم باسمه الكريم وهو الحي الذي لا يموت، جاء في التفسير في قوله تعالى ﴿وملكا كبيرا﴾[384]، أنه يرسل الله الملك إلى وليه ويقول له استأذ,ن على عبدي فإن أذن لك فادخل وإلا/(48) فارجع، فيستأذن عليه من وراء سبعين حجابا ثم يدخل عليه ومعه كتاب من الله تعالى مكتوب على عنوانه من الحي الذي لا يموت إلى الحي الذي لا يموت، فإذا فتح الكتاب وجد فيه مكتوبا : عبدي اشتقت إليك فزرني ، فيقول هل جئت بالبراق ؟ فيقول نعم، فيركب البراق فيغلب الشوق على قلبه فيحمله شوقه ويبقى البراق إلى أن يصل إلى بساط اللقاء"[385] انتهى. والمقصود من هذا كله تعريفك بجلالتك ورفعة قدرك عند سيدك، وإذا كنت من الجلالة بهذا المحل فقبيح بك بعد أن أكرمك مولاك بهذه الكرامات وأهلك للوقوف ببابه والانتساب إلى جنابه، ومكنك من مناجاته وذكره وتلاوة كتابه ، وأنت من ماء مهين وتراب وطين، أن تتعلق همتك بغيره وأن ترضى لنفسك بالدناءات ، وكل شيء من الدنيا دني فلا تبع نفسك بها وقد قال محمد بن الحنفية[386] رضي الله عنه :"ليس لأبدانكم قيمة إلا الجنة فلا تبيعوها إلا بها"[387].

أ- في "أ" و"ب" و"ج": رضي الله عنه.

ب- ونفعنا ببركاته.

ج- في "ع": في شرح قوله في الحكم.

(384) سورة الإنسان آية 20.

(385) شرح الحكم لابن عباد 63/1.

(386) هو أبو القاسم محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، المعروف بابن الحنفية ، أمه خولة بنت جعفر بن قيس، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه وتوفي سنة 81 وقيل 83 هج، ترجمته في تهذيب الكمال 7817 وتهذيب التهذيب 9/354-355 ووفيات الأعيان 164/4.

(387) جامع العلوم والحكم ص : 221.

قد رشحوك لأمر لو فطنت له فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل[388]

وكيف يجمل بالإنسان أن يترك ما لا غنى له عنه ويختار ما لا بقاء له معه، وفي الحكم:" العجب كل العجب ممن يهرب مما لا انفكاك له منه ويطلب ما لا بقاء له معه"[389]، ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾[390]، ولذلك قال سيدي عبد الوارث رضي الله عنه:

فمن باع ما يبقى بما هو للفنا فذاك به حمق وقلبه أحمق[أ]

وقال [صلى الله عليه وسلم][ب] للضحاك : "ما طعامك ؟ قال اللحم واللبن يا رسول الله ، قال ثم يعود إلى ماذا ؟ قال إلى ما قد عرفت يا رسول الله، قال فإن الله جعل ما يخرج من ابن آدم مثلا للدنيا"[391]، وفي الحديث: "لو كانت الدنيا من ذهب والآخرة من خزف لاختار العاقل ما يبقى على ما يفنى"[392]، فعليك برفع همتك حتى لا ترضى بدون سيدك بدلا ، فكما لم يرض لك أن يلقيك لمثلك ينبغي لك أن لا ترضى بغيره وأن لا تحب سواه إلا بحبه ، حتى نفسك التي بين جنبيك فإنه المحسن أولا وآخرا، والجميل الذي لا يتعلق بغيره إلا خسيس الهمة قليل الفهم، ففي التوراة يقول الله تعالى : أنا وحقي لك محب فبحقي عليك كن لي محبا ، ابن آدم خلقت الأشياء من أجلك وخلقتك من أجلي ، فلا تشتغل بما هو لك [عن

أ- في "أ" و"د": أعور.

ب- في "ب" و"د" و"ع": عليه الصلاة والسلام.

(388) شرح الحكم لابن زكري ورقة 166.

(389) الحكم ص : 112.

(390) سورة الحج آية 44.

(391) مجمع الزوائد 01882 ، قال رواه أحمد والطبراني ، قال ورجال الطبراني رجال الصحيح غير علي بن جدعان وقد وثق.

(392) شرح الحكم لزروق ص : 176، وهو الشرح الخامس عشر (م خ ع ر برقم 2622 د).

من][أ] أنت له"، ومصداق ذلك من القرآن العظيم ما تقدم من الآيات الدالة على تسخير الكائنات ، ومن قوله ﴿وما/(49) خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾(393) والله أعلم. وفي الحكم : "ما أحببت شيئا إلا كنت له عبدا وهو لا يريد أن تكون لغيره عبدا"(394)، لذلك قال سيدي عبد الوارث[ب] :

فيا ويحكم صرتم عبيد عبيدكم   وملتم عن المولى الذي هو أكبر

فانظر سحرة فرعون لما استنارت قلوبهم وآمنوا بربهم وعرفوا الحق لأهله، لم يحتفلوا[ج] بما وعدهم به فرعون من التقريب والإكرام ، ولم يكترثوا بما وعدهم[د] به من العذاب والقتل والصلب على جذوع النخل، فقالوا لن نوثرك على ما جاءنا من البينات، ثم قالوا ﴿والله خير وأبقى﴾(395)، قوله [رحمه الله][هـ]: **ونبهه بآثار صنعته**(396)، هذا من أعظم نعم الله على الإنسان وهو أنه تعالى نبه الإنسان بآثار صنعته على ألوهيته[و] وأوصاف ربوبيته ، فجعل له هذه المخلوقات أدلة على كمال قدرته تعالى على كل شيء ، وإحاطة علمه بكل شيء ونفوذ إرادته في كل شيء، وقد تقدم أن كل ذرة من ذرات الوجود تدل على ذلك ، فالوجود مملوء بأدلة ربوبيته وشواهد ألوهيته ، فلا يقع بصرك على شيء من الأشياء كائنا ما

أ- في "ا": عن ما.
ب- في "ع": عبد الوارث الياصلوتي رضي الله عنه.
ج- ساقط من "ج" وفي "د" لم يحفلوا.
د- في "ع": توعدهم.
هـ- ساقط من "أ".
و- في "ب": ربوبيته.

(393) سورة الذاريات آية 56.
(394) الحكم ص : 140.
(395) سورة طه آية 72.
(396) متن الرسالة ص : 3.

كان إلا وهو يشهد بالله تعالى ويدل على صفات كماله ويظهرها ويكشف عنها، ولذلك كان له كمال الظهور، وفي كلام المصنف رضي الله عنه إشارة إلى أن مولانا جل جلاله وإن حجب خلقه في هذه الدار عن رؤيته تعالى بأبصارهم لما اقتضت حكمته من أن الرفيع على الإطلاق لا يكون في الدني على الإطلاق ، فما منعهم من رؤيته ببصايرهم، فإنه سبحانه نصب لهم من الدلايل والآيات ما يتوصلون به إلى معرفته وما يجب له من الصفات لعلمه بأنهم إذا عرفوا إحسانه إليهم وفعله الجميل بهم يتشوقون إلى النظر إليه بأبصارهم ولا يصبرون عنه ، فسلى سبحانه عباده عن النظر بالبصر برؤية الأثر، لأن الأثر وهو هذه المكونات تظهر صفات كماله وتكشف عنه[أ]، ولله در القائل :

وقائلة ماذا[ب] الغرام بهم وقد حموا حسنهم[ج] صونا بأردية الستر
فقلت دعيني واشتغالي بحبهم فإن حجبوا عيني فما حجبوا فكري

وفي الحكم : "أمرك في هذه الدار بالنظر في مكوناته، وسيكشف لك في تلك الدار عن كمال ذاته، علم منك أنك لا تصبر عنه فأشهدك ما برز منه"[397]، أي لتراه ببصيرتك فيما برز منه وهو المكونات ، ولا شك أن من فتح الله بصيرته فنظر في هذه المكونات بأن جعل الكون كله بين عينيه من العرش إلى الفرش ثم جال بفكره فيه جملة وتفصيلا وقلبه ظهر البطن، فإنه يعلم أن هذا النظم العجيب والأسلوب الغريب لا يستغني عن صانع يصنعه ومدبر يدبره وفاعل يحكمه ويقدره، وفي الحقيقة كل ذرة منه

أ- في "ب" و"ج": عنها.
ب- كذا في "ط" وفي "أ" و"ب" و"ج": ما دام.
ج- في "ب" حسانهم.

(397) الحكم ص :125.

طريق توصل إلى الجامع وتنادي بلسان الحال أو المقال سبحان الخالق الصانع ، لأن كل شيء أثره ومصنوعه ، والأثر يعرف بالموثر والصنعة تشهد بالصانع ، فالوجود كله مملوء بأدلة ربوبيته وشواهد وحدانيته وعظيم قدرته، ومما يوضح لك ذلك تبديل الأحوال ، فإنه تعالى تارة يجذب الأرض وتارة يخصبها ، وتارة يصحي الجو وتارة يغيمه وطورا/(50) يكسوا الأشجار وطورا يعريها ، وحالة يرسل الرياح وحالة يحبسها ، وزمانا يثير[أ] الحر وزمانا يثير[ب] البرد إلى غير ذلك من عام أفعاله، وأما خاصها فلا يستطيع أحد إحصاءه في خصوص نفسه فضلا عن غيره إذ :"ما من نفس تبديه إلا وله فيك قدر يمضيه"[398].

سبحان من خرق الحجاب لعبده وهداه منهج قصده فرءاه
سبحان من ملأ الوجود أدلة ليلوح ما أخفى بما أبداه

وتذكر هنا ما نقلناه[ج] من كلام السيد قبيل قول المصنف: **الذي ابتدأ الإنسان بنعمته**"[399]، واعلم أن النظر المأمور به لا يقول أحد أنه لا يكون إلا على طريقة المتكليمن، لأن المطلوب إنما هو معرفة الله بأي وجه كان ، وعلى ذلك كان السلف الصالح رضي الله عنهم إلى أن ظهرت البدع ، وقد[د] قيل لطبيب بم عرفت ربك؟ فقال [بالإهليلج[400]، يجفف الحلق

أ- في "ج": يوثر .
ب- في "ج": يوثر.
ج- في "ب": تعلمناه.
د- ساقط من "أ" و"ب" و"ج".

(398) الحكم ص : 108.
(399) متن الرسالة ص : 3 .
(400) الهليلج والإهليلج والإهليلجة عقير من الأدوية، من لسان العرب مادة هزلج.

ويلين البطن ، وقيل لأديب بم عرفت ربك ؟ فقال بنحلة][أ]، في أحد طرفيها عسل وفي الآخر لسع والعسل مقلوب اللسع[ب]، وسأل الدهرية الشافعي عن دليل الصانع ، فقال ورقة الفرصاد[401] تأكلها دودة القز فيخرج منها الإبرسيم والنحل فيكون منها العسل والظباء فينعقد في نوافجها[ج] المسك، والشاة فيكون منها البعر ، فآمنوا كلهم وكانوا سبعة عشر، وقيل لأعرابي بم عرفت ربك؟ فقال البعرة تدل على البعير والروث يدل على الحمير وآثار الأقدام تدل على المسير ، فسماء ذات أبراج وبحار ذات أمواج [وأرض ذات فجاج][د] ، أما يدلك على العليم القدير؟ بمعنى أن هذه الأمور على حقارتها لها دلالة فكيف لا تكون هذه المخلوقات العظيمة دالة على خالقها.

قد يستدل بظاهر على[هـ] باطن حيث الدخان يكون موقد النار /(51)

وقد سئل عن ذلك الإمام أحمد رضي الله عنه فقال: "انظروا إلى قلعة ملساء بيضاء لا فرجة[و] فيها ، ظاهرها كالفضة المذابة وباطنها كالذهب الإبريز[402]، ثم انشقت وخرج منها حيوان سميع بصير، فلا بد من

أ- ساقط من "ع" و"هـ".

ب- في "ع": لسع.

ج- في "ع": نواحيها.

د- ساقط من "أ" و"ع" و"هـ".

هـ- في "أ": عن.

و- في "أ" و"ب" و"ج" و"د": جرحة.

(401) الفرصد والفرصيد والفرصاد عجم الزبيب والعنب والفرصاد الحمرة ، من لسان العرب مادة فرصد.

(402) لإبريز الحلي الصافي من الذهب، وفي الحديث "يخرج كالذهب الإبريز" أي الخالص، من لسان العرب مادة برز.

الفاعل[أ] الذي اعتنى بالقلعة البيضاء وبالحيوان الفرخ، وتستفيد ذلك أيضا من عجزك عن أمورك المهمة[ب] التي هي في طوقك مع تصميمك عليها وقوة عزمك"[403]، فقد قيل لبعضهم بماذا عرفت الله ؟ فقال بنقص العزايم الصدور وسوق الاختيار إلى حبايل المقدور . وقال في الحكم :"دل بوجود آثاره على وجود أسمائه وبوجود أسمائه على ثبوت أوصافه وبثبوت أوصافه على وجود ذاته ، إذ محال أن يقوم الوصف بنفسه"[404]، قال الشيخ زروق نفعنا الله به في شرحها: "والآثار ما يبدوا في الخلق من نسب الأسماء كالرحمة لقوم والانتقام من قوم والمعافاة لقوم[ج] والكرم [على قوم][د] ، إلى غير ذلك مما يدل على وجود الأسماء، والأسماء هي تفاصيل معاني الصفات، والصفات إليها ترجع معاني الأسماء، إذ الرحمن والمنتقم إنما يظهر أثرهما بوجود القدرة والإرادة على وفق[هـ] العلم ، وكذلك اسمه الضار والنافع والمعطي والمانع والملك وغير ذلك فهي دالة لنا عليها ، كما أن الأوصاف دالة على الذات من حيث أن الصفة لا تقوم بنفسها". فيظهر في أهل العزة كونه معزا، وفيمن ﴿ضربت عليهم الذلة والمسكنة﴾[405] كونه مذلا، وفي الإحياء معنى اسمه المحيي، وعند سلب الأرواح اسمه المميت وعند العطاء معنى اسمه المعطي وعند المنع معنى اسمه المانع، وعند إفاضة الفضل معنى اسمه الكريم، وعند إجابة الدعاء

أ- في "ع": الصانع.
ب- ساقط من "ج".
ج- في "هـ" : بقوم.
د- في "هـ": بقوم.
هـ- في "أ": وجه.

(403) تفسير ابن كثير 601.
(404) الحكم ص: 148.
(405) سورة البقرة آية 60.

معنى اسمه المجيب وعند تسليط المضار وجلب المنافع معنى اسمه الضار والنافع إلى غير ذلك. ولأجل أن النظر في الأكوان موصل إلى معرفة المكون جاء الحض على النظر فيهما في[أ] نحو سبعمائة آية، ولما نزل قوله تعالى في خاتمة آل عمران ﴿إن في خلق السماوات والأرض ... ﴾ الآية[406] قال عليه السلام :"ويل لمن لاكها بين لحييه و لم يتفكر"[407]، فتوعد على ترك التفكر والوعيد يقتضي الوجوب ، فمن الآيات قوله تعالى ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل ... ﴾ الآية[408] وقوله ﴿أوَلم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض﴾[409]، وقوله ﴿الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض﴾[410]، وقوله ﴿أوَلم ينظروا إلى السماء فوقهم...﴾[411]، وقوله تعالى في البقرة ﴿إن في خلق السماوات والأرض ... ﴾الآية[412]، وقوله ﴿قل انظروا ماذا في السماوات﴾[413] أي من العبر، فإذا نظرت إلى السماء واقعة على الأرض كأنها /(52) خيمة عظيمة فيها سراج منير مضيء[ب] بالنهار على أهل الخيمة ، وسرج كبيرة وصغيرة تضيء بالليل على أهلها، وتأملت في عظمتها وعلو سمكها وامتدادها على مشارق الأرض ومغاربها، [وفي دخول][ج] جميع المخلوقات في جوفها هم ومواشيهم

أ- في "ا" و"ب" و"ج": من.

ب-في "ع" و"هـ": يضيء.

ج- في "أ" و"ب" و"ع" و"هـ": دخول.

---

(406) "سورة آل عمران آية 190.

(407) أورده الآمدي في الإحكام 229/4.

(408) سورة الغاشية آية 17.

(409) سورة الأعراف آية 185.

(410) سورة الطلاق آية 12.

(411) سورة قٓ آية 6.

(412) سورة البقرة آية 163.

(413) سورة يونس آية 101.

وجميع ما يحتاجون إليه من حرث وتجر وغير ذلك، علمت يقينا أن لها صانعا حكيما ، وكذا إذا نظرت في عجائب الأرض وما فيها من بر وبحر وما في كل منهما من الحيوانات التي لا يحيط بعلمها إلا الله عز وجل ، على أن نظر الإنسان في نفسه كاف، قال تعالى ﴿وفي الأرض ءايات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾(414)، قال في الكبرى:" أقرب شيء(أ) يخرجك من التقليد بعون الله أن تنظر إلى أقرب الأشياء إليك وذلك نفسك، فتعلم على الضرورة أنك لم تكن ثم كنت، فتعلم أن لك موجدا أوجدك لاستحالة أن توجد نفسك ، وإلا لأمكن أن توجد ما هو أهون عليك من نفسك وهو ذات غيرك لمساواته لك في الإمكان"(415)، إلى آخر كلامه فانظره. [قال تعالى ﴿ أم خلقوا من غير شيء﴾(416)، ﴿أفرايتم ما تمنون﴾(417) ﴿أفرايتم ما تحرثون﴾(418) ﴿أفرايتم الماء الذي تشربون﴾(419) ﴿أفرايتم النار التي تورون﴾(420)](ب)، وقال بعض السادات : إياك وطلب الدليل من خارج(ج) فتفتقر إلى المعارج، واطلب الحق من ذاتك لذاتك تجد الحق أقرب إليك من ذاتك". ومما يوضح لك أنه تعالى أقرب إليك من ذاتك أن ذاتك وكذلك سائر الذوات محل لتصرفاته وظرف لأفعاله، فهو

أ- في "عس": ما.
ب- ساقط من "ط".
ج- في "د": الخارج.

(414) سورة الذاريات آية 20-21.
(415) كبرى السنوسي ص : 25 (من شرح الإمام محمد عليش على الكبرى).
(416) سورة الطور آية 33.
(417) سورة الواقعة آية 61.
(418) سورة الواقعة آية 66.
(419) سورة الواقعة آية 71.
(420) سورة الواقعة آية 74.

يقلبك من حال إلى حال ويقلبك من طور إلى طور، ولا تخلو عن تأثيره في [لحظة من اللحظات][أ]، ولا تنفك عن أفعاله في [وقت من الأوقات][ب] ،" ما من نفس تبديه إلا وله فيك قدر يمضيه"(421)، يقبض ويبسط ويغني ويفقر ويعز ويذل ، ويولي ويعزل وينوم ويوقظ ويذكر وينسي، ويشبع ويجوع ويروي ويظمئ، ويمرض ويبرئ ويحرك ويسكن إلى غير ذلك مما لا ينحصر ولا ينفك عنها المخلوق ، [فلا ينفك العبد عن أفعاله تعالى وتصرفاته في وقت من أوقاته][ج] ، ومن يفعل بك هذا وتستغرقك تصرفاته فإنه[د] لا تمكن غيبته ولا تتصور غفلته، بل لا تعزب عن علمه ولا تغيب عن سمعه وبصره ، فالعين التي لا ترى شواهد كونه تعالى رقيبا عليها مع استفاضتها عين عمياء ولهذا قال في الحكم: " عميت عين لا تراك عليها رقيبا"(422)، وقد تقدم عند قول المصنف: **وصوره في الأرحام بحكمته**(423) جملة صالحة [من عجائب][هـ] خلق الإنسان وأنه نسخة من الأكوان وكذلك جميع[و] أجناس الكاينات وأنواعها وأصنافها، وأشخاصها أوعية مملوة بأنواع الحكم واللطايف، وبيوت مغلقة على ضروب من[ز] العلوم وصنوف المعارف، وكيف لا وهي[ح] صنع العليم

أ- في "أ": وقت من الأوقات.
ب- في "أ" لحظة من اللحظات.
ج-ساقط من "ج" و"ط" و"هـ".
د- ساقط من "هـ".
هـ- ساقط من "ع".
و- ساقط من "أ" و"ب".
ز- ساقط من "ب" و"هـ".
ح- في "هـ": وهو.

(421) الحكم ص : 108.
(422) الحكم ص : 165 .
(423) متن الرسالة ص : 3.

الحكيم الذي لا نهاية لحكمته ولا غاية لعجائب قدرته، وتقدم قول الصحابي : "لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم/ (53) وإن الطير ليطير في السماء فنستفيد منه علما"، فإذا نبه الله العبد وأيقظه لم يشهد شيا إلا ويرى سريان المدد الإلهي فيه ، فيرى الأشياء لا من حيث ذواتها بل من حيث اتصافها بالمصنوعية، فإذا وقع بصره على شيء تذكر أنه مصنوع ونظر إلى السر الذي قامت به الصنعة من غير آلة ولا معالجة فيرى عظاما مركبة على هيئات[أ] ضمتها جلود ، ثم أنها تتحرك وتسكن وتمشي وتحمل الأثقال وتتكلم وتفهم إلى غير ذلك من صفاتها[ب] ، فإذا انقطع المدد[ج] عنها صارت جمادا وزالت عنها تلك الأحوال كلها ، وقد يترقي[د] عن هذا فيشهد الصانع يصنع ، وهؤلاء هم الذين يشهدون الله قبل الأشياء. ثم اعلم أنه وإن كان النظر في واحد من المخلوقات موصلا إلى المعرفة بالخالق تعالى، لكن على قدر ما يتسع نظر العبد في هذه المكونات على قدر ما يحصل له من المعرفة والتعظيم لخالقها المتصرف فيها والهيبة له والحياء منه، فإن ضخامة الملك تدل على عظمة الملك، وافهم هاهنا قوله تعالى ﴿وكذلك نري إبراهيم﴾[424] وقوله ﴿سبحان الذي أسرى بعبده....﴾[425] الخ وقوله ﴿لقد رأى من ءايات ربه الكبرى﴾[426]، تعرف فايدة الإسراء والاطلاع على الآيات وما زاد به محمد نبينا صلى الله عليه

أ- في "أ": هيئة.
ب- في "أ" شأنها وفي "ع" ألوانها.
ج- في "أ" و"ب": المداد.
د- في "أ" و"ب" و"ج": يترفق.

---

(424) سورة الأنعام آية 76.
(425) سورة الإسراء آية 1.
(426) سورة النجم آية 18.

وسلم على غيره من الأنبياء حين أسري به إلى ما لم يصل إليه أحد حتى رأى الله تعالى بعيني رأسه وقلبه وكلمه وتودد إليه وأوحى إليه بسره المصون وأشرق في قلبه من علمه المكنون وتعرف ما حصل له في ذلك من التجليات وما رجع به من أنواع المكرمات فصلى الله عليه وعلى آله صلاة لا يقدر قدرها إلا خالق المخلوقات ن ففرق بين من سمع وبين من رأى ، وفرق بين من رأى السلطان على بعد ومن[أ] دخل حضرته ، فمن رأى الجنة كان أشد طلبا لها ، ومن رأى النار كان أشد فرارا منها ، وافهم ها هنا قول الله تبارك وتعالى للملائكة الذين يلتمسون حلق الذكر" كيف لو رأوني ، كيف لو رأوا النار"[427]. تنبيه أهل الدليل والبرهان عامة بالنسبة لأهل الشهود والعيان لأن الله تعالى خلق في قلوبهم علما ضروريا ، به لا يحتاجون إلى دليل، قال في لطائف المنن:" واعلم أن الأدلة إنما [نصبت لمن يطلب][ب] الحق لا لمن يشهده ، فإن الشاهد غني بوضوح المشهود[ج] عن أن يحتاج إلى دليل وإن كان من الكائنات ما هو غني بوضوحه عن إقامة دليل، فالمكون أولى بغناه عن الدليل منها"[428]، قال في الرسائل الصغرى : "وقد قالوا كيف يستدلون عليه/(54) بما هو مفتقر في وجوده إليه؟ متى[د] غاب حتى يحتاج إلى الدليل عليه؟ ومتى فقد حتى تكون الآثار هي التي توصل إليه؟ أيكون لغيره من الظهور ما ليس له حتى يكون هو المظهر له؟ كيف يعرف بالمعارف من به عرفت المعارف أم كيف يتوسل إليه بمتوسل

أ- ساقط من "أ".

ب- في "ج": طلبت لمن يعرف.

ج- في "أ" و"ب" و"ج": الشهود.

د- في "أ": حتى.

---

(427) أخرجه ابن حبان في صحيحه 3/731-138 رقم 856 كما رواه ابن رجب في جامع العلوم والحكم 1/345 .

(428) لطائف المنن ص : 93.

بعيد وهو أقرب إليه من حبل الوريد ﴿أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد﴾[429]"[430]، ونحوه في مناجاة الحكم[431]. وقال الشيخ أبو الحسن "إننا لننظر إلى الله ببصر الإيمان والإيقان فأغنانا ذلك عن إقامة الدليل والبرهان"[432]، ولذلك والله أعلم قال أبو بكر رضي الله عنه :"لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا". ثم اعلم أيضا أن النظر[أ] في الكون جهات، فمن نظر فيه من جهة أنه لم يكن ثم كان ، حصل على مقام الإيمان [لأن الفعل لا بد له ن فاعل][ب]، ومن نظر فيه من جهة نسبته إلى الله واتساع حكمه فيه وأن جميعه ممتد من القدرة الإلهية، وأن علم الله وقدرته وإرادته وحكمته محيطة بكل ذرة من ذراته وأن الإنسان من جملة هذا الكون ، واستحضر كيف هو واقف[ج] بين يدي الله تعالى وقدرته وإرادته وسمعه وبصره محيطة به [ظاهرا وباطنا][د] في كل وقت، حصل على مقام الإحسان ، لأنه يكتسب بهذا النظر معرفة جلال الله وعظمته واتساع ملكه حياطته ورعايته فيقف ببابه ويراقبه في جميع أحواله ، ومن نظر فيه من جهة ما يول[هـ] إليه أمر هذا الكون وما يكون بعد هذه الدار من ثواب وعقاب ، ولأي شيء خلق الله هذا الخلق حصل على مقام الإسلام. والحاصل أن من نظر إلى وجود الكون بعد عدمه آمن بالله إذ لا يتصور

أ- في "ج" و"د": للنظر.
ب- ساقط من "ع" و"ط" و"هـ".
ج- في "ع" و"هـ": حاضر.
د- ساقط من "هـ".
هـ- في "د": يئول.

---

(429) سورة فصلت آية 52.
(430) الرسائل الصغرى لابن عباد ص : 21 – 22 .
(431) نحوه في الحكم ص : 165.
(432) شرح الحكم لابن عباد 18/1.

فعل بدون فاعل ، ومن نظر إلى أنه بعد وجوده لا يستغني عن كفالته تعالى وحفظه ورعايته في ساير أوقاته ، وأنه بمرأى منه ومسمع وأنه من جملة الكون، أحسن عبادته وراقبه في جميع أحواله. ومن نظر إلى فناء الكون وعدمه بعد وجوده أسلم وجهه إلى الله فأقبل عليه وزهد في كل ما سواه، والإقبال على الله بارتكاب المأمورات واجتناب المنهيات، وبالتفكر في الموت وسرعة حلولها ، وفيما يراه[أ] الإنسان بعدها تزكوا الأعمال وتصفوا الأحوال وتقصر الآمال ويحصل الإعراض عن الدنيا والإقبال على الآخرة ، ويرى الإنسان أن السعي بتحصيل[ب] الدنيا والحرص عليها سعي باطل وتضييع لنفايس العمر من غير طائل، ولهذا قال المصنف في آخر باب[ج] **جمل من الفرايض** :[433]"**والفكرة في أمر الله**[د] **مفتاح العبادة**"[434] الخ.

كل شيء مصيره للزوال غير ربي وصالح الأعمال

ويعين على ذكر الموت وتوقع نزولها بغتة النظر في موت الأقارب والأصحاب والجيران والأتراب، وتعاهد المقابر والجنايز وتذكر الآيات والحكم والمواعظ/(55) الواردة في شأن الموت، وسرعة انقلاب الدنيا بأهلها ، فقد قال تعالى ﴿يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع[هـ]﴾[435]،

أ- في "هـ": يرموا.
ب- في "ع": في تحصيل.
ج- ساقط من "أ" و"ب" و"ج".
د- في "ج": الله تعالى .
هـ-ساقط من "أ" و"ط" و"هـ".

(433) متن الرسالة ص :132 .
(434) متن الرسالة ص : 140.
(435) سورة غافر آية 39 .

وقال ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ إلى ﴿[متاع الغرور][أ]﴾[436] وقال ﴿فأما من طغى وآثر [الحياة الدنيا][ب] ... ﴾الآية[437]، وقال ﴿إنما الحياة الدنيا لعب ولهو ... ﴾الآية[438]، وقال الأستاذ أبو بكر الطرطوشي[439] : "اعمل للدنيا بقدر مقامك فيها واعمل للآخرة بقدر بقائك فيها واستحي من الله تعالى بقدر قربك منه وخفه بقدر قدرته عليك واعصه بقدر صبرك على النار"، قال أبو علي التهامي في قصيدة رثى فيها[ج] أولاد الملوك:

حكم المنية[د] في البرية جار[هـ] ... ما هذه[و] الدنيا بدار قرار

بينا[ز] ترى الإنسان فيها مخبرا ... أمسى بها خبرا من الأخبار

بنيت على كدر وأنت تريدها ... صفوا من الأقذاء والأقذار[ح]

ومكلف الأيام ضد طباعها ... متطلب في الماء جذوة نار

وإذا رجوت المستحيل فإنما ... تبني الرجاء على شفير هار

فالعيش نوم والمنية يقظة ... والمرء بينهما خيال سار

أ- ساقط من "أ".

ب- ساقط من "ع" و"هـ".

ج- في "ع" و"هـ" بها.

د- ساقط من "ب".

هـ- في "أ": جاري.

و- في "أ" و"ب": هداه.

ز- في "أ": بينا. وهو الصواب، لأن الوزن لا يستقيم إلا به.

ح- في "ع": الأكدار.

---

(436) سورة آل عمران آية 185.

(437) سورة النازعات آية 37.

(438) سورة محمد آية 37.

(439) هو أبو بكر محمد بن الوليد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري الطرطوشي ، كان إماما عالما زاهدا تخرج على يده العديد من العلماء، من مصنفاته سراج الملوك، توفي سنة 520 هج، ترجمته في السير 490/19-496- ووفيات الأعيان 262/4-265 وشذرات الذهب 62/4.

ومما اشتهر من الحكاية أن سليمان بن عبد الملك لما حضرت الجمعة لبس أفخر ثيابه ومس أطيب طيبه ونظر في المرآة فأعجبته نفسه وقال أنا الملك الشاب، وخرج إلى الجمعة وقال لجارية في صحن الدار كيف ترين؟ فقالت:

أنت نعم المتاع لو كت تبقى غير أن لا بقاء للإنسان

ليس فيما بدا لنا منك عيب عابه الناس غير أنك فان[440]

فما رجع لمنزله بعد الجمعة إلا محموما ورجلاه تخطان الأرض ، فسأل الجارية عما قالت، فقالت ما رأيتك ولا قلت لك شيئا، فقال إنا لله وإنا إليه راجعون، نعيت إلي نفسي، فعهد عهده وأوصى وصيته ، فلم تأت الجمعة الأخرى إلا وهو في قبره. ومن قصيدة الشيخ إسماعيل المقري اليمني مؤلف الروض في التحذير من الركون إلى الدنيا [والميل إليها][أ] والوثوق بها:

أفان بباق تشتريه سفاهة وسخطا برضوان ونارا بجنة

كلفت بها دنيا كثير غرورها تعامل من في نصحها بالخديعة

إذا أقبلت ولت وإن هي أحسنت أساءت وإن صفت فتبق بالكدورة

ولو نلت منها مال قارون لم تنل سوى لقمة في فيك منه وخرقة/(56)

وهبك بلغت الملك فيها ألم تكن لتنزعه من فيك أيدي المنية

فعيشك فيها ألف عام وتنقضي كعيشك فيها بعض يوم وليلة

ومما كتب به علي كرم الله وجهه لسلمان رضي الله عنه: "إنما مثل الدنيا مثل الحية لين مسها قاتل سمها، فأعرض عنها وعن ما يعجبك منها لقلة

أ- ساقط من "ا".

---

(440) تفسير القرطبي .46/414

ما يصحبك منها ، ودع عنك همومها لما تيقنت من فراقها ن وكن أسر ما تكون فيها أحذر ما تكون منها ، فإن صاحبها كلما اطمأن فيها إلى سرور أشخص فيها إلى مكروه"(441). وسيأتي لهذا المعنى تتمة في تنبه عند قول المصنف :"﴿وأن الساعة آتية لا ريب فيها﴾(442)،"(443). وقول المصنف : **ونبه**(أ)... الخ(444) عطف على قوله **وعلمه** الشامل له ولغيره من العلوم عطف خاص على عام، وإنما خصه بالذكر لشرف هذا العلم على غيره منساير العلوم ، لأن مرجعه إلى معرفة الله تعالى وما يجب له من علي الصفات ، وشرف كل علم بحسب متعلقه، وقد علمت أنه تحصل به المقامات الثلاث التي هي عماد الدين، والتنبيه الإيقاظ تقول نبهت النائم أو الغافل أو الجاهل إذا أيقظته من سنة النوم أو الغفلة أو الجهل، والمقصود هنا هو الثالث، فمعنى ونبهه أيقظه من سنة الجهل، أي أخرجه من ظلمة الجهل إلى نور العلم، وهذا الإيقاظ حصل بمجموع أمرين،أحدهما العقل الذي ركبه سبحانه(ب) في الإنسان ، والثاني ما نصب له من هذه الآيات(ج) والدلايل التي توصله إلى معرفة خالقه، وحذف المصنف الأمر الأول للعلم به ثم إن التنبيه يتوقف على منبه بكسر الباء، [ومنبه بفتحها](د) ومنبه به، وهذه الثلاثة مذكورة في كلام المصنف، ويتفق(هـ) أيضا على منبه عليه،

أ- في أس: ونبهه بآثار.

ب- ساقط من "ع".

ج- ساقط من "أ" و"ط".

د- ساقط من "ع".

هـ- في "ب": يتوقف.

---

(441) نهج البلاغة 556/4.

(442) سورة الحج آية 7.

(443) متن الرسالة ص : 8.

(444) متن الرسالة ص : 3.

وحذفه المصنف للعلم به من السياق، وهو معرفة الله [وغير ذلك مما سبق][أ]. وقوله: **بآثار صنعته**[445]، الأثر ما ينشأ عن الشيء ، قال تعالى ﴿فانظر إلى أثر رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها﴾[446]، والمراد برحمة الله المطر ، وقوله **صنعته** يحتمل أن يكون المراد بالصنعة المصنوع كما هو المتبادر الكثير، فتكون الإضافة بيانية أي الآثار التي هي مصنوعاته، ويحتمل أن يكون المراد بالصنعة المعنى المصدري بمعنى الصنع أي الفعل ، فيكون من إضافة أحد المتغايرين للآخر، وإن شئت قلت من إضافة المسبب إلى السبب، أي الآثار الصادرة عن فعله، قوله رحمه الله: **وأعذر إليه**...الخ [447]، هذا أيضا من أكبر النعم وأعمها وأنفعها ، وهي نعمة بعث الله رسله ورحمته بهم الخلق دنيا وأخرى، وذلك أنه تعالى/(57) بعد أن تعرف لعباده بما نصب لهم من الآيات الدالة على وحدانيته وباهر قدرته ،[لم يقتصر على ذلك بل][ب] كمل نعمته عليهم ببعث رسله إليهم ليعرفوهم بالله ويدلوهم عليه ويدعوهم إليه، وينقذوهم من [عذاب الله][ج] ويبلغوهم أوامره ونواهيه ووعده ووعيده ، ويعرفوهم بما لم يعلموه من حقه وجلاله وعظيم نواله، ويبشروهم ويحذروهم وينقذوهم مما كانوا فيه من الجهالات والعمايات والضلالات، وقد كانوا يعبدون غير الله تعالى من الأصنام وغيرها من الجمادات مما هو مخلوق مثلهم، ولم يخلقهم ولم يرزقهم ويضيفون نعمه إلى غيره ويعتقدون في

أ- في "أ" و"ب" : وألوهيته وربوبيته.

ب- في "ج" و"د": هذه.

ج- في "ع"ك أن الله.

(445) متن الرسالة ص : 3.

(446) سورة الروم آية 49.

(447) متن الرسالة ص : 3.

حقه ما لا يجوز عليه ، ويئدونه البنات ويكشفون العورات ويحرمون ما لم يحرمه الله عليهم، وغير ذلك من الأمور الشنيعة والأحوال[أ] البشعة والفعال الفظيعة[ب] ، وقد أشار[ج] الله تعالى إلى جهالات العرب التي لا يهدي إليها عقل[د] ولا يرشد إليها شرع في قوله ﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا...﴾[448]، وبيان ذلك أن الجاهل بمنزلة الأعمى ، فإذا لم يجد من يقوده في طريقه هلك، وفرق كبير بين من يسلك الطريق بالإمارات والعلامات ومن يسلكها مع الخبير بها فاشتدت الحاجة إلى الرسل ، وقد امتن الله سبحانه على المومنين بذلك في غير ما آية ، قال الله تعالى ﴿لقد من الله على المومنين...﴾[449] وقال ﴿إنا كنا مرسلين رحمة من ربك﴾[450] وقال سبحانه ﴿إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا﴾[451] وقال ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾[452]، وقال صلى الله عليه وسلم لجبريل "هل نالك من هذه الرحمة شيء ؟ قال : نعم كنت أخاف العاقبة فأمنت"[452]، وقال صلى الله عليه وسلم لجبريل "هل نالك من هذه الرحمة شيء ؟ قال : نعم كنت أخاف العاقبة فأمنت"[453]، أي لأن الله تعالى أثنى عليه بقوله ﴿نزل به الروح الأمين﴾[454]، وأعلم أن النذارة نعمة

أ-. في "ع" الأفعال.

ب- في "أ" العظيمة.

ج-في "ج" و"ع" : أرشد.

د- ساقط من "ع".

---

(448) سورة الأنعام آية 137.

(449) سورة آل عمران آية 164.

(450) سورة الدخان آية 4-5.

(451) سورة الفتح آية 8.

(452) سورة الأنبياء آية 106.

(453) قال العجلوني في كشف الخفاء 443/2 رقم 2884 : هذا باطل لا أصل له كما نبه على ذلك السيوطي في كتابه المسمى بما رواه الخواص في تكذيب القصاص.

(454) سورة الشعراء آية 193

عظيمة على الخلق كالبشارة، لأن من بالغ[أ] في نصحك وحذرك وخوفك من ارتكاب ما تسوءك عاقبته، فقد أعظم عليك المنة، وذلك كمن رأى أعمى وقد أشرف على السقوط في مهواة أو نار ولا[ب] علم له بذلك فحذره وأخذ بيده وقاده إلى طريق النجاة، وقد جعل الله سبحانه التحذير رأفة بقوله ﴿ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد﴾[455]، وبهذا تفهم وجه الحصر في قوله تعالى ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾[456] مع ما علم من أنه [صلى الله عليه وسلم][ج] بشير لمن آمن ونذير لمن كفر، وقد كان [صلى الله عليه سلم][د] معتنيا بإرشادهم حريصا على هدايتهم حتى قيل له ﴿لعلك باخع نفسك﴾[457] ﴿إن تحرص على/(58) هداهم...﴾[458]، وأيضا فإن وجوده بين أظهرهم سبب في عدم تعجيل عقوبتهم وأمان من المثلات[هـ] التي كانت تنزل بغيرهم، ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾[459]، وبذلك أيضا وجه ذكر في قوله تعالى ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾[460] بعد قوله ﴿يرسل عليكما شواظ﴾[461]، مع أن

أ- في "ا": بلغ.

ب- في "أ": ما.

ج- في "أ" و"ب" و"ج": عليه الصلاة والسلام.

د- في "ا" و"ب" و"ج": عليه الصلاة والسلام.

هـ- في "أ" الثلاث .

---

(455) سورة آل عمران آية 30.

(456) سورة الأنبياء آية 106.

(457) سورة الشعراء آية 2.

(458) سورة النحل آية 37.

(459) سورة الأنفال آية 33.

(460) سورة الرحمن آية 35.

(461) سورة الرحمن آية 33.

الآلاء هي[أ] النعم فيخفى على غير المتأمل وجه ذكرها على[ب] ما ليس بنعمة في الظاهر، ولا شك أن الله سبحانه قد أنقذ ببركة بعثة الرسل من الخلائق ما لا يتأتى عليه الحصر، وقد جعل الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم من ذلك الحظ الأوفر والنصيب الأكبر، [لأن أمته أعظم الأمم، وقد اهتدى على يديه صلى الله عليه وسلم من الخلق ما لا يعلم عددهم إلا الله تعالى][ج]، وبذلك تعرف عظيم منزلته عند الله سبحانه،وجزيل ثوابه وكرامته عليه.

والمرء في ميـزانـه اتبـاعـه فاقدر إذا قدر النـبي محمد

قال في شرح صغرى الصغرى : "ببركة مبعثه الشريف وطلوع طلعته البهية السعيدة على أهل الأرض انكشفت عنهم ظلمات الجهالات التي عمت وانتشرت وتمكنت غاية التمكن في جميع الآفاق والقلوب، وتشعشت أنوار الإيمان بالله ورسله كتبه وملائكته ، وأخرجت لهم ذخائر المعارف الربانية ونفائس الحكم والعلوم ، وحلوا بجواهر الأسرار التي خبئت لهم في خزائن الغيوب حتى كثرت منهم في كل جيل الأقطاب والأوتاد والنقباء والأخيار والأبدال، وضجت الأرض سهلها وجبالها برها وبحرها بتوحيد المولى واللهج بشكره وذكره وحمده على كل حال ، وانتشرت أمته صلى الله عليه وسلم وتطاولت أزمنتها إلى موافاة القيامة، وحفظ الله سبحانه[د] عليهم الإيمان مع اختلاف الدور وانتشار المحن وبعد العهد من مشاهدة أهل الحق والسنن والاستقامة ومنى سبحانه أنوارهم [الحسية والمعنوية][هـ] دنيا وأخرى، حتى ج كانوا

أ- ساقط من "ب".

ب- في "ع": بعد.

ج- ساقط من "ع".

د- ساقط من "ع".

هـ- في "هـ": المعنوية والحسية.

لمعرفتهم بالله أن يكونوا أنبياء ، وأكثر سبحانه عددهم كثرة عظيمة تخرج عن الحصر ، حتى جعلهم بفضله[أ] ثلثي جميع من يدخل الجنة من السعداء والأتقياء ، وقد ورد أن[ب] صفوف أهل الجنة مائة وعشرون صفا، ثمانون منها[ج] لهذه الأمة"[462]، ولعلهم وإن كانوا ثلثي أهل الجنة يكون لهم من الجنة ونعيمها أكثر من الثلثين كثلاثة أرباع أو تسعة أعشار أو نحو ذلك ، لما علم من تخصيص المولى لهم بكرامة تضعيف الثواب والعمل والزمان والمكان والحال/(59)، وبالجملة لم ينل غيرهم من أهل الجنة إلا اليسير، فكأنها إنما خلقت من أجلهم ولهم،"[463] انتهى باختصار. وما قاله رحمه الله [ونفعنا][د] به من أن لهذه الأمة خصوصية على غيرها من الأمم واضح معلوم ، وقد قال الشيخ أبوالعباس المرسي رضي الله عنه في قوله عليه الصلاة والسلام :"إنما أنا رحمة مهداة"،[464] "الأنبياء لأممهم عطية ونبينا لنا هدية ، والعطية للمحتاجين والهدية للمحبوبين"[465]. ومعنى أعذر إليه قطع عذره، [لمبالغته تعالى في نصحه ووصيته على ألسنة الرسل عليهم الصلاة والسلام][هـ]، فالهمزة للسلب.

أ- في"أ": ثم.
ب- في "ع": بكرمه.
ج- ساقط من "ع" و"هـ".
د- ساقط من "أ".
هـ- ساقط من "ط".

---

(462) أخرجه الدارمي في السنن باب في صفوف أهل الجنة 2/434 رقم 2835.
(463) شرح صغرى الصغرى ص: 174.
(464) أخرجه الحاكم في المستدرك 1/ 91 رقم 100 والبيهقي في شعب الإيمان 2/144 رقم 1404.
(465) لطائف المنن ص : 270.

ابن القوطية(466)(أ) : "أعذرت إليه أي بالغت في المعذرة إليه والوصية". وقالت العرب: من أنذر فقد أعذر، وفي تعبير المصنف رحمه الله بقوله: وأعذر إليهم(467)، تنبيه على أنه سبحانه قد أوضح لعباده طريق النجاة والسعادة غاية الإيضاح، وبين لهم بمحض فضله جميع أسباب(ب) الخير والفلاح حتى تركهم على محجة بيضاء لا غبار عليها كما قال تعالى ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾(468) ، وقال تعالى ﴿قد تبين الرشد من الغي﴾(469) وقال تعالى ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليومن ومن شاء فليكفر﴾(470)، أي ظهر الحق واستبان فليختر كل أحد لنفسه ما شاء ، وقال تعالى ﴿فتول عنهم فما أنت بملوم﴾(471) ، وفي هذه الآية شاهد على أن النبي صلى الله عليه وسلم قد بلغ العباد جميع ما أمر بتبليغه فقد برأ الله ذمته بهذه الآية بعد أن عمرها بقوله ﴿يا أيها الرسول(ج) بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾(472) . فقد بالغ سبحانه(د) في الإعذار حتى انقطع بالبشارة والنذارة وبيان الحجة كل

أ- ساقط من "ب".

ب- في "ع": الأسباب.

ج- في "أ" و"ب": المرسل.

د- ساقط من "هـ".

---

(466) هو محمد بن عمر بن عبد العزيز بن إبراهيم بن عيسى بن مزاحم الإشبيلي الأصل المعروف بابن القوطية أبو بكر ، لغوي أديب مشارك في بعض العلوم ، له كتاب في تاريخ الأندلس وكتاب الأفعال وغيرهما، توفي سنة 367 هـ، ترجمته في السير 16/220-219 ووفيات الأعيان 4/368-371 وشذرات الذهب 3/62-63.

(467) متن الرسالة ص : 3 .

(468) سورة المائدة آية 4.

(469) سورة البقرة آية 255.

(470) سورة الكهف آية 29.

(471) سورة الذاريات آية 54.

(472) سورة المائدة آية 69.

اعتذار و لم تبق لأحد حجة على الله إذا حكم عليه لكفره أو عصيانه بالنار ولذلك قال ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير﴾(473) وقال تعالى ﴿رسلا مبشرين ومنذرين ليلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾(474) أي ﴿فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المومنين﴾(475)،[ففي بعث الرسل نعمة عظيمة على المتقين وحجة بالغة على الكافرين وعصاة المومنين](أ)، على أن الحجة إنما هي لله على كل حال ﴿قل فلله الحجة البالغة﴾(476) إذ لا حق لأحد عليه، كيف ما فعل أو حكم، فلو شاء تعالى لكلف العباد ما لا يطيقونه(ب) ولو شاء ما بعث إليهم رسولا ولو شاء لعذب جميع خلقه، ولا يكون لأحد عليه حجة لأن الجميع خلقه ملكه وعبيده، وللمالك أن يتصرف في ملكه كيف يشاء كما قال عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك...﴾(477)، أي فلك السبيل عليهم، ولذلك [قال تعالى ﴿قل فمن يملك من الله شيئا...﴾(478)، قال الشيخ أبو الحسن في حزبه: "إن تعذبني بجميع ما عملت من عذابك فأنا حقيق به"(479)، ولذلك](ج) نفى تعالى الظلم عن

أ- ساقط من "ط".

ب- في "ج": يطيقون.

ج- ساقط من"ط".

(473) سورة المائدة آية 21.

(474) سورة النساء آية .461

(475) سورة القصص آية 47.

(476) سورة الأنعام آية 150.

(477) سورة المائدة آية 120.

(478) سورة المائدة آية 19.

(479) الحزب الكبير ص: 158 (من لطائف المنن).

نفسه بقوله ﴿ وما ظلمناهم﴾[480] وبقوله ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾[481] وبقوله ﴿إن الله لا يظلم الناس شيئا ﴾[482]، وذلك لأن الظلم هو التصرف في ملك الغير بغير إذنه ، أو التصرف على خلاف الأمر ، ولا أمر يتوجه إليه تعالى من قبل غيره ولكنه سبحانه بمحض فضله أجرى أحكام المعاذ على نهج أحكامه(60)/ الدنيوية بين العباد فلم يسجل على أحد الحكم بالنار إلا بعد الإنذار الذي يقطع كل اعتذار كما قال تعالى ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾[483]، كما أن القاضي لا يحكم على أحد بحق إلا بعد الإعذار إليه وقطع حجته، قال في المختصر:"وأعذر إليه بأبقيت[أ] لك حجة"[484]. ويأتي إن شاء الله الكلام على أهل الفترة في قول المصنف : **الباعث الرسل إليهم لإقامة الحجة عليهم**[485]. وقوله : **على ألسنة المرسلين**[486]، يحتمل وهو الظاهر أن المراد بالألسنة الجوارح وهي آلات الكلام ، ويحتمل اللغات، قال تعالى ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾[487] وقد قيل : إن الرسل كلهم من العجم إلا خمسة: شعيب وهود وصالح وإسماعيل والنبي[ب] صلى الله عليه وسلم، ورمز لهم بهذا اللفظ شهصسم[ج] ، وقيل ستة بزيادة آدم حكاه الفاكهاني[488] في

أ- في "أ": فما بقيت.

ب- في "ع": نبينا.

ج- في "أ شهصم .

---

(480) سورة هود آية 101 وسورة النحل آية 118 وسورة الزخرف آية 76.

(481) سورة فصلت آية 45.

(482) سورة يونس آية 44.

(483) سورة الإسراء آية 15.

(484) مختصر الشيخ خليل ص : 261.

(485) متن الرسالة ص : 8

(486) متن الرسالة ص : 3 .

(487) سورة إبراهيم آية 5.

شرح الأربعين(489)، والعجم منهم سرياني ومنهم عبراني، والسريانيون خمسة : إدريس ويونس ونوح ولوط وإبراهيم ، والعبرانيون منهم من بني إسرائيل وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، [وعلى هذا فالأنبياء كلهم من بني إسرائيل إلا عشرة ، وقد أخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس قال: "كانت الأنبياء وفي رواية كل الأنبياء من بني إسرائيل إلا عشرة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ومحمد صلى الله عليه وسلم"(490) (أ)]. وألسنة جمع قلة وهو في محلة إن قلنا أنه أراد أنواع اللسان لا الأفراد(ب)، وهي العربية والعبرانية والسريانية ، فإن الرسل وإن كثروا ولكنهم باعتبار لغاتهم منحصرون في هذه الأنواع الثلاثة ، وإن قلنا أنه أراد بالألسنة الجوارح فيكون المصنف قد استعمل جمع القلة استعمال جمع الكثرة سواء قلنا أنهما مشتركان في المبدإ دون النهاية وهو قول المحققين ، أو قلنا بافتراقهما فيهما لما ورد أن عدد الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا ، الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر وفي رواية خمسة عشر وقيل أربعة عشر ، وقال سعد الدين في شرح العقائد: "وروي أنهم مائتا ألف وأربعة وعشرون ألفا"(491)، لكن قال ابن أبي شريف: " لم أقف على رواية مائتي ألف في شيء

أ- ساقط من "ط".

ب- في "ع": كالأفراد.

(488) هو عمر بن علي بن سالم بن صدقة اللخمي الإسكندراني الفاكهاني تاج الدين أبو حفص، فقيه مشارك في علوم شتى ، من مصنفاته شرح الأربعين النووية وشرح رسالة ابن أبي زيد وغيرهما، توفي سنة 731 هج، ترجمته في حسن المحاضرة 458/1 وبغية الوعاة 221/2 وشذرات الذهب 96/6-97.

(489) المنهج المبين في شرح الأربعين للفاكهاني الورقة 6 (م خ ع ر برقم 1833ك).

(490) أخرجه الحاكم في المستدرك 405/2 رقم 3415 والطبراني في المعجم الكبير 276/11 رقم 11723 والبيهقي في شعب الإيمان 150/1 رقم 133.

(491) شرح العقائد ص :464 .

من كتب الحديث"وقال جلال الدين المحلي في تفسير سورة غافر : "روي أن الله تعالى بعث ثمانية آلاف نبي، أربعة آلاف نبي من بني إسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس"(492). ولعله أخبر بهذا أولا ثم أطلعه الله على ما أخبر به في الحديث السابق وانظر قوله وأربعة آلاف من سائر الناس مع ما تقدم في حديث الحاكم "كل الأنبياء من بني إسرائيل... الخ"، وقال المحققون الأولى أن لا يقتصر على عدد في التسمية، فقد قال تعالى ﴿منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك﴾(493) ولا يومن في ذلك العدد أن يدخل فيهم من ليس منهم أو يخرج من هو منهم لذكر[أ] عدد أقل من عددهم ، بل يومن لما علم منهم تفصيلا على سبيل التعيين وبما لم نعلم على سبيل الإجمال، قال الأقفهسي : "والوحي إلى جميع المرسلين كان في المنام إلا أولوا العزم ، أي الجد والثبات، وقد نظمهم[ب] التتائي في قوله:

محمد إبراهيم موسى كليمه ونوح وعيسى هم أولوا العزم فاعرف/(61)
وداود أيوب ويعقوب يوسف وإسحاق ذو صبر على الذبح فاكتف[ج]

وفي قوله أن الذبيح هو إسحاق نظر، لأنه وإن كان قولا فهو غير صحيح، فقد قال المنوي في شرح الجامع ما نصه: " قال ابن القيم : (494) الصواب أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام، والقول بأنه إسحاق باطل

أ- في "هـ": من ذكر.
ب- في "ا": نضمهم.
ج- في "ط": فاكتفى.

(492) تفسير الجلالين ص : 628.
(493) سورة فصلت آية 77.
(494) هو إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية الحنبلي برهان الدين العالم التقي ذو المشاركة المتميزة في أصناف من العلوم والمؤلفات المفيدة ، توفي سنة 767 هج، ترجمته في الدرر الكامنة 58/1 وشذرات الذهب 208/6.

بأكثر من عشرين وجها[495]، وقال ابن تيمية[496] : هو إنما يتلقى من أهل الكتاب وهو باطل بنص كتابهم"[497]، قال بعض المعاصرين : واحذر مما نقله التتائي وغيره هنا مسلمين له من كلام الزمخشري فإنه فظيع مستبشع لما فيه من التساهل والاستخفاف في جانب الأنبياء الكرام. وفي شمس الدين التونسي[498] في اختصار تفسير الفخر بعد أن ذكر القول الأول بأن أولوا العزم تسعة قال : "وأقول كل الرسل أولوا العزم و لم يبعث الله رسولا إلا كان ذا عزم وحزم وكمال وعقل ، ومن هذه لبيان الجنس وليست للتبعيض"، ويعني من التي في قوله ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل﴾[499] فافهم ذلك. قلت وقد يقال مرادهم[أ] أن هؤلاء الرسل [بلغوا في هذا المعنى][ب] مبلغا لم يبلغه غيرهم من الرسل وإن كان جميعهم من ألي العزم والصبر لأنهم متفاوتون ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض﴾[500] والله أعلم. والرسول إنسان أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه وهو أخص من النبي فإنه يخبر بالغيب فقط، فكل رسول نبي ولا العكس

أ- ساقط من "ج".
ب- ساقط من "ع".

---

(495) زاد المعاد 71/1.
(496) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الدمشقي تقي الدين، محدث حافظ مفسر فقيه، له عدة مصنفات منها مجموعة فتاويه والسياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية وقواعد التفسير وغيرها، توفي سنة 728 هج، ترجمته في السير 22/288-290 وفهرس الفهارس 1/274-278 والنجوم الزاهرة 9/271-272.
(497) فيض القدير 37/3.
(498) هو محمد بن أبي القاسم بن عبد السلام بن محمد الربعي التونسي شمس الدين ، فقيه أصولي مفسر، من مصنفاته مختصر قواعد القرافي، توفي سنة 715 هج، ترجمته في الدرر الكامنة 7/149-150 والديباج 317/2.
(499) سورة الأحقاف آية 34.
(500) سورة البقرة آية 251.

ولا كذا في التتائي[501] وغيره، قال ابن البنا[502] في تفسيره:"إن الرسول أعظم من النبي لأن الرسول يصدق عليه الملك ولا يصدق عليه النبي، والنبي أعم من وجه وأخص من وجه". وما وقع هنا لعله باعتبار أن المقام لمن وقع به الإعذار وهو البشر والله أعلم، قاله سيدي عبد الرحمن الفاسي[503]، وقوله : **الخيرة من خلقه**[504]، الخيرة بكسر الخاء وفتح الياء وسكونها اسم مصدر اختار، وصف به المرسلين كما يوصف بالمصدر ، وقد سمع رجل فطر وهو اسم مصدر أفطر كما في التصريح، فيجري فيه الخلاف الذي في الوصف بالمصدر كما في قولك رجل عدل ، فيكون على حذف مضاف على قول البصريين ، أو مؤولا بالمشتق أي المختارين على قول الكوفيين ، أولا تأويل ولا حذف بل على جعل العين نفس المعنى مجازا أو ادعاء ، ويصح أن يضبط خيرة بفتح الخاء على غير قياس كبررة جمع بر، والقياس فاعل وفعلة وشاع نحو كامل وكملة . وقوله: **من خلقه**، الخلق مصدر بمعنى اسم المفعول، أي مخلوقاته كقوله تعالى ﴿هذا خلق الله﴾[505]، أي مخلوقاته، ثم هو على عمومه إن قلنا أن الأنبياء أفضل من الملائكة وهو مذهب جمهور أهل السنة، ويدل له قوله تعالى (﴿إن الله اصطفى/(62) ءادم ونوحا﴾[أ] إلى ﴿العالمين﴾[506]، وما استدل به على القول

أ- ساقط من"ط".

---

(501) تنوير المقالة للتتائي ص : 8 .

(502) هو أحمد بن محمد بن العباس الأزدي المراكشي المعروف بابن البناء ، عالم مشارك في أصناف من العلوم، من مؤلفاته شرح على التنقيح وحاشية على الكشاف وغيرها، توفي سنة 721 هج، ترجمته في نيل الابتهاج ص : 83 والدرر الكامنة 278/1 والبدر الطالع 108/1-109.

(503) نحوه في شرحه لصحيح البخاري ص : 343 .

(504) متن الرسالة ص : 3 .

(505) سورة لقمان آية 10.

(506) سورة آل عمران آية 33.

المقابل من أنه قد اطرد في الكتاب والسنة تقديم ذكرهم على ذكر الأنبياء وما ذلك إلا لتقدمهم في الشرف والرتبة، فجوابه كما في السعد(507) أن ذلك لتقدمهم في الوجود أو لأن وجودهم أخفى فالإيمان بهم أقوى وبالتقديم أولى، وهذا عام أريد به الخصوص، إذا قلنا بأن الملائكة أفضل وهو قول المعتزلة وقال به بعض أهل السنة، وفي نفح الطيب :"حدث الشيخ أبو البركات قال: كنت ببجاية فجلس الإمام ناصر الدين المشدالي(508) أيام قراءتي عليه وقد أفاض طلبة مجلسه بين يديه هل الملائكة أفضل أم الأنبياء ، فقلت : الدليل على أن الملائكة أفضل أن الله أمرهم بالسجود لآدم، قال فجعل الطلبة ينظر بعضهم إلى بعض حتى قال لي بعضهم : استند يا سيدنا، كأنه يقول استند إلى حائط ليزول هواس رأسك، وكانت عباراتهم في ذلك وكل منهم يقول ذلك إلا زاد ، وقال الإمام ناصر الدين أبصر فإنهم يقولون لك الحق، وكانت لغته أن يقول أبصر ، قال فقلت : أتقولون أن أمر الله للملائكة[أ] بالسجود لآدم أمر ابتلاء واختبار ؟ قالوا[ب] نعم، قلت أفيختبر العبد بتقبيل يد سيده ليرى تواضعه؟ قالوا: لا فإن ذلك من شأن العبد قبل أن يؤمر ، بل السيد يختبر تواضعه بأن يؤمر بالسجود للعبد، قلت : فكذا الملائكة ، لو أمرت بالسجود لأفضل منها لكانت بمنزلة العبد إذا أمر بالسجود لسيده، قال فكأنما ألقمتهم حجرا". والذي اختاره كثير من العلماء الوقف في هذه المسألة

أ- في "ج": لملائكته.
ب- في "ج": قال.

---

(507) شرح العقائد النسفية ص : 153.

(508) هو أبو علي ناصر الدين منصور بن أحمد بن أحمد بن عبد الحق المشدالي ، فقيه مجتهد مشارك في العلوم ، له شرح على الرسالة لم يكمله وكان من أهل الشورى والإفتاء ، توفي سنة 731 هج، ترجمته في نيل الابتهاج ص : 609 وشجرة النور 217/1.

لتعارض الأدلة ، فإن القطع بأفضلية أحد الفريقين فيه حظر ولا يعدل بالسلامة شيء، ونحو هذا ما روي عن عبد الله بن وهب[509] أنه سئل عن ذلك في مجلسه فأخذ نعله وخرج وقال "﴿يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مومنين﴾"[510]، على أن جماعة صرحوا بأن هذه المسألة ليست من باب العقائد بل من باب ما ينفع علمه ولا يضر جهله، وصرح البكي[511] بأنها علمية اعتقادية يطلب فيها القطع، ثم هذا الخلاف إنما هو فيمن عدا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقد انعقد الإجماع على أن الله تعالى لم يخلق مثل النبي صلى الله عليه وسلم، فهو أشرف المخلوقات وأفضلها على الإطلاق، نقله الفخر والأبي، وما وقع في الكشاف[512] خرق الإجماع[أ] قال المقري:

وانعقد الإجماع أن المصطفى　　أفضل خلق الله والخلف انتفى
وما انتحى الكشاف في التكوير　　خلاف إجماع أهل التنوير

ثم المعروف أن من الواقعة به الاختيار للابتداء مجازا والله أعلم، ويحتمل أن تكون هنا بمعنى على التضمن الخيرة معنى المفضلين أي المفضلين على خلقه، ونظيره قوله تعالى ﴿ونصرناه من القوم...﴾[513] أي عليهم، وأما ما قيل من أنها هنا للتبعيض أو لبيان الجنس فغير معروف.

أ- في "ب" و"د": للإجماع. وهو الأصوب.

---

(509) هو عبد الله بن وهب بن مسلم شيخ الإسلام أبو محمد الفهري الحافظ، روى عن ابن جريج ويونس بن زيد وعنه جماعة منهم الليث بن سعد وعبد الرحمن بن مهدي، ترجمته في تهذيب الكمال 625/10 وتهذيب التهذيب 71/6.

(510) سورة النور آية 17.

(511) شرح الحاجبية للبكي الورقة 79-80.

(512) الكشاف 225/4.

(513) سورة الأنبياء آية 76.

قوله : **فهدى من وفقه بفضله وأضل من خذله بعدله**[514]، لما أخبر أن الله تعالى/(63) نبه عباده بالآثار وأرسل إليهم رسلا[أ] للإعذار، أخبر أنهم انقسموا بعد ذلك إلى قسمين، منهم من وفقه الله وهداه فاهتدى، ومنهم من خذله وأضله فضل، وإن هداية من اهتدى فضل من الله عليه، وفي الحديث "إن الله خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره ، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ذلك النور ضل"[515]. والفضل إعطاء الشيء بغير عوض، وليس ذلك إلا لله، وإن ضلال من ضل عدل من الله فيه، والعدل تصرف المالك في ملكه أو ما للفاعل أن يفعله من غير حجر عليه، في الصحاح: العادل الذي لا يميل به الهوى فيحل ما لا يجوز، ولا شك أنه لا حجر على الله تعالى في شيء ، كيف فعل أو حكم، لأنه سبحانه المالك لجميع الأشياء ، أسعد من شاء لا بوسيلة سبقت وأبعد من يشاء لا بجرمة تقدمت ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾[516] ونظير ذلك في الشاهد ولله المثل الأعلى طين واحد، يصنع منه صانعه أواني العسل واللبن والرياحين ، وأواني القطران والبول وغير ذلك، ونقطة واحدة من المداد يكتب بها الكتاب أسماء الله وأسماء رسله عليهم الصلاة والسلام، واسم فرعون والنمرود وغيرهما، أفترى فاعل ذلك ممن يلام على فعله أو يسفه في رأيه؟ وسيأتي هذا المعنى في قوله: **يضل من يشاء فيخذله بعدله**[517]، قال تعالى ﴿من يشإ الله يضلله...﴾ الآية[518]، وأما قوله

أ- في "أ" و"ب" و"ج": رسولا.

(514) متن الرسالة ص : 3.

(515) أخرجه أحمد في المسند 1762 و197 والترمذي في السنن كتاب الإيمان باب ما جاء في افتراق هذه الأمة 265 رقم 2642 وقال حديث حسن.

(516) سورة الأنبياء آية 23.

(517) متن الرسالة ص:8 .

(518) سورة الأنعام آية 40.

سبحانه ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم [من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم]...﴾[519](أ) فمن باب القاعدة الشرعية من نسبة الأشياء الحسنة إلى الله ونسبة الخسيسة الخبيثة إلى غيره كالشيطان تعليما الأدب مع الله تعالى إذ لا فاعل إلا الله . ثم الهداية تطلق على معنيين ، أحدهما الإرشاد والبيان ومنه قوله تعالى ﴿إنا هديناه السبيل﴾[520] وقوله ﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾[521] أي تدعو وقوله ﴿ولكل قوم هاد﴾[522] وهي بهذا المعنى تعم كل مومن وكافر ، قال تعالى ﴿والله يدعوا إلى دار السلام ويهدي من يشاء...﴾[523]، أي كل واحد، الثاني خلق الاهتداء في القلب وهذه خاصة المومنين وهي المرادة بقوله تعالى ﴿والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾[524] وبقوله(ب) ﴿ لو يشاء الله لهدى الناس جميعا﴾[525] ﴿فلو شاء لهداكم أجمعين﴾[526] وقوله ﴿بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين﴾[527]، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: "اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون"[528]، لأنه قد بين الطريق ودعاهم إلى الاهتداء وهو من فعل الله ولذلك نفاه الله تعالى عن النبي صلى الله عليه

أ- ساقط من "أ".
ب- ساقط من "هـ".

---

(519) سورة البقرة آية 256.
(520) سورة الإنسان آية 3.
(521) سورة الشورى آية 49.
(522) سورة الرعد آية 8.
(523) سورة يونس آية 25.
(524) سورة البقرة آية 211.
(525) سورة الرعد آية 32.
(526) سورة الأنعام آية 150.
(527) سورة الحجرات آية 17.
(528) الأحاديث المختارة 14/10.

وسلم بقوله ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾[529] وقوله ﴿ ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء﴾[530]، وإلى هذا المعنى الثاني أشار في المراصد بقوله :

ثـم هدى الـلـه لنـا إيـجـاده الإيمـان مـبـنيـا نـافـذا مـراده

وضده الإضـلال والإغـــواء والختم والطبع معا[أ] سواء/[531](64)

وهذا المعنى الأخير[ب] هو المتعين في كلام المصنف والمعنى الأول هو نفس قوله: **ونبهه بآثار صنعته**[532]، وقوله : **وأعذر إليه على ألسنة المرسلين**[533]، وعلى هذا يحمل قوله: **من وفقه**[534]، على أن مراد توفيقه أي من سبق له ذلك في أم الكتاب، ونظيره ﴿وكم من قرية أهلكناها﴾[535] أي أردنا إهلاكها، فمعنى هدى من وفقه خلق الاهتداء أي الإيمان في قلب من سبق له في أزله الاهتداء وجعلناه على معنى الإرادة ليحصل التغاير بينهما ، وهذا أولا مما تكلفوه من حمل الهداية في كلام المصنف على معنى البيان والإرشاد حتى احتاجوا إلى الجواب عن تخصيص المصنف الموفق بها ، فإن الموفق لما انتفع بالهداية دون الضال صارت في حق الضال كالعدم، وأيضا فإن معنى قوله: **وأضل من خذله بعدله** خلق الضلال أي الزيغ في قلب من أراد خذلانه في أزله ، فيناسب أن يكون معنى هذا خلق الاهتداء

أ- في "أ": معه.

ب- في "أ" و"ب": الآخر.

---

(529) سورة القصص آية 56.

(530) سورة البقرة آية 271.

(531) مراصد المعتمد في مقاصد المعتقد ص:317 .

(532) متن الرسالة ص : 3 .

(533) متن الرسالة ص:3 .

(534) متن الرسالة ص :3 .

(535) سورة الأعراف آية 3.

ويحتمل أن يكون معنى **هدى من وفقه** أراد هداية من خلق في قلبه التوفيق، ومعنى **أضل من خذله** أراد ضلال من خلق في قلبه الخذلان والله أعلم. وفي قوله بفضله وبعدله إشارة إلى أنه تعالى لا يجب عليه شيء وأنه يفعل ما يشاء ويحكم بما يريد ، ففيه رد على أهل الزيغ والضلال القائلين بأنه يجب عليه سبحانه رعاية الصلاح والأصلح تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، وبطلان مذهبهم في غاية والوضوح. وقد حكى القرافي[أ] وسعد الدين وغيرهما مناظرة مبطلة لذلك وهي أن الجبائي[536] من المعتزلة قال له الشيخ أبو الحسن الأشعري يوما: "ما تقول في ثلاث إخوة مات أحدهم مطيعا والثاني عاصيا والثالث صغيرا؟ فقال إن الأول يثاب بالجنة والثاني يعاقب بالنار والثالث لا يثاب ولا يعاقب، فقال الأشعري : فإن قال الثالث يارب لم أمتني صغيرا وما أبقيتني إلى أن أكبر وأومن بك وأطيعك فأدخل الجنة؟ فقال يقول الرب تعالى إني أعلم منك لو كبرت لعصيت فدخلت النار فكان الأصلح لك أن تموت صغيرا، قال الأشعري فإن قال الثاني يارب فلم لم تمتني صغيرا ليلا أعصي فلا أدخل النار ماذا يقول الرب تعالى؟ فبهت الجبائي وقال أبك جنون ؟ فقال له الأشعري بل[ب] وقف حمار الشيخ في العقبة"[537] بلفظ سعد الدين في شرح العقائد. [وفي قوله أيضا **بفضله** إشارة إلى أن إنعامه تعالى[ج] على عبده إنما هو محض تفضل[د] لا يتوقف على

أ- ساقط من "ج".
ب- ساقط من "ع".
ج- ساقط من "أ".
د- في "أ": تفضيل.

---

(536) هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن حمزة الجبائي البصري المعتزلي أبو علي، متكلم مفسر وتنسب له طائفة الجبائية ، توفي سنة 303 هج، ترجمته في السير 14/183-184 ووفيات الأعيان 4/267-269وشذرات الذهب 12/24.

(537) شرح العقائد لسعد الدين ص:13.

استحقاق بالأعمال ولا على طلب وسؤال ، وقد تقدم ذلك في قوله : **ابتدأ الإنسان بنعمته**"[538]، وفي قوله بعدله إشارة إلى أنه تعالى عدل في أحكامه وأن الظلم عليه مستحيل، وقد تقدم ذلك أيضا، وبما ذكره المصنف تعلم أن محبة الطاعة ودوام الإيمان وكراهية الكفر والفسوق والعصيان ليس بحول العبد وقوته وإنما ذلك بمحض فضله وسابق إرادته ومشيئته ، فإياك ثم إياك أن تعتمد في ذلك على عملك وعقلك ، أو تركن إلى قوتك وحولك فتكون ممن جحد نعمة الإيمان وبدل شكرها بالكفران ، فلو قلب قلوبنا على التوحيد كما يقلب جوارحنا في الذنوب ، ولو قلب[أ] قلوبنا في الشك والضلال كما يقلب نياتنا في الأعمال أي شيء كنا نعول ، ومن فكر في صنوف الضلال وكثرة الآراء في طرق المحال ، ثم فكر في ضعفه ونقصان عقله وكثرة تحيره في الأمور وشدة جهله ، تحقق أن ليس ثم إلا كريم فضله وسابغ نعمته وطوله، ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا﴾[539]،][ب] وإذا علمت أنه سبحانه هو الذي أكرمك بكرامة الإيمان وكره إليك الكفر والفسوق والعصيان فضلا منه ونعمة ، وخصك بهذه المنة من بين كثير من أمثالك عناية منه بك ورحمة، وجب عليك أن تقدرها [حق قدرها][ج] وأن تقوم لله بواجب شكرها ، فإنها النعمة الكبرى والمنة العظمى ، فإن نعمة الإيمان هي أصل جميع النعم التي لا حصر لها ولا نهاية ، فإن العبد لا يتأهل لشيء من السلامة والنجاة من أهوال القبر والقيامة والحساب والصراط والميزان والنار، والطرد

أ- في "أ" و"ب" و"ج": قلبت.

ب- ساقط من "ط".

ج- ساقط من "أ".

---

(538) متن الرسالة ص :3 .

(539) سورة النور آية 21.

والبعد والغضب إلا به، ولا يصل إلى نوع من أنواع الثواب إلا بسببه، كنعيم[أ] القبر من اتساعه والأنيس الصالح (65)/ فيه وفتح باب إلى الجنة لدخول روحها عليه، وكنعيم القيامة من الاستظلال بظل الله والجلوس على المنابر والدخول تحت لواء الحمد والشرب من[ب] الحوض وإعطاء الكتاب باليمين وثقل الميزان وسرعة المرور على الصراط وحصول النور بين يديه[ج]، والشفاعة منه لغيره وشفاعة الشافعين له والقرب[د] من رسول الله صلى الله عليه وسلم، والحظوة عنده، وكنعيم الجنة والحور والقصور وأنواع الملابس والمآكل والمشارب إلى غير ذلك مما لا تسعه الدفاتر ولا يحصره حاصر، فالإيمان هو الكنز الذي لا نفاذ له والغنى الذي لا فقر معه، وقد سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يقول: "الحمد لله على نعمة الإسلام، فقال: إنك تحمد الله[هـ] على نعمة عظيمة"، وقيل ما من كلمة أحب إلى الله تعالى ولا أبلغ عنده في الشكر من أن يقول العبد الحمد لله الذي أنعم علينا وهدانا للإسلام، وقال إبراهيم الخليل ﴿واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾[540] قال يوسف عليه السلام ﴿توفني مسلما وألحقني بالصالحين﴾[541] ولو لم يكن فضلها إلا النجاة من العذاب الأبدي ومن أهوال القيامة وشدايدها حتى أنها يصرخ فيها الأنبياء والرسل نفسي نفسي لا أسألك اليوم إلا نفسي، وأنه لو كان للرجل عمل سبعين نبيا لظن أنه لا يسلم كما قال كعب

أ- في "أ" و"ب": كنعم.
ب- في "ج": في.
ج- في "ج": عينيه.
د- في "ب": القرب له من.
هـ- ساقط من "أ" و"ب".

(540) سورة إبراهيم آية 37.
(541) سورة يوسف آية 101.

الأحبار[542] لكان ذلك كافيا. كيف وهي بفضل الله الموجبة للنعيم الأبدي والنظر إلى وجه الله الكريم والفوز العظيم الذي لا يكيـف ، وكيف يكيف وربنا سبحانه يقول ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾[543] ويقول:" أعددت[أ] لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر".

سبحان من لو سجدنا بالعيون له — على شبَا الشَّوك والمحمى من الإبر
لم نبلغ العشر من معشار[ب] نعمته — ولا العشير[ج] وَلاَعُشْرًا من العُشُرِ[544]

قوله : ويسر المومنين لليسرى[545]، الظاهر أن هذا وما بعده إشارة إلى بيان حال الموفقين وتفسير صفاتهم وشرح أحوالهم، إلا أنه ذكر من الأوصاف ما يشترك فيه جميع المومنين وما يختص به الكامل منهم، ثم يحتمل أن يكون المراد باليسرى هنا الجنة كما هو أحد الاحتمالين في قوله تعالى ﴿أما من أعطى واتقى...﴾[546] وعليه فمعنى تيسيرهم للجنة تأهيلهم لها وتيسر أسبابها الموصلة لها عليهم بفضل الله، ويحتمل أن المراد الشريعة اليسرى

أ- في "أ": أعدت.
ب- في "ا" معاشر. والصواب ما أثبتناه لأن الوزن لا يستقيم إلا به.
ج- في "أ" للعشير.

(542) هو كعب بن ماتع اليماني العلامة الحبر ، كان يهوديا فأسلم بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وحسن إسلامه ، وقدم المدينة من اليمن أيام عمر فكان يحدث الصحابة عن الكتب الإسرائيلية ويأخذ السنن عن الصحابة ، توفي بحمص وهو في طريقه إلى الجهاد في أواخر خلافة عثمان رضي الله عنه، ترجمته في تهذيب الكمال 399/5 وتهذيب التهذيب 438/8 والسير 489/3.
(543) سورة السجدة آية 17.
(544) صفة الصفوة 4 /276، وجاء فيه أن بشر بن الحارث قال: رأيت على جبال عرفة رجلا قد ولع به الوله وهو يقول ... وذكر الأبيات أعلاه.
(545) متن الرسالة ص. : 3
(546) سورة الليل آية 5.

أي السهلة ، من قولهم دين يسر قال تعالى ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾[547]، وهو الاحتمال الآخر في الآية ، وعليه فيحتمل أن معنى يسر هيأ وأهل كما في الاحتمال الأول ، والمعنى أنه تعالى جعل المومنين مهيئين للطاعة مؤهلين لها ، فأجراها على أيديهم وحببها إليهم وزينها في قلوبهم حتى صارت أحب شيء إليهم كما قال تعالى ﴿ولكن الله حبب إليكم الايمان...﴾[548]، يحكى عن[أ] أبي سليمان/(66) الداراني رضي الله عنه قال: "لو خيرت بين ركعتين ودخول الفردوس لاخترت الركعتين"[549]، وقال صلى الله عليه وسلم :" أرحنا بها يا بلال"[550]، وقال "وجعلت قرة عيني في الصلاة"[551]، ويحتمل أن المراد يسر هون وخفف عليهم فعل الطاعات ، ويناسب هذا الاحتمال ما في بعض النسخ : **ويسر للمومنين اليسرى**، والتقدير هون الطاعات[ب] للمومنين والله أعلم. وفي شرح الحكم للعارف بالله سيدي محمد بن عباد نفعنا الله به: "يقال من علامات[ج] التوفيق ثلاث، دخول أعمال البر عليك من غير قصد منك إليها، وصرف المعاصي عنك مع السعي فيها ، وفتح باب اللجإ والافتقار إلى الله تعالى في كل الأحوال ، ومن علامات الخذلان ثلاث تعسر الطاعات عليك مع السعي فيها ودخول المعاصي عليك مع الهروب

أ- في "أ": أن.

ب- في "ع": الطاعة.

ج- في "أ": علامة.

---

(547) سورة الحج آية 76.

(548) سورة الحجرات آية 7.

(549) شرح الحكم لزروق ص : 58.

(550) أخرجه أبو داود 2964 رقم 4985 والطبراني في المعجم الكبير 277/6.

(551) أخرجه أحمد في المسند 128/3 والنسائي في السنن كتاب عشرة النساء باب حب النساء 61/7 رقم 3937.

منها وغلق باب اللجإ إلى الله تعالى وترك الدعاء في الأحوال"[552]. وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي اله عنه قال[أ]:" بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أتاه آت، فلما حاذى بنا ورأى جماعتنا[ب] أناخ راحلته ثم مشى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أوضعت راحلتي من مسيرة تسع فسرتها ستا وأسمرت ليلي وأظمأت نهاري وأضنيت راحلتي لا أسألك إلا عن اثنتين أسهرتاني فقال النبي صلى الله عليه وسلم من أنت؟ قال : أنا زيد الخيل ، قال : بل أنت زيد الخير، سل فرب معضلة قد سئل عنها، قال : جئتك أسألك عن علامة الله فيمن يريد، وعلامته فيمن لا يريد ، فقال له[ج] النبي صلى الله عليه وسلم : بخ بخ، كيف أصبحت يا زيد ؟ قال أصبحت أحب الخير وأهله وأحب أن يعمل به ، وإذا فاتني حننت إليه وإذا عملت عملا قل أو كثر أيقنت بثوابه، قال : هي هي بعينها يازيد، ولو أرادك للأخرى هيأك لها ثم لا يبالي في أي واد هلكت، وقال زيد حسبي حسبي ثم ارتحل ولم يلبث". قوله : **وشرح صدورهم للذكرى**[553]، هو كعطف السبب على المسبب والله أعلم. ومعنى شرح صدورهم نورها[د] بنور الإيمان واليقين والذكرى والموعظة والاعتبار ، وهذا الشرح هو المشار إليه بقوله تعالى ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه﴾[554]، والمقابل في الآية محذوف أي

أ- ساقط من "ع".

ب- في "ج" و"هـ": جماعة.

ج- ساقط من "ع" و"هـ".

د- في "ج": نورهم.

---

(552) شرح الحكم لابن عباد 54/1.

(553) متن الرسالة ص : 3 .

(554) سورة الزمر آية 21.

كمن قسا[أ] قلبه بدليل ﴿فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله﴾[555] وبقوله ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره الإسلام...﴾[556]، وعلامة انشراح الصدر وتنويره بنور الايمان واليقين أن تتراءى له حقائق الأمور على ما هي عليه ، فيعرف أن ما قال الله كما قال الله ، وما قاله رسول الله كما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيرى الحق حقا والباطل باطلا، فيحق عنده الحق ويبطل الباطل، ويتميز عنده أحدهما من الآخر فيرتحل عن الباطل ويقبل على الحق والآخرة حق والدنيا باطل، فلا يتشاغل بالدنيا لما عرف من فنايها ومفارقته لها وعدم دوام منعتها ، ولا يدع الآخرة لأن الآخرة يدوم نعيمها ويتأبد نفعها ولا ينقطع سرورها، وأما استبدال الباقي بالفاني والكثير بالقليل فمن عمى البصيرة وانطماس السريرة، قال النبي صلى الله عليه وسلم/(67) : "إذا دخل النور[ب] القلب انفسح وانشرح فقيل يا رسول الله هل لذلك من علامة يعرف بها؟ فقال نعم التجافي عن دار القرار والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزول الفوت"[557]، وذلك بأن تكون الهمة مصروفة لعمل الآخرة لن الإنسان عند وجدان ذلك النور تموت شهواته وتذهب دواعي نفسه، فلا تأمر بسوء ولا تكون له همة إلا المسارعة في[ج] الخيرات لاستشعاره سرعة حلول الأجل وفوات صالح العمل، وهذا النور أصله محض موهبة من الله تعالى ويقوى وينمو بمخالطة أهل اليقين وسماع أحوالهم ، وهو العلم

أ- في "أ" : قسا.

ب- ساقط من "أ".

ج-في "هـ": إلى .

د- في "ع": له.

---

(555) سورة الزمر آية 21.

(556) سورة الأنعام آية 126.

(557) أورده ابن كثير في تفسيره 176/2 والقرطبي في تفسيره 247/15.

الحقيقي المشار إليه[أ] [بقول الإمام مالك رضي الله عنه :"ليس العلم بكثرة الرواية[ب] وإنما العلم نور يقذفه الله تعالى[ج] في القلوب"[558]، وهو المشار إليه][د] بقوله في الحكم: "لو أشرق نور اليقين في لرأيت الدار الآخرة أقرب إليك من أن ترحل إليها ولرأيت محاسن الدنيا وقد ظهرت كسفة الفناء عليها"[559]، وإلى هذا المعنى الإشارة بحديثي حارثة ومعاذ رضي الله عنهما في شرح هذه الحكمة لابن عباد [560]رضي الله عنه. قوله : فآمنوا بالله بألسنتهم ناطقين وبقلوبهم مخلصين وبما أتتهم به رسله وكتبه عاملين[561]، عطفه بالفاء إشارة إلى أن ما بعدها مسبب عما قبلها وهو شرح صدورهم، فبسبب أن الله تعالى[هـ] شرح صدورهم ونور قلوبهم، حصل لهم الإيمان الكامل فآمنوا مخلصين بقلوبهم ناطقين بألسنتهم عاملين بجوارحهم، وقدم المجرور على متعلقه لتستقيم الفواصل التي هي حلية الكلام ، وقد جمع المصنف هنا بين ثلاثة أمور، الإخلاص بالقلب والنطق باللسان أي النطق بالشهادتين، ويعني لمن كان قادرا عليه والأعمال بالجوارح ، أما الأول فالاتفاق على أن الإيمان لا يكفي بدونه ، وأما الثاني فالصحيح أنه شرط في الإيمان وقيل شطر، وأما الثالث فهو شرط كمال فقط، وقد قال المصنف فيما يأتي: **ولا يكفر أحد بذنب من أهل القبلة**[562]، وسيأتي الكلام

أ- في "ع": له.

ب- في "ج": الروايات.

ج- ساقط في "ع" و"هـ".

د- ساقط من "ط".

هـ-ساقط من "ع" و"ط" و"هـ".

---

(558) تزيين الممالك للسيوطي 17/1.

(559) الحكم ص : 128 .

(560) شرح الحكم لابن عباد 101/1.

(561) متن الرسالة ص : 3.

(562) متن الرسالة ص : 10.

على هذه المسألة إن شاء الله في قول المصنف : **من ذلك الإيمان بالقلب والنطق باللسان**(563)الخ، [وكما لا بد من الإخلاص في الايمان لا بد منه في الأعمال أيضا، فأما](أ) الإخلاص في الايمان فهو مواطأة(ب) القلب للسان(ج)، وهو عدم الشك والشرك والنفاق، فالمراد بالإخلاص في كلام المصنف التصديق بالقلب، وأما الإخلاص في الأعمال فهو على ثلاثة أقسام، لأن إخلاص كل أحد في أعماله على حسب مقامه وحاله، الأول إخلاص الأبرار وهو أن يكون الباعث على العمل طلب ما وعد(د) الله تعالى به المخلصين من جزيل الثواب وحسن المآب ، وخوف ما أوعد به المخلطين من أليم العذاب وسوء الحساب، الثاني إخلاص المحبين وهو أن يكون الباعث على العمل إجلال الله وتعظيمه ومحبته والقيام بشكره(هـ) لأنه أهل لذلك ولو لم تكن نار ولا جنة كما قيل/(68):

لو لم تكن نار ولا جنة ولا وعيد [ولا موعده](و)
ألم يكن حق على العبد أن يشكر [بالطاعة من أوجده](ز)

الثالث إخلاص المقربين، وهو أن يكون الباعث على العمل ما تقدم في القسم الثاني لكن مع الفناء عن رؤية النفس وأفعالها، وشهودهم انفراد الله(ح) تعالى بتحريكهم وتسكينهم ، فهم لا يرون لأنفسهم عملا، ويعبر

أ- ساقط من"ط".
ب- في "أ": مواصلة.
ج- في "أ": واللسان.
د-في "هـ": أوعد.
هـ- في "أ": شكر الله.
و- ساقط من "ج".
ز- ساقط من "ج".
ح- في "أ" و"ب" و"ج" و"د": الحق.

(563) متن الرسالة ص :7 .

عن هذا القسم بسر الإخلاص ، قال في الحكم :"الأعمال صور قائمة وأرواحها وجود سر الإخلاص فيها"[564]، ويعبر عنه بالصدق في الإخلاص وصاحبه مسلوك به سبيل التوحيد واليقين ، وهو من التحقيق[أ] بمعنى قوله تعالى ﴿وإياك نستعين﴾[565]، أي لا نستعين إلا بك لا بأنفسنا وحولنا وقوتنا ، وأما القسمان الأولان فمن التحقيق بمعنى قوله ﴿إياك نعبد﴾[566]، أي لا نعبد إلا إياك ولا نشرك في عبادتنا غيرك والله أعلم. وقد قال بعض المشايخ : صحح عملك بالإخلاص وصحح إخلاصك بالتبري من الحول والقوة. وهذا المعنى الثالث هو المراد في قول من قال أن الإخلاص سر بين العبد وربه لم يعلم به ملك فيكتبه ولا عدو فيفسده ولا النفس فتعجب به، فقد قال الكلاباذي : "معناه انقطاع العبد إلى الله والرجوع إليه من فعله"، قال القونوي :"أي إذا كمل انقطاع العبد إلى الله وفناؤه فيه عن فعله يصير فعله كلا فعل، فكأنه لم يفعل شيئا ، فلا الملك يكتبه ولا العدو يفسده ولا النفس تعجب به، أي على سبيل التشبيه والتقدير، إذ التقدير إعطاء الوجود حكم المعدوم أو بالعكس، وأكثر ما يقع[ب] في كلام هذه الطائفة من الإشارات[ج] محمول على هذا النوع من الاستعارات، ومن حملها على ظواهرها أشكلت عليه معانيها فأساء الظن بهم"[567]. [وقد علم مما تقدم أن الإخلاص ثلاث مراتب، مرتبة دنيا ومرتبة عليا ومرتبة وسطى بينهما][د]، واعلم أن عمل العاملين رجاء الثواب أو

أ- في "ط": التحقق.

ب- ساقط من "ب".

ج- في "ط" و"ع": الاستعارات.

د- ساقط من "ط".

(564) الحكم ص : 6.

(565) سورة الفاتحة آية 4.

(566) سورة الفاتحة آية 4.

(567) تفسير السورة المباركة للقونوي ص : 151.

خوف العقاب عمل صحيح مقبول، وهو إخلاص عامة المومنين وهو مدخول معلول عند العارفين والمحققين لأنه نتيجة الجهل بصفات الله تعالى وعدم معرفته لأنه تعالى غني عن خلقه كريم في وصفه وفضله [وهو أكرم من][أ] أن يحتاج إلى علة في فعله، قال الشيخ أبو الحسن في حزبه: "فليس كرمك مخصوصا بمن أطاعك ... الخ"[568]،[فلا يتقيد إحسانه تعالى بأعمال العاملين بحيث لا يكون الأمر (تبعا لها)[ب] ومسببا عنها][ج]، وهو تعالى أهل لأن يطاع ولو لم تكن نار ولا جنة ، قال في الحكم: "من عبده لشيء يرجوه منه أو ليدفع بطاعته ورود العقوبة عنه فما قام بحق أوصافه"[569]، وفي الحديث : "لايكونن أحدكم كالعبد السوء إذا لم يخف لم يعمل"[570]. وقال [عليه الصلاة السلام][د] : "نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه"[571]،[قال الشيخ أبو مدين رضي الله عنه : "شتان بين من همته الحور والقصور وبين من همته رفع الستور ودوام الحضور"[572]"][هـ]. وقد صرح جماعة/(69) من التابعين وغيرهم بأنهم ما عبدوا الله خوفا من ناره ولا طمعا في جنته بل محبة له وشوقا إليه منهم رابعة العدوية رضي

أ- في "ط": عن.

ب-في "أ" و"ب": تبعا بها وفي"ع" و"ه": تبا عليها.

ج- ساقط من "ط".

د- في "ع" و"هـ": عليه السلام.

هـ- ساقط من "ع" و"ط".

---

(568) الحزب الكبير ص: 158 .

(569) الحكم ص :122.

(570)حلية الأولياء 45/53-54.

(571) رواه العجلوني في كشف الخفاء 2/428-429 رقم 2831.

(572) شرح الحكم لابن عباد /1 64.

الله عنها وأبو حازم المدني[573] ومعروف الكرخي[574]، وقد نقل كلامهم أبو عبد الله سيدي محمد بن عباد في شرح الحكمة المتقدمة[575]، والمراد بذلك أنهم يعملون لله لا لشيء، ويطلبون من الله لا من لا بشيء، وقد بسط ذلك الشيخ زروق في آخر القواعد[576]، فانظره. قوله :[**وتعلموا ما علمهم**[577]][أ]، هذا أيضا [وما بعده][ب] من نتائج شرح صدور المومنين فكأنه يقول : بسبب شرح صدورهم وتنوير قلوبهم بنور الايمان واليقين، آمنوا إيمان الصادقين الموفقين وصاروا من العلماء العاملين، فتعلموا وعملوا بما علموا ، والذي علمهم الله من العلوم هو ما في الكتاب والسنة وعطفه على قوله فآمنوا... الخ، مع أنه من جملة ما يشمله عموم قوله : **وبما أتتهم به رسله وكتبه عاملين**[578]، من عطف الخاص على العام اهتماما به وتنبيها على شرفه، ولأنه يصدق[ج] الحض على تعلم العلم وتعليمه وهذا المعطوف مع ما بعده كالتفسير لما قبله، فهذا إشارة إلى أن من شأن المومنين ومن أخلاقهم أن يكونوا على بصيرة في أمور دينهم وذلك بتعلمهم

أ–ساقط من "هـ".
ب–ساقط من "ط".
ج– في "هـ": بصدد.

(573) هو أبو حازم المدني مولى أبي رهم الغفاري ، روى عن مولاه وغيره ، وعنه عباد بن أبي علي ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب وجماعة ، ترجمته في الثقات لابن حبان 218/4 وتهذيب الكمال 158/21 وتهذيب التهذيب 65/12.

(574) هو أبو محفوظ معروف بن فيروز الصالح المشهور كان أبواه نصرانيين أسلما على يديه، له أخبار مشهورة منثورة في كتب الصوفية ، توفي سنة 200 هج، ترجمته في صفة الصفوة 79/2-83 وحلية الأولياء 360/8 وطبقات الصوفية ص : 83-90.

(575) شرح الحكم لابن عباد 72/1-73.

(576) القاعدة رقم 217 من قواعد التصوف لزروق ص : 163–164.

(577) متن الرسالة ص :3 .

(578) متن الرسالة ص:3 .

جميع ما تكون به الاعتقادات والعبادات والمعاملات على الوجه الصحيح [وإنما يحصل العلم بالتعلم ممن أخذ العلم عن أهله، وقد قال لقمان : "يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك[أ] فإن الله يحيي بهم القلوب الميتة كما يحيي الأرض بوابل المطر"[579]، (وفي البخاري من حديث أبي [وافد الليثي][ب] قال :"بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد إذ أقبل ثلاثة نفر ، فأقبل اثنان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذهب واحد، فوقفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها ، وأما الآخر فجلس خلفهم ، وأما الثالث فأدبر ذاهبا. فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ألا أخبركم عن النفر الثلاثة ، أما أحدهم فآوى إلى الله فآواه وأما الآخر فاستحيا الله منه وأما الآخر فأعرض الله عنه"[ج]][د][580]. وقد قسم العلماء العلوم المطلوبة إلى ثلاثة أقسام منها ما هو فرض عين وهو علم المكلف ما لا يتأتى له تأدية ما وجب عليه إلا به، وهو علم المعتقد في حق الله تعالى وفي حق الرسل عليهم الصلاة والسلام وكيفية الوضوء والغسل والصلاة والصيام والزكاة إن وجبت عليه، والحج إن كان مستطيعا وكذا البيع والفرائض والشركة والإجارة ونحوها لمن يتعاطى ذلك لقوله عليه الصلاة

أ- في "ب" و"ج": ركبتك.
ب- ساقط من "ب" وفي "ج": من حديث أبي بن كعب.
ج- ساقط من "ع".
د- ساقط من "ط".

---

(579) إحياء علوم الدين 19/1.

(580) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب العلم باب من قعد حيث ينتهي به المجلس ومن رأى فرجة في الحلقة فجلس فيها 24/1 ومسلم في الصحيح كتاب السلام باب من أتى مجلسا فوجد فرجة فجلس فيها 1713/2 رقم 26 ومالك في الموطأ كتاب السلام باب جامع السلام 960/2 رقم 4.

والسلام: "لا يحل لأحد أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه"، وقد حكى الغزالي [581] والشافعي الإجماع على ذلك ونقله القرافي [582]، لكن يكفيه في غير العبادات تعلم الحكم بوجه إجمالي يبريه من الجهل بأصل حكمه على قدر وسعه ، ولا يجب عليه تتبع المسائل إلا عند النازلة ، ومنها ما هو فرض كفاية وهو ما عدا ذلك من مقاصد العلوم الشرعية ووسائلها ، والمقاصد ستة ، أصول الدين وأصول الفقه والفقه والحديث والتفسير والتصوف ، إلا أنه اختلف فيه هل هو فرض عين أو كفاية، فقال الغزالي: "معرفة أمراض القلوب وأسبابها وعلاجها فرض عين" [583] . أي لأن الغالب أن الإنسان لا ينفك عن دواعي الشر والرياء والحسد فيجب عليه أن يسعى فيما [ج] يخلصه من دسايس النفس ومكايد الشيطان وأمراض القلب [ب] ، وإنما يحصل ذلك على الوجه الأكمل بمخالطة أطباء القلوب رضي الله عنهم الذين سلكوا الطريق وجربوا ذلك في أنفسهم ، ومما يؤيد قول الإمام مالك/(70) رضي الله عنه: "من تصوف و لم يتفقه فقد تزندق ومن تفقه و لم يتصوف فقد تفسق ومن جمع بينهما فقد تحقق" [584]، وقول أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه :" من لم يتغلغل في

أ- في "ا": مما.

ب- في "ب": القلوب.

---

(581) هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي الغزالي حجة الإسلام صاحب الإحياء والمؤلفات المفيدة، كالمستصفى والمنقذ من الضلال وغيرها ، توفي سنة 505 هج ، ترجمته في السير 322/19-346 ووفيات الأعيان 216/4-219 والوافي بالوفيات 274/1-277 وقد ورد رأيه في المسألة في:

- إحياء علوم الدين 25/1-26.

(582) الفروق للقرافي 149/2.

(583) إحياء علوم الدين 26/1-27.

(584) قواعد التصوف لزروق ص : 8.

علمنا هذا[أ] فقد مات مصرا على الكبائر وهو لا يشعر"[585]، وقال غيره: "إن رزق الإنسان قلبا سليما من الأمراض المحرمة كفاه ولا يلزمه تعلم دوائها"، لكن الأصح الأول ، قال سيدي ابن عباد في شرح قوله في الحكم: "العلم إن قرنته الخشية فلك وإلا فعليك[586]، ما معناه من ادعى أنه على حال لا يجب عليه فيها حكم يحتاج إلى تعرفه والقيام به فهو مخدوع، ومن أين له ذلك والعلم به لا يحصل له ضرورة فلا بد له من استفادته[587]. والوسايل أهمها ثمانية، النحو والتصريف واللغة والحساب والتوثيق والبيان والمعاني والمنطق ، ومنها ما هو نافلة وهو ما وراء القدر الذي يحصل به فرض الكفاية كالتبحر في أصول الأدلة وعويص[ب] الفرائض والتدقيق في العربية والتصريف وشواذ اللغة، وقداختلف في حديث : "طلب العلم فريضة على كل مسلم"[588]، فحمله بعض على القسم الأول وبعض على الثاني، وقول المصنف **ما علمهم** يحتمل وهو الظاهر مما هو فرض عين ويحتمل ما هو أعم. وقد قال المصنف فيما يأتي : **وكذلك طلب العلم فريضة عامة يحملها من قام بها إلا ما يلزم الرجل في خاصة نفسه**[589]، أي فهو فرض عين ، وفي كلام المصنف إشارة إلى أن الثناء على من لم يتعلم من العلم إلا ما أذن له في تعلمه[ج] دون غيره كالهندسة والموسيقى والزايد

أ- ساقط من "أ".

ب- ساقط من "ج".

ج- في "أ" و"ب" و"ج": تعليمه.

---

(585) لطائف المنن ص : 309.

(586) الحكم ص : 145.

(587) شرح الحكم لابن عباد 56/2.

(588) أخرجه ابن ماجة في السنن المقدمة باب فضل العلماء والحث على طلب العلم 81/1 رقم 224.

(589) متن الرسالة ص :133 .

على القدر المحتاج إليـه من علم[أ] النجوم[ب] وغير ذلك . قوله : **ووقفوا عند ما حد لهم**[590]، هذا أيضا إشارة كما تقدم إلى أن من أخلاق المومنين الذين تنورت قلوبهم بالعلم الوقوف عند الحدود الشرعية والانتهاء عما نهى عنه العلم. [ووقوف العبد عند الحدود هو عدم الخروج على ما حد له مولاه فإن الله تعالى خاطبه بالأحكام الخمسة ، فقال هذا يجوز لك فعله وتركه وهذا يتحتم عليك تركه وهذا لك فيه ثواب ولا مؤاخذة عليك في تركه وعكسه ، فإذا جرى العبد إلى مقتضى ما خاطبه به مولاه كان موفيا بما عاهد الله عليه وكان شاكرا ، وهذا هو الشكر[591] الواجب على جميع المكلفين وهو اتباع كل ما جاء به الشرع فما أوجبه أوجبناه وما حرمه حرمناه وما أجازه أجزناه وكذا في بقيتها وعلى هذا المدار في مبايعة الرسول صلى الله عليه وسلم، فالعمل بالعلم هو نتيجته والمقصود منه ، والعلم إنما هو وسيلة إلى العمل كالوضوء بالنسبة للصلاة][ج]. واعلم أن العلم نعمة والعمل به نعمة أخرى يسلمهما العبد من ربه مفرقتين ، فيقول اللهم أرني الحق حقا وارزقني اتباعه وأرني الباطل باطلا وارزقني اجتنابه، قال الإمام شهاب الدين القرافي :"من عمل بما علم فقد أطاع الله طاعتين ومن لم يعلم و لم يعمل فقد عصى الله معصيتين ومن علم و لم يعمل فقد أطاع الله طاعة وعصاه معصية"[592] وإنما يكون العلم بلا عمل نعمة ورحمة

أ- ساقط من "أ" و"ب".

ب- في "هـ": النحو.

ج- ساقط من "ط".

---

(590) متن الرسالة ص.3 :

(591) في الرسالة القشيرية : الشكر عند أهل التحقيق الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع ص : 137.

(592) الفروق للقرافي 148/2.

لمن لم يقرأه بنية فاسدة ، فإن قرأه بنية صالحة[أ] كاملة ، أو بنية غير ناقصة عن كمال الإخلاص كأن يقرأه ليخلص نفسه من ظلم ينال غيره ويكتسب جاها يدفع به عن نفسه ، [لا يجلب له][ب] ما هو مستغن عنه ، أو يقرأه بلا نية أصلا، وأما من قرأه بنية الجمع والادخار وكان كالآمن من المكر لا خوف معه أصلا لرضاه عن نفسه ، فهو في حقه جرحة ليس له رحمة إلا أن تدركه توبة كما سيأتي قريبا ، قاله شيخنا المحقق في شرح الحكم[593]. قال وبه يخصص عموم قول القرافي :"ومن علم و لم يعمل". والوقوف عند الحدود بالنسبة لأهل العصمة بعدم الوقوع في الذنب مطلقا، وبالنسبة لغيرهم بعدم الإصرار على الذنب وهو/(71) نتيجة تعلم العلم وفايدته [كما تقدم، فلا يكون تعبه سعيا في باطل ولا مضيعا لنفايس العمر، فيما ليس تحته طائل][ج]، وبه يحصل للعالم شرف العلم في الدنيا والآخرة كما قيل:

العلم لا يصلح إلا إذا عملت به[د] فافهم كلام العبيد
لو كان بالعلم صلاح الفتى لكان إبليس نظير الجنيد

وبه يرسخ علم العالم ويدوم له كما قيل : العلم يهتف بالعمل فإن وجده وإلا ارتحل[هـ]، وبه يزكوا عمله وينموا، ويطلع على أسرار وهبية وعلوم لدنية لا يتوصل إليها بالتعلم، قال تعالى ﴿واتقوا الله ويعلِّمكم الله﴾[594]،

أ- في "هـ": صحيحة.
ب- في "أ"و "هـ": لا يجلب لها.
ج- ساقط من "ط".
د- ساقط من "أ" و"ب" و"ج".
هـ- كذا في "ط" وفي باقي النسخ النص عبارة عن بيت شعر.

(593) شرح الحكم لابن زكري ورقة 206 .
(594) سورة البقرة آية 281.

وقال عليه الصلاة[أ] والسلام : "من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم"، وقال تعالى ﴿إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا﴾(595) ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾(596) ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى﴾(597)، قال أحمد بن معين:"التقى أحمد بن حنبل وأحمد بن أبي الحواري(598)، فقال ابن حنبل لابن أبي الحواري يا أحمد حدثنا بحكاية سمعتها من أستاذك أبي سليمان(599)، فقال يا أحمد قل سبحان الله بلا عجب ، فقال أحمد سبحان الله وطولها بلا عجب ، فقال ابن أبي الحواري سمعت أبا إسماعيل يقول: إذا اعتقدت النفوس على ترك المعاصي جالت في الملكوت وعادت إلى ذلك العبد بطرائق الحكمة من غير أن يؤدي إليها عالم علما ، فقام أحمد بن حنبل ثلاثا وجلس ثلاثا وقال : ما سمعت في الإسلام بحكاية[ب] أعجب إلي من هذه، ثم ذكر حديث "من عمل بما علم"، ثم قال لابن أبي الحواري : صدقت وصدق شيخك"(600)، وبه يفرق بين

أ- ساقط من "أ" و"هـ" و"ط".
ب- في "ع": حكاية .

---

(595) سورة الأنفال آية 29.
(596) سورة العنكبوت آية 69.
(597) سورة محمد آية 18.
(598) هو أحمد بن عبد الله بن ميمون الإمام الحافظ الزاهد القدوة أبو الحسن الثعلبي ، سمع من سفيان بن عيينة والوليد بن مسلم وعنه أبو داود وابن ماجة وأبو حاتم ، توفي سنة 246 هج، ترجمته في السير 8512 وطبقات الصوفية ص : 98 وصفة الصفوة 165/4 والحلية 33-5/10.
(599) هو أبو سليمان الداراني عبد الرحمن بن أحمد وقيل بن عطية وقيل بن عسكر ، روى عن سفيان الثوري وعلقمة بن سويد وجماعة وعنه تلميذه ابن أبي الحواري وهاشم بن خالد وغيرهما ، توفي سنة 205 وقيل 215 هج ، ترجمته في الحلية 280-254/9 وصفة الصفوة 165/4 والسير 186-182/10.
(600 حلية الأولياء 14/10.

العلم النافع الذي ورد في[أ] فضل أهله في الكتاب آيات كثيرة وفي السنة ما لا يحصى كثرة ، والعلم الغير النافع الذي استعاذ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم وورد في أهله الوعيد الشديد، فمما ورد في الأول قوله تعالى ﴿يوتي الحكمة من يشاء﴾[601]، على أن المراد بالحكمة العلم، وقوله ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم﴾[602]، فثلث بالعلماء وعطفهم بالواو على التي هي[ب] لمطلق الجمع ، وقوله تعالى ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾[603] فحصر الخشية فيهم وقصرها عليهم ، وهي شعار الأنبياء وملائكة السماء، وقوله ﴿يرفع الله الذين آمنوا ...﴾ الآية[604]، وقوله ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾[605]، فأمر بطاعتهم كما أمر بطاعته وطاعة رسوله[ج] على أحد الوجهين في الآية. وفي الحديث :"أفضل الأعمال طلب العلم"[606]، وفيه عالم واحد أشد على الشيطان من ألف عابد"[607]، وفيه قال بعضهم:

وإن فقيها واحدا متورعا أشد على الشيطان من ألف عابد

أ- في "أ" من .

ب-ساقط من "ط" و"هـ".

ج- في "ا" رسله.

---

(601) سورة البقرة آية 268.

(602) سورة آل عمران آية 18.

(603) سورة فاطر آية 28.

(604) سورة المجادلة آية 11.

(605) سورة النساء آية 58.

(606) أخرجه الدارمي في السنن المقدمة رقم 32 بلفظ "ما أعلم عملا أفضل من طلب العلم".

(607) أخرجه الترمذي كتاب العلم باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة 48/5 رقم 2681 وابن ماجة في المقدمة باب فضل العلماء والحث على طلب العلم 81/1 رقم 222 ، وكلاهما بلفظ فقيه بدل عالم.

وورد "فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم رجلا[608]، "إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يطلبه"[609]، وقال عليه السلام لعلي رضي الله عنه"كن عالما أو متعلما أو مستمعا أو محبا ولا تكن خامسا فتهلك"[610]، وهو المبغض[أ] للعلماء، وقال له أيضا "لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم"[611] ولمعاذ بن جبل "خير لك من الدنيا وما فيها" وقال إذا مات ابن آدم انقطع عمله [إلا من ثلاث][ب] . . . الخ"[612]، وقال :"لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعمل بها" وورد أن النبي صلى الله عليه/(72) وسلم دخل مسجدا فوجد مجلسين أحدهما يذكرون الله تعالى والآخر يتفقهون ، فقال النبي[ج] صلى الله عليه وسلم:

أ- في "ع": البغض.

ب- ساقط من "ج".

ج- ساقط من "أ" و"ط" و"هـ".

---

(608) أخرجه الترمذي في السنن كتاب العلم باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة 50/5 رقم 2685 والدارمي في السنن المقدمة رقم 29.

(609) أخرجه ابن ماجة في المقدمة باب فضل العلماء والحث على طلب العلم 1/81-82 رقم 223 و 226.

(610) أخرجه الدارمي في السنن المقدمة رقم 26 و32 بلفظ "اغد عالما أو متعلما".

(611) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الجهاد والسير باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام والنبوة وأن لا يتخذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله 54 وباب فضل من أسلم على يديه رجل 20/4 ومسلم في الصحيح كتاب فضائل الصحابة باب فضائل علي بن أبي طالب 1872/2 رقم 34 وأحمد في المسند 238/5.

(612) أخرجه مسلم في الصحيح كتاب الوصية باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته 1255/2 رقم 14 وأحمد في المسند 372/2 والترمذي في السنن كتاب الأحكام باب الوقف 660/3 رقم 1376 وأبو داود في السنن كتاب الوصايا باب ما جاء في الصدقة عن الميت 300/3 رقم 2880 والنسائي في السنن كتاب الوصايا باب فضل الصدقة على الميت 251/6 رقم 3649.

"كلا المجلسين على خير وأحدهما أحب إلي من صاحبه، أما هؤلاء فيذكرون الله تعالى ويسألونه فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم ، وأما المجلس الآخر يتعلمون العلم ويعلمون الجاهل وإنما بعثت معلما فجلس إلى أصحاب الفقه"(613)، ومما ورد في الثاني "أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه"(614)، وورد "ويل لمن لم يتعلم مرة وويل لمن تعلم ولم يعمل ألف مرة"، وعن فضيل بن عياض(615)، وأسد بن فرات(616) قالا : "بلغنا أن الفسقة من العلماء ومن حملة القرآن يبدأ بهم يوم القيامة قبل عبدة الأوثان"(617)، قال فضيل بن عياض :" لأن من علم ليس كمن لم يعلم".

وقال رسول الله عليه الصلاة[أ] والسلام: "أوحى الله إلى بعض أنبيائه: قل للذين يتفقهون لغير الدين، ويتعلمون لغير العمل، ويطلبون الدنيا بعمل

أ-ساقط من "أ" و"د" و"ع" و"هـ".

---

(613) أخرجه ابن ماجة في المقدمة باب فضل العلماء والحث على طلب العلم 83/1 رقم 229، وقال في مجمع الزوائد إسناده ضعيف.

(614) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير 305/1 رقم 506 والشهاب في مسنده 171/2 رقم 1122 وفي مجمع الزوائد باب فيمن لم ينفعه الله بعلمه 185/1 وقال فيه عثمان البري وقد ضعفه النسائي والدارقطني.

(615) هو الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر الإمام القدوة شيخ الإسلام أبو علي التميمي الخرساني، أجمع العلماء على توثيقه والاحتجاج به وصلاحه وزهده وورعه، توفي بمكة سنة 187 هج بعد أن استوطنها مدة من الزمن، ترجته في الحلية 84/8 وصفة الصفوة 141/2-148 والسير 421/8-442.

(616) هو الإمام العلامة القاضي أبو عبد الله أسد بن فرات الحراني ، دخل مع أبيه في الجهاد فقد كان أبوه الفرات بن سنان من أعيان الجند ، روى عن مالك بن أنس الموطأ وعن يحي بن أبي زائدة، وكان مع تبحره في العلم فارسا بطلا شجاعا، انظر السير 255/10 والديباج 305/1 وشذرات الذهب 28/2.

(617) في الترغيب والترهيب 73/1 روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" الزبانية أسرع إلى فسقة القراء منهم إلى عبدة الأوثان فيقال لهم : ليس من علم كمن لم يعلم، قال أخرجه أبو نعيم وقال غريب وكذلك أورده صاحب كتاب التخويف من النار ص205 : وابن عباد في شرح الحكم 52/2.

الآخرة، يلبسون للناس جلود الكباش من اللين، ألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم أمر من الصبر إياي يخدعون، أم عليّ يجترئون فبحقي حلفت لأتيحن[أ] لهم فتنة تدع الحليم فيهم حيران"[618]، وقال عليه السلام: "يأتي على الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلا اسمه، ولا من القرآن إلا رسمه، قلوبهم خربة من الهوى ، مساجدهم عامرة بأبدانهم ، شر من تظل السماء يومئذ علما، وهم منهم تخرج الفتنة وإليهم تعود"[619]،[وقال عليه السلام:" القضاة ثلاثة قاضيان في النار وقاض في الجنة ، فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق فقضى به وأما اللذان في النار فرجل عرف الحق فجار[ب] في الحكم متعمدا ورجل قضى بغير علم واستحيا أن يقول إني لا أعلم، وقال صلى الله عليه وسلم:"إن القاضي يأتي يوم القيامة مغلولة يداه إلى عنقه فيطلقها عدله ويوثقها جوره"[620]، وقال عليه الصلاة والسلام : " إن أعتى الناس على الله وأبغض الناس إلى الله وأبعد الناس من الله رجلا ولاه الله من أمر أمة محمد شيئا لم يعدل بينهم"][ج]، وفي بعض الكتب :"إن أهون ما أصنع بالعالم إذا مال إلى الدنيا أن أسلبه حلاوة مناجاتي"، وهنا تنبيهات حسنة أكيدة ، الأول قد بين العلماء رضي الله عنهم الفرق بينهما أعني علماء الدنيا وعلماء الآخرة بنعوت وعلامات وأطالوا في ذلك النفس لما شاهدوا[د] من انتشار الفساد في الأرض لجهل الناس بالعلم النافع

أ- في "أ" و"ب" لا يتحن.

ب- في "أ" فجبار.

ج- ساقط من "ط".

د- في "أ" شاهدوا.

---

(618) ورد في تفسير القرطبي 19/1 وفيض القدير 254/3.

(619) أخرجه البيهقي في شعب الايمان 312/2 رقم 1910 وقال هذا موقوف وإسناده منقطع.

(620) كشف الخفاء 403/2 ونصب الراية 65/4.

أي شيء هو، قال القلشاني عند قول المصنف : [**وأولى العلوم**][أ] **وأفضلها وأقربها إلى الله علم دينه وشرائعه**"[621]، اعلم يا أخي وفقني الله وإياك لطاعته أن العلم حيثما وقع في كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم في معرض التشريف فإنما المراد به العلم النافع المخمد للهوى القامع، فشاهد[ب] العلم الذي هو مطلوب الله الخشية لله، وشاهد[ج] الخشية موافقة الأمر، أما عالم تكون منه الرغبة في الدنيا والتملق لأربابها وصرف الهمة إلى اكتسابها والجمع والادخار والمباهاة والاستكثار، وقصد التصدر والرياسة ومباهاة[د] الأقران والنفاسة وطول الأمل وفساد العمل وقسوة القلب والوقوع فيما[هـ] يسخط الرب وإيثار الدنيا ونسيان الآخرة ، فما أبعد من هذه صفته عن الحكم له بكونه من ورثة الأنبياء، وهل ينتقل الشيء الموروث إلى الوارث إلا بالصفة التي كان بها[و] عند الموروث، ومثل من هذه الأوصاف أوصافه من العلماء كمثل الشمعة تضيء على غيرها وهي تحرق نفسها ، جعل الله العلم الذي علمه من [هذا وصفه][ز] حجة عليه وسببا ف تكثير العقوبة لديه، ولا يغرنك أن يكون به انتفاع البادي والحاضر ، فقد قال رسول/(73) الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر"، ومثل من تعلم العلم لاكتساب الدنيا وتحصيل الرفعة كمثل من رفع العذرة بملعقة من ياقوتة، فما أشرف الوسيلة وما

أ- ساقط من "ع".

ب- في "أ" فشاهدوا.

ج- في "أ": شاهدوا.

د- في "ع": مغالبة.

هـ- في "ع": بما.

و- في "أ": عليها.

ز- في "ع": هذه صفته".

---

(621) متن الرسالة ص: 152 .

أخس المتوسل إليه، ومثل من قطع الأوقات في طلب العلم فمكث أربعين سنة يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل من قعد هذه المدة يتطهر ويجدد الطهارة و لم يصل صلاة واحدة، إذ مقصود العلم العمل، كما أن المقصود بالطهارة الصلاة"[622]، ونقله سيدي بن عباد[623]، رضي الله عنه عن لطائف المنن[624]، والتنوير، وكذا الشيخ زروق ، وقال إثر قوله وهل ينتقل الشيء الموروث الخ ما نصه:"فيه إشعار بأن العالم الغير التقي ليس بوارث، وفيه نظر لأن فساد الموروث والعمل به في غير حق لا يخرج عن كون الوارث وارثا ، والعقوق لا ينفي[أ] من النسب ، لكن يقال فيه وارث سوء أو نحو هذا، وقد أثبت الله تعالى العلم لمن يخشاه وما نفى العلم عن من لم يخشاه فافهم"[625]، انتهى الشيخ كلام الشيخ زروق في الحادي عشر من شروحه للحكم. قال شيخنا المحقق في شرح الحكم:" وجواب قوله العقوق لا ينفي النسب أن النسب نسبان نسب عام وهو الإسلام يورث به أمر عام وهو الكون من أمة الإجابة يتوقف على أمر عام وهو التصديق والنطق ، ونسب خاص وهو نسب القرب والخصوصية يورث به أمر خاص وهو الكون من أمناء[ب] الأنبياء وخلفاء الرسل يتوقف على أمر خاص وهو البرور وينتفي بالعقوق لكن لا ينتفي أصل القرب والخصوصية بمطلق العقوق بل يتفاحش العقوق وينتفي بمطلق العقوق كماله، وكلام التنوير منزل على المتفاحش العقوق لقوله: أما علم تكون

أ- في "أ" بفني.
ب- في "ع" و"هـ": أبناء.

---

(622) شرح الرسالة للقلشاني 2/ورقة 200.
(623) شرحه للحكم 52/2.
(624) لطائف المنن ص : 62.
(625) انظر شرح زروق على الرسالة 421/2.

معه الخ، وهذا كما قال والله أعلم"[626]، انتهى بحذف بعضه. ولا شك أنه لا خير في علم لا خوف معه أصلا بحيث يكون صاحبه كالآمن [من المكر][أ] لا يبالي بما فعل ، كأن اتصافه بتحصيل العلم كاف في حقه لا يحتاج معه إلى اكتساب ولا اجتناب ، والناس بالنسبة إليه كالبقر والغنم بالنسبة إلى رعايها كأنهم لم يخلقوا إلا لخدمة أمثاله والخضوع لأشكاله ، ويرى مع ذلك أنه شيء كبير وأن بوجوده صلاح العالم وأنه[ب] من الأيمة والعلماء ويعد على الله سيئاته حسنات ، فمن كان بهذه المثابة فليس عنده إلا الشر وعلمه وبال عليه وسبب لتكثير الفتنة لديه، وهذا معنى قول الحكم: "أي علم لعالم يرضى عن نفسه"[627]، وعلى مثل هذا يتنزل كلام التنوير كما قال والله أعلم، وعلى مثله يتنزل ما ورد في علماء السوء من الوعيد الشديد مما تقدم وغيره، قال في التنوير :" العلم النافع هو الذي يستعان به على طاعة الله ويلزمك المخافة[ج] من الله والوقوف على حدود الله ، وهو علم المعرفة بالله ويشمل العلم النافع العلم بالله والعلم بما به أمر الله إذا/(74) كان تعلمه لله'[628]، وقال سيدي ابن عباد رضي الله عنه : "واعلم أن العلم النافع المتفق عليه فيما سلف وخلف إنما هو العلم الذي يؤدي صاحبه إلى الخوف والخشية وملازمة التواضع والذلة والتخلق بأخلاق الايمان وتوافق الأسرار والإعلان إلى ما يتبع ذلك من بغض الدنيا

أ- في "ع": للمكر.
ب- في "أ": لأنه.
ج- في "أ": المخالفة.

---

(626) شرح الحكم لابن زكري ورقة 208.
(627) الحكم ص : 110.
(628) التنوير في إسقاط التدبير ص :54 .

والزهادة فيها وإيثار الآخرة عليها والموالاة في الله والمعاداة فيه[أ]، والحرص على التفطن للأسباب الباعثة له على الاستقامة ولزوم الأدب بين يدي [الله تعالى][ب] فيراعيها حفظا وطلبا، ومعرفة الأسباب الصادة له عن ذلك فيوسعها رفضا وطلبا[ج]، هربا [إلى غير ذلك من الصفات العلية والمنح[د] السنية ، فبهذا كله يحصل له فوايد العلم وثمراته الدنيوية والأخروية][هـ]، فإن خلا طالب العلم عنها أو عن بعضها فإن كان ما يطلبه علما حقيقيا كان حجة عليه وإن كان رسميا كان وبالا عليه واصلا إليه والعياذ بالله[و] من ذلك"[629]. وقيل لسهل من العلماء؟ قال : الذين يوثرون الآخرة على الدنيا ويوثرون الله على أنفسهم، وقال الحسن:"كان الرجل إذا طلب العلم لم يلبث أن يرى ذلك في تخشعه ولباسه وبصره ولسانه وهديه وزهده ، وإن كان الرجل ليصيب الباب من أبواب العلم فيعمل به فيكون خيرا له من الدنيا بما فيها لو كانت له، فيضعها في الآخرة، وليأتين على الناس زمان يشتبه فيه الحق والباطل ، فإذا كان ذلك لم ينفع فيه إلا دعاء كدعاء الغريق"[631]، وقال فضيل بن عياض: " كان العلماء ربيع الناس إذا نظر إليهم المريض لم يسره أن يكون صحيحا وإذا نظر إليهم الفقير لم يرد أن يكون غنيا ، وقد صاروا اليوم فتنة على

أ- في "ع": في الله.
ب- في "ع": المولى تعالى.
ج- ساقط من "أ" و"ط".
د- في "أ": المناحي.
هـ- ساقط من "ع".
و- في "أ": به.

(629) شرح الحكم لابن عباد 52/2.
(630) شرح الحكم لزروق ص : 24.
(631) السير 583/4.

الناس"[632]، قال سيدي ابن عباد رضي الله عنه : "قال هذا في زمانه الصالح وكيف لو أدرك زماننا هذا فإنا لله وإنا إليه راجعون"[633]. وكلام هؤلاء الأيمة رضي الله عنهم ونفعنا ببركاتهم حق في نفسه لا شك فيه ، ولكن لا ينبغي أن يؤخذ على عمومه وإنما هو إشارة إلى طريق العارفين ومنهج السالكين ، فإن حمله على عمومه يؤدي إلى هجران العلم وإهماله وسوء الظن بحملته ، لأنه لا يوجد على الوصف الذي ذكروه إلا القليل النادر، وهم أفراد معدودون في القرون ذوات آلاف الآلاف كالفضيل والجنيد وسري ومعروف والداراني ، فسبحان من أعطاهم وأعانهم وقواهم ، ولا يجوز أن يحتقر من سواهم ولا أن يذم من عداهم، فقد قال المواق[634] في سنن المهتدين :"لا يؤيسك من طلب العلم قول تاج الدين ومثله في الإحياء[635] أن العلم إن لم تقارنه خشية على قاريه نقمة ، فقط ما هو كهذا ، فإن العلماء يقولون في مثل هذا أنه من تخليط البداية بالنهاية، ومن خلط البداية بالنهاية فطريقه إلى الضلال أقرب منها إلى الهداية"[636]، فأقول قوله إن قارنته[أ] خشية فلك الخ ، هذا بالنسبة لمن يجعله سببا وهم السابقون، وأما من عدا هؤلاء من مقتصد وظالم /(75) لنفسه مبين ، إذا لم تكن فيه جرحة فالعلم له رحمة وإن لم تدركه خشية ، لا يستوي العالم

أ– في "أ" قرنته.

---

(632) شرح الحكم لابن عباد 51/2.

(633) شرح الحكم لابن عباد 51/2.

(634) هو محمد بن يوسف بن أبي القاسم بن يوسف العبدري الأندلسي المالكي الشهير بالمواق، من آثاره العلمية التاج والإكليل والمختصر في فروع الفقه المالكي وسنن المهتدين، ترجمته في نيل الابتهاج ص : 561 وتوشيح الديباج ص : 234 وشجرة النور الزكية 262/1.

(635) إحياء علوم الدين 103/1.

(636) سنن المهتدين للمواق ملزمة 3 ص :3.

مع من لا علم ثم نقل كلام القرافي المتقدم ثم قال :"والذي يتبين من الفقه أن الصناعات والتجارات والاشتغال بالعلم الزايد على فرض العين وعلم الطب ، كل ذلك أسباب شرعية فعلى هذا فمن اشتغل بشيء من ذلك بلا نية[أ] فهو ظالم لنفسه ، وإن كان لأدرك عليه لكن فاته الأجر وإن قصد بذلك [فرض الكفاية فهو سابق بالخيرات][ب] ، وإن قصد بذلك الاستعفاف عن المسألة كان مقتصدا"[637]، قال ابن عرفة :"من عجز عن قوته وقوت عياله إلا برزق القضاء فإنه يستحب له أن يسعى في طلبه"[638]، ومن ابن يونس[639]:"لا ينبغي أن يحج أحد على[ج] أحد فإن وقع ذلك نفذت الإجارة ، قال عبد الوهاب : قياسا على أخذ الأجرة على القضاء"[640]. وقال المواق أيضا في محل آخر: "الذي هو من المقتصدين من جعله سببا للدنيا ، فمن قايل يقول هو من خير الأسباب ومن قايل يقول طلب الدنيا بالدف والمزمار أحب إلي من طلبها بالعلم والدين"[641]، قال شيخنا المحقق في شرحه للحكم:" وكلام المواق حسن لاسيما في هذا الوقت الذي غرب[د] فيه العلم وقل أهله وكان الناس يختلفون في

أ–في "ا" ثانية.

ب– ساقط من"عط.

ج– في "د" و"ع" و"هـ": عن.

د– في "ط": عزب.

---

(637) ورد معناه في إحياء علوم الدين 27/1 والفروق 117/1.

(638) مختصر ابن عرفة الورقة 482 .

(639) هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن يونس التميمي الصقلي الفقيه العالم الإمام، عرف إضافة إلى العلم بملازمته للجهاد واتصافه بالنجدة، صنف كتبا عديدة منها كتابا في الفرائض وكتابا جامعا للمدونة، توفي سنة 451 هج، انظر الديباج 240/2 وشجرة النور الزكية 111/1.

(640) جامع ابن يونس 346/4 .

(641) سنن المهتدين للمواق الملزمة 3 ص :1.

الضروريات، فقراءته من أهم المهمات والسعي في تعلمه وتحصيله من أعظم العبادات ، وإن لم تتيسر لقارئه الخشية فيوجد[أ] أهل العلم بين ظهراني المسلمين تحفظ فيهم قواعد الايمان والإسلام ويتقرر الدين وتعرف كيفية التعبد لله رب العالمين، حتى قال في الإحياء : أما العالم الذي ينتفع الناس بعلمه في فتوى أو تدريس فترتيب أوراده يخالف ترتيب أوراد العابد، فإنه محتاج إلى المطالعة والإفادة، فإن أمكنه أن يستغرق أوقاته في ذلك فهو أفضل ما يشتغل به بعد المكتوبات ورواتبها[642]، قال وكذلك المتعلم الاشتغال له بالتعلم أفضل من النوافل[643]"[644]، ثم نقل شيخنا المحقق من الأحاديث وكلام الأيمة ما يشهد لما ذكره من أن الاشتغال بالعلم تعلما وتعليما بعد أداء الواجبات أفضل من الاشتغال بسائر نوافل الخيرات من صوم وصلاة وتسبيح وغير ذلك من الطاعات قال:" وقول المواق سببا للدنيا، أي لدنيا سنحتاج إليها من وجه حلال كما قال فيمن يطلب القضاء لقوته وقوت عياله"[645]. والتنبيه الثاني في بيان النية في طلب العلم وعلاماتها[ب] الدالة عليها ، واعلم أن طلب العلم عمل من الأعمال معرض للصحة والاعتدال والناس في طلبه على مراتب بعضها أرفع من بعض كساير الأعمال، فمنهم من يطلبه لآخرته محضا /(76) ومنهم من يطلبه لدنياه محضا وبينهما مراتب ، يعلم ذلك بتفحص ما تقدم ، وأعلى المراتب طلبه لله لا غير ، قال الشيخ ابن عباد [رضي الله عنه][ج] : "وصحة نيته في

أ- في "أ": وجد.

ب-في "أ": علامتها.

ج-ساقط في "ع" و"هـ".

---

(642) إحياء علوم الدين 412/1.

(643) إحياء علوم الدين 413/1.

(644) شرح الحكم لابن زكري ورقة 107.

(645) شرح الحكم لابن عباد ورقة 107.

ذلك أن يكون غرضه في طلب مرضاة الله تعالى واستعماله فيما ينفع عنده، وإيثاره الخروج عن ظلمة الجهل إلى نور العلم ، فهذه هي النية الصحيحة التي تحمد عاقبتها آجلا وتجتني[أ] ثمرتها عاجلا"، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[646]: "كل يوم لا أزداد فيه علما يقربني من الله عز وجل فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم"[647]، وقال سفيان الثوري[648] رضي الله عنه :" إنما يتعلم العلم ليتقى به وجه الله ، وإنما فضل العلم علـى غيره لأنه يتقى الله به ، فإن اختل هذا المقصد وفسدت نية طالبه بأن يستشعر به التوصل إلى منال دنيوي من مال أو جاه فقد بطل أجره وحبط عمله وخسر خسرانا مبينا"[649]، قال الله عز وجل ﴿من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نوته منها وماله في الآخرة من نصيب﴾[650]، وروى [أبو هريرة عنه][ب] صلى الله عليه وسلم قال[ج] :"من تعلم علما لا يبتغي به وجه الله تعالى لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرق الجنة [يوم

أ- في "ج": تجنى.

ب- في "ع": أبو هريرة رضي الله عنه.

ج- ساقط من "هـ".

---

(646) شرح الحكم لابن عباد 2/15.

(647) رواه إسحاق بن راهويه في المسند 553/2 وأبو نعيم في الحلية 188/8 ، وقال في كشف الخفاء 77/1 رواه الطبراني وأبو نعيم بسند ضعيف.

(648) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري شيخ الإسلام وسيد العلماء العاملين في زمانه ، أبو عبد الله الثوري الكوفي المجتهد مصنف كتاب الجامع كان رأسا في الفقه والزهـد والحفظ، توفي سنة 126 هج، ترجمته في تهـذيب التهـذيب 111/4-115 والسير 229/7-280 وشذرات الذهـب 250/1-251.

(649) شرح الحكم لابن عباد51/2

(650) سورة الشورى آية 18.

القيامة][أ]"[651]، يعني ريحها، وقال في تنبيه الغافل :"ينبغي للمتعلم أن يريد بطلب العلم رضى الله تعالى والدار الآخرة وإزالة الجهل من نفسه ومن ساير الناس وإحياء الدين وإبقاء الإسلام ، فإن بقاءه بالعلم والشكر على نعمة العقل وصحة البدن"، قال في لطائف المنن :"وربما غر الغافل من طلبة العلم قول من قال: طلبنا[ب] العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله، وليس في قول هذا القائل ما يستروح إليه من طلب العلم للرياسة والمنافسة ، وإنما أخبر هذا القائل عن أمر من به عليه وفتنة سلمه الله منها، لا يلزم أن يقاس عليه فيها غيره ، وذلك بمثابة من به مرض مزمن في المعي أعيى[ج] علاجه وضاق عليه خلقه فأخذ خنجرا وضرب به ليقتل به نفسه ، فصادف ذلك المعي فقطعه فخرج الداء منه ، فهذا لا يستصوب العقلاء فعله وإن نجحت عاقبته، ولبيت سلامة العواقب رافعة للعتب[د] عن الملقين أنفسهم إلى التهلكة، ليس المغرر محمودا وإن سلما"[652]، وما قاله في معنى قول هذا القائل غير متعين ، قال القلشاني على قوله في الرسالة : **والعلم دليل إلى الخيرات وقائد إليها**[653]، ما نصه"هذا إشارة إلى أنه يطلب من الإنسان الاجتهاد في طلب العلم ولو لم تحسن نيته ، فإن العلم يجره إلى الخير ، وقد روي عن/ (77) بعض المتقدمين أنه قال طلبنا العلم لغير الله فردنا إلى

أ- ساقط من "أ".

ب- في "ج": طلبت.

ج-في "ب" و"هـ": أعيا.

د-في "أ": المعتب.

---

(651) أخرجه الحاكم في المستدرك 160/1 رقم 289 وأبو داود في السنن 323/3 وابن ماجة في السنن 92/1 والبيهقي في شعب الايمان 282/2 رقم 1770.

(652) لطائف المنن ص : 109 .

(653) متن الرسالة ص:152 .

الله[654]، أي لدلالته إيانا على فضل إصلاح النية وعقوبة إفسادها ، وعلى عظمة المقصود بالعمل وجلاله. وروى الدارمي عن الحسن :"لقد طلب أقوام العلم ما أرادوا به الله ولا ما عنده ، فما زال بهم العلم حتى أرادوا به الله وما عنده"[655]، وروي أيضا عن مجاهد[656]، قال :"طلبنا[أ] هذا العلم وما لنا[ب] فيه كبير نية ثم رزق الله بعد فيه[ج] النية"[657]. وقال الحسن أيضا: "كنا نطلب العلم للدنيا فجرنا إلى الآخرة"[658]، وقاله سفيان الثوري[659] [رضي الله عنه][د]، لكن قال الباجي في سنن الصالحين في باب العلم : "اعلم أن العلم الذي أشار إليه سفيان بن عيينة بقوله تعلمنا العلم لغير الله الخ، هذا علم الحديث والتفسير وسير الأنبياء والصالحين، فإن فيها التخويف والتحذير ، وهي سبب لإثارة الخوف من الله تعالى، فإن لم يكن يؤثر في الحال أثر[هـ] في المآل، فأما الكلام والفقه المجرد المتعلق بفتاوى المعاملات [وفصل الخصومات][و]، فإنه لا يزيد إلا رغبة في الدنيا وتماديا

أ- في "ع": طلبت.

ب- في "ع": أنا.

ج- ساقط من "ع".

د- ساقط من "ع" و"ط".

هـ- في "ع": فيؤثر.

و- في "أ": حل الخصومات وفي "ع": فصل المخاصمات.

(654) شرح الرسالة للقلشاني 2 400.

(655) سنن الدارمي 851.

(656) هو مجاهد بن حبر أبو الحجاج المكي شيخ القراء ، أخذ القرآن عن ابن عباس والتفسير والفقه عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم، فقد كان من أعلم الناس بالتفسير، توفي وهو ساجد سنة 102 وقيل 103 هج، ترجمته في السير 4/449-457 وغاية النهاية 2/41-42 وتهذيب التهذيب 10/42-44.

(657) سير أعلام النبلاء 4/452.

(658) تفسير القرطبي 1/22.

(659) حلية الأولياء 3676 و371.

في الحرص إلى آخر العمر، ثم قال وانظر إلى أواخر أعمار الأكثرين من الفقهاء الذين تعلموا لغير الله واعتبرهم، إنهم ماتوا وهم هلكى[أ] على طلب الدنيا متكالبين[ب] عليها وليس الخبر كالمعاينة"، انتهى بلفظه.

واعلم أن المعيار الصادق الدال على صحة دعوى التعلم والتعليم لله أن يقدر نزول الموت به ، فإن سره أن يكون مشتغلا به إذ ذاك فهو على صواب وإلا كان على باطل. قال في لطائف المنن: " وقد تجاريت الكلام أنا وبعض من يشتغل بالعلم في أنه ينبغي إخلاص النية فيه وأن لا يشتغل به إلا لله ، فقلت الذي يقرأ العلم لله هو الذي إذا قلت له تموت غدا لا يضع الكتاب من يده"[660]، قال سيدي ابن عباد رضي الله عنه:" قلت وهذا هو فصل الخطاب ونهاية الصواب ، فإن العبد في هذه الحالة لا يصدر منه إلا العمل الصالح الخالص من شوائب الرياء وممازجة حظ النفس واتباع الهوى، وهذا هو المطلوب من العبد [ولا يستتب له ذلك][ج] إلا إن يتحقق بما[د] يقدره من حلول الموت وحصول الفوت وهذا هو معنى قصر الأمل الذي هو أصل حسن العمل ، وهو أن لا يقدر لنفسه وقتا ثانيا يكون فيه حيا ، وعند ذلك يخلص عمله من الآفات ويتطهر من أنواع الرعونات ، لأن توقع الموت في كل نفس ولحظة يهدم عليه جميع ذلك ، وكل عمل استرسل فيه صاحبه غافلا عن تقدير وقوع ذلك إن لم يكن متحققا به لا يسلم مما ذكرناه ، فإذا بعيد من الإخلاص من/(78) يأخذ في علم غير متعين عليه الأخذ فيه لا يخشى ثمرته إلا في ثاني حال، ويكون في حاله

أ– في "هـ": ملكى.
ب– في "أ": متكلين وفي "ط": متكالبون.
ج–في "هـ": لا يثبت له ذاك، وفي "ع": لا يستتر له ذلك.
د– في "ب" و"ج": مما.

---

(660) لطائف المنن ص :109 .

الراهنة متمكنا من إيقاع طاعة تزيد مصلحتها على مصلحة ما هو آخذ فيه من العلم ، يفوز بثوابها [ويتنجز له][أ] حصول التقرب بها لأن في ذلك قوت[ب] نفسه ووفارة[ج] حظه، وآية ذلك أنه قد يعرض له في حال أخذه فيه غرض دنيوي يكون احتضاء نفسه به أكثر ، فيقدمه على ما كان آخذا فيه ويتشاغل به[د] من غير مبالاة بما يفوته من ذلك "[661]، المراد منه وكلامه مع أهل المرتبة العليا في طلب العلم ، قال المواق في سنن المهتدين بعد كلام: " فقد تبين أن العالم يكون من السابقين بنسبة[هـ] ومن المقتصدين بنسبة[و] ومن الظالمين لأنفسهم بنسبة[ز]، فالذي هو من السابقين فكما قالوا هو الذي قيل له غدا تموت لم يضع الكتاب من يده ، والذي هو من المقتصدين فمن جعله سببا للدنيا"[662]، إلى آخر كلامه المتقدم. التنبيه الثالث في بيان بعض مفاسد الجهل وبيان ما يستعان به على تحسين النية في طلب العلم ، فاعلم أن الاشتغال بالعلم أفضل من البطالة والجهل على كل حال لكثرة مفاسد الجهل، لأن الجاهل لا يطلع على حقائق ما هو متلبس به من المساوئ، ولا يعرف ما هو منغمس فيه من الدعاوى، بل يرى المعاصي طاعات ويغلط باعتقادها مباحات أو قربات ، وهذه داهية كبرى وموجبة للهلاك دنيا وأخرى، لسدها عمن اتصف بها باب التوبة ، إذ ليس ما أتى

أ- في "أ": ينتجز له

ب- في "ع": قوة.

ج- في "أ": وفاة.

د- ساقط من "ط".

هـ- في "هـ" : بنسبته.

و- في "هـ": بنسبته.

ز- في "هـ": بنسبته.

---

(661) شرح الحكم لابن عباد 30/2.

(662) سنن المهتدين الملزمة 3 ص : 1.

به في نظره حوبة[أ]، وذلك لمن لم يمارس العلوم لاسيما علم التصوف وصف لازم وعلم[ب] مرتبط لازم وذلك لشرور النفس وتلبيسها[ج] على العامل وإبرازها العمل المدخول في صورة السالم[د] الكامل، وقد تقدم قول الشيخ أبي الحسن :"من لم يتغلغل في علومنا مات مصرا على الكبائر وهو لا يشعر"[663]، قال بمعناه شيخنا المحقق في شرح النصيحة[664]، وقال في شرحه للحكم :" وكل ما ذكره الشيوخ في النهي عن قراءة العلم بالنيات الفاسدة والتحذير من ذلك، فليس مرادهم به ترك قراءته والإعراض عنه، كيف وهو مطلوب على جهة التعيين أو الكفاية ، وإنما مرادهم بذلك التنبيه والإيقاظ لإصلاح النية في قراءته والاجتهاد في تحصيل الإخلاص فيه، وإلا أدى الأمر إلى تركه الذي هو عين الجهل وأصل الفساد، وذلك بقراءة علم هؤلاء السادات ومطالعة كتبهم، والنظر في الأحاديث والآثار المخوفة من الرياء والعجب والرضى عن النفس والتنافس في الدنيا ونحو ذلك، والرغبة[هـ] في/(79) ضد ذلك ومخالطة أهل الخير والدين ، فبهذه الأمور يستعان على إصلاح النية وتصحيحها"[665]، ثم نقل ما يشهد لما ذكره من أن مرادهم الترغيب في إخلاص العمل لا ترك العمل ، وسيأتي إن شاء الله الكلام على ما يتعلق بتعليم من لا يظن به الإخلاص في طلب العلم، وما في ذلك للعلماء عند

أ- في "ع": خربة.

ب- في "ع": نعت.

ج- في "ب": تلبيها.

د- في "ع": العالم.

هـ- في "ط": المرغبة.

---

(663) لطائف المنن ص : 306.

(664) شرح ابن زكري على النصيحة الكافية لزروق ص : 59 .

(665) شرح الحكم لابن زكري ورقة 209.

قول المصنف : **ليرسخ فيها**[أ](666)، وقول المصنف : **عند ما حد لهم**(667)، أن يبنى للفاعل فالضمير لله أو للعلم ، قال الشيخ زروق :" والحد لغة المنع"(668)، وفي الشرع ما منع من الزيادة عليه وتعديه إلى غيره، كعدد الركعات في الصلاة والرجعات في الطلاق، والحدود الشرعية موضوعة للامتناع من العود لما وقعت فيه مع أنه لا يزاد عليها. قوله: **واستغنوا بما أحل لهم عما حرم عليهم**(669)، هو من معنى ما قبله وهو الوقوف عند الحدود الشرعية ، قال الشيخ زروق:" والاستغناء الاكتفاء، والحلال ما انحلت عنه التباعات ، فلا حق فيه للخلق ولا منع فيه من الحق ، والحرام ما أوجب الشارع احترامه أي تجنبه واتقاءه ، وما من الحلال إلا ويقابله حرام وبالعكس، كالبيع يقابله الربى والنكاح يقابله الزنى ، فمن استغنى بالحلال عن الحرام كان مهديا ومن لم يفعل كان على وجه من الضلال وإن لم ينته إلى الكفر فيخشى عليه من خاتمة السوء، لأن المعاصي بريد الكفر"(670). قوله: **أما بعد**(671)، هي كلمة يوتى بها عند الانتقال من غرض لآخر ، قيل وهي فصل الخطاب الذي أوتيه داود عليه الصلاة والسلام، وأنه أول من نطق بها، وقيل أول من نطق بها قس[ب] بن ساعدة(672)

أ- في "ع": فيه.

ب- في "أ" : قيس والصواب ما أثبتناه.

---

(666) متن الرسالة ص.4 :

(667) متن الرسالة ص.3 :

(668) شرح زروق على الرسالة 101.

(669) متن الرسالة ص: 3 .

(670) شرح الرسالة لزروق 10/1.

(671) متن الرسالة ص :3 .

(672) هو قس بن ساعدة بن حذافة بن زفر بن إياد بن نزار الايادي الخطيب المشهور ، ذكره ابن شاهين في الصحابة وقيل أنه مات قبل البعثة، وهو أول من آمن بالبعث من أهل الجاهلية ، انظر أسد الغابة 103/4 والإصابة 551/5.

وقيل كعب بن لؤي[673]، وكان صلى الله عليه وسلم يقولها في خطبه كما في قضية بريدة[أ] في الصحيحين وغيرهما، والمختار أن فصل الخطاب المفصول، أي الذي يتبينه المخاطب ولا يلتبس عليه، ويحتمل أن معناه الخطاب الفاصل بين الحق والباطل ، ففصل مصدر بمعنى اسم المفعول أو اسم الفاعل ، ثم هي مركبة من أما وبعد ، أما أما فهي حرف شرط وتوكيد دائما، وتفصيلا غالبا ، وأما بعد فظرف زمان أو مكان باعتبار الرقم معمول لأما أو لفعل الشرط الذي نابت عنه على الخلاف ، وهي هنا مبنية على الضم لقطعها عن[ب] الإضافة لفظا لا معنى ، وجواب أما هو (80)/ قوله: **فإنك سألتني**[674]، بتقدير فأقول أنك الخ، لأن جواب الشرط لا يكون إلا مستقبلا وأما إعرابها مبتدأ، وقوله فإنك الخ خبره ، فمما لم يقل به نحوي إذ لا تصرف لها، وجملة : **أعاننا الله وإياك على رعاية ودائعه وحفظ ما أودعنا من شرائعه**[675]، معترضة بين الشرط وجوابه، كقوله تعالى ﴿فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار...﴾[676]، ولا يصح أن تكون حالية لأنها طلبية في المعنى وإن كانت خبرية لفظا، والمعنى اللهم أعنا على ديننا كما تحبه[ج] وتطلبه منا، وفي هذه الجملة ابتهال وتضرع إلى الله تعالى

أ- في "ج" و"د": بريرة.
ب- في "أ" و"ب" و"ج": على.
ج-في "ع": تحب.

---

(673) هو كعب بن لؤي بن غالب ، كان عظيم الشأن عند العرب حتى أرخوا بموته إلى عام الفيل ، كان أول من سن الاجتماع يوم الجمعة وكان اسمه يوم العرب، فكانت قريش تجتمع فيخطبهم ويعظهم، من نسله بنو سعد وبنو سهل وبنو العاص من بطون قريش، انظر الأعلام للزركلي 288/5.

(674) متن الرسالة ص : 3 .

(675) متن الرسالة ص : 3.

(676) سورة البقرة آية 23.

وطلب لإعانته على القيام بوظائف الدين ، وإظهار للعجز على نيل ذلك بنفسه، قال الشيخ أبو عبد الله بن عباد رضي الله عنه في شرح الحكم: "مما هو معلوم على القطع من نصوص[أ] الشريعة[ب] وأنواع التجارب[ج] ، أن من أنزل حوائجه بالله تعالى والتجأ إليه وتوكل في أمره كله عليه كفاه كل مؤنة وقرب عليه كل بعيد ويسر عليه كل عسير ، ومن سكن إلى علمه وعقله واعتمد على قوته وحوله وكله الله إلى نفسه وخذله وحرمه توفيقه وأهمله فلم تنجح مطالبه و لم تتيسر مآربه"[677]، وقال في الحكم:" ما توقف مطلب أنت طالبه من ربك ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك"[678]، وفي ذلك قيل :

إذا لم يعنك الله فيما تريده ... فليس لمخلوق إليه سبيل
وإن هو لم يرشدك [في كل مسلك][د] ... ضللت ولو أن السماء دليل[679]

وقيل:

إذا كان عون الله للمرء ناصرا ... تهيأ له من كل صعب مراده
وإن لم يكن عون من الله للفتى ... فأكثر ما يجني عليه اجتهاده[680]

أ–ساقط من "ج".
ب– في "أ": الشرعية.
ج– في "ج": التجارة وفي "أ": التجاريب.
د– في "أ": فيما قصدته.

---

(677) شرح الحكم لابن عباد 25/1.
(678) الحكم ص : 109.
(679) شرح الحكم لابن عباد 81/2.
(680) سبل السلام 207/4.

والضمير المتصل بأعان قيل أنه خاص بالمصنف ، فهو للمعظم نفسه بدليل عطف قوله وإياك عليه، والمراد من ذاك إظهار ملزومه الذي هو تعظيم الله له بتأهيله للتأليف ، فيكون من باب التحدث بالنعم، وفي الحديث/ (81): [ليس منا][أ] من لم يتعاظم بالعلم"، قال الأجهوري: "ومعناه ليس منا من لم يعتقد أن الله جعله عظيما بالعلم حيث جعله محلا له وموصوفا به ، وليس المراد بتعاظمه احتقار غيره فإنه منهي عنه"[681]، والظاهر أن الضمير للجماعة لأن المقام للدعاء ، فيكون المصنف دعا بهذا الدعاء لنفسه ولسائر المسلمين، وكلما كان الدعاء أعم كان أنفع وأقرب للإجابة ﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا [ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان][ب]...﴾[682]، والمقصود من الدعاء هو إظهار الفقر والفاقة والتذلل والخضوع لله تعالى والأدب في الدعاء بطلب فضله تعالى بفضله ، فإن العبد لا يستحق على سيده شيئا، بل يقول يا مولاي أعطني بلا شيء كما قال أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه. ولا يبعده قوله وإياك لأنه شبه الخاص بعد العام تنبيها على أنه هو المقصود الأعظم والمخاطب بقوله وإياك وبما[ج] يأتي من كافة[د] الخطاب هو الشيخ الصالح العابد المؤدب أبو محفوظ محرز بفتح الراء بن حلف الصوفي التونسي المعروف بالعابد ، وكان مجاب الدعوة ، وفي خط بعض أنه ابن خالة المؤلف ابن أبي زيد، وتقدم أنه دعا الله لابنة ابن أبي زيد التي كانت مقعدة فبريت من

أ- ساقط من "أ" و"هـ".

ب- ساقط من "د" و"ط" و"هـ".

ج- في "أ": ومما.

د- في "ط": كافات.

(681) شرح الأجهوري على الرسالة الورقة 18 و19.

(682) سورة الحشر آية 10.

حينها، وكان رفيقا لأبي محمد في شبيبتهما، وقيل المخاطب هو الشيخ الصالح أبو إسحاق إبراهيم بن محمد[أ] السبائي بفتح السين المهملة والباء وهمزة مكسورة كأحد الوجهين في النسائي/(82)، وضعف هذا بأنه لم يكن مؤدبا ، وعلى الأول اقتصر أصحاب التقاييد وعلى الثاني المؤرخون، ويحتمل اتفاقية الجمع قاله ابن ناجي[ب](683)، وقدم نفسه في الدعاء إظهارا للفاقة والافتقار واستعدادا للإجابة ولأنه من القرب الدينية التي لا ينبغي الإيثار فيها أخذا من قول الصحابي "لا أوثر نصيبي منك أحدا" وفي الحديث "كان[رسول الله][ج] صلى الله عليه وسلم إذا دعا بدأ بنفسه"(684)،وفي القرآن ﴿ربي اغفر لي ولوالدي﴾(685)، وأما إذن السيدة عائشة لعمر رضي الله عنه في الدفن في حجرتها فليس من باب الإيثار بل من باب تبديل قربة بقربة، وهي الأدب مع خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، و لم ترد أيضا أن[د] تختص بذلك من بين سائر أمهات المومنين تواضعا. والرعاية الحفظ، والودايع الجوارح السبعة الفرج والبطن واللسان والعين والأذن واليدان والرجلان، فإنها أمانات عند العبد

أ- في "أ": عمر.

ب- في "ع": ابن جني.

ج- ساقط من "أ" و"ط".

د- في "ع": أنها.

---

(683) هو قاسم بن عيسى بن ناجي أبو القاسم، فقيه حافظ تلقى العلم بالقيروان وولي القضاء في عدة أماكن، من مصنفاته شرح المدونة وشرح الرسالة وهو مطبوع مع شرح الشيخ زروق ، توفي سنة 837 هج، ورأيه في الموضوع أورده في :

-شرحه للرسالة 10/1.

(684) أخرجه أحمد في المسند 121/5 وأبو داود في السنن كتاب الحروف والقراءات 286/4 رقم 3984 وابن ماجة في السنن كتاب الدعاء باب إذا دعا أحدكم فليبدأ بنفسه 1266/2 رقم

(685) سورة نوح آية 30.

ليحفظها ، وقد ورد أن من عصى الله بجارحة منها فتح له باب من أبواب جهنم، ومن أطاعه بواحدة منها غلق عنه باب وبالجميع تغلق الأبواب كلها ، أو الأهل والمال ، أو الأمانات[أ] أي التكاليف الشرعية ، قال تعالى ﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها﴾[686]، أي امتنعن من حملها امتناع إشفاق وخوف من عدم القيام بواجب حقها لا امتناع عصيان ، أو الجميع/(83) لأن الإنسان راع على جوارحه وأهله وماله وعبادته وسائر تصرفاه ، "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته"[687]، وعلى الاحتمال الأول فرعاية الودائع إشارة إلى حفظ الجوارح من المناهي وحفظ الشرائع، أي ما جاءت به الرسل من عبادات وغيرها، إشارة إلى امتثال الأوامر ومجموعها هو التقوى والاستقامة[ب]، فالشيخ طلب أفضل ما يطلب [وهو التقوى التي هي بمعنى الاستقامة وهي امتثال الأوامر واجتناب النواهي الظاهرة والباطنة، وهي المشار إليها في الفاتحة بآية ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾[688]][ج]، قال في الحكم :"خير ما تطلبه منه ما هو طالبه منك"[689]. وقد بشر الله تعالى أهل

أ- ساقط من "ع".

ب- في "أ": التقوى التي بمعنى الاستقامة.

ج- ساقط من "د" و"ع" و"ط".

---

(686) سورة الأحزاب آية 72.

(687) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الجمعة باب الجمعة في القرى والمدن 211/1 ومسلم في الصحيح كتاب الإمارة باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر 1459/2 رقم 20 ، وأحمد في المسند 54/2-55 و111 و121 والترمذي في السنن كتاب الجهاد باب ما جاء في الإمام 208/4 رقم 1705 وأبو داود في السنن كتاب الخراج والفيء والإمارة باب ما يلزم الإمام من حق الرعية 342/3 رقم 28-29.

(688) سورة الفاتحة آية 5.

(689) الحكم ص: 134.

الاستقامة في قوله ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ... ﴾ الآية[790]، وأما الآيات[أ] الواردة في أهل التقوى فقد ذكر الله منها ما يقرب من مائتي آية ، انظر جملة منها في شرحنا على المرشد المعين[691]، ومن احتاج إلى شيء من الدنيا فلا بأس أن يسأله من الله لكن لا على وجه مجرد قضاء[ب] الشهوة والوصول إلى المتعة فإنه مذموم، بل ليستعين بذلك[ج] على أداء الحقوق وفعل الخير ونحو ذلك من المقاصد الحسنة، ﴿من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة ﴾[692]، أي فليسألهما منه جميعا، وعلى الآخرين . فقوله: **وحفظ ما أودعنا من شرائعه**[693]، من عطف التفسير وعلى الثاني من عطف العام على الخاص والله أعلم، ويحتمل أن يكون المراد بحفظ الشرائع تحصيلها، فيكون المراد من هذا الكلام طلب العلم والعمل به، ومدار ذلك على الاهتمام بأمر الدين واللجأ إليه تعالى في القيام بذلك ، وقد دعا بنحو ذلك في آخر الكتاب حيث قال : **وأنا أسأل الله عز وجل أن ينفعنا وإياك بما علمنا ويعيننا وإياك على القيام بحقه فيما كلفنا**[694]، فطلب أن يجعل الله سبحانه ما أعطاه له ولصاحبه من العلم نافعا وأن يعين/(84)كلاهما على القيام بالحقوق والتكاليف الشرعية والدعاء بهذا وهو الاستقامة في الدين في غاية المناسبة في هذا المقام ، وهو أن المراد بهذا التأليف الذي طلب من المصنف بيان ما تكون به الاستقامة من

أ- في "أ": الآية.

ب- في "ع": لقضاء.

ج- في "هـ": على ذلك.

---

(690) سورة فصلت آية 30.

(691) شرح الشيخ جسوس على المرشد المعين الملزمة 40 ص : 1 -2 .

(692) سورة النساء آية : 133.

(693) متن الرسالة ص:3 .

(694) متن الرسالة ص.153 .

الأقوال والفعال والأحوال ، وأما طلب الإعانة على التأليف فقد أشار إليه أولا بالبسملة وسيصرح به في قوله : **وبه نستعين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم**(695). وما أحوج أمثالنا لهذا الدعاء الذي دعا به المصنف ، لأن ما ذكره في هذا الكتاب إنما هو بيان لطريق الله تعالى الوصلة لمن سلكها إلى رضاه تعالى، وهو[أ] أكثر المطالب قواطع ومعاطب، فالتعلق بالله تعالى في سلوكها أحق وأصوب، والرجوع فيها إلى الله تعالى أولى وأوجب، ولهذا قال في أواخر[ب] هذا الكتاب: **وليلجأ إلى الله تعالى فيما عسر عليه**(696)، الخ، ولبعضهم :

إني بليت بأربع يرمونني[ج] بسهام قوس ما لها تفتير
إبليس والدنيا ونفسي والهوى[د] يا رب أنت على الخلاص قدير(697)

قوله: **فإنك سألتني**(698)، أي طلبت مني وقد علمت أن السايل دون المسؤول في المرتبة ، فالتعبير بالسؤال في محله، وغرض المصنف بهذا الكلام بيان سبب تأليفه لهذا الكتاب ، وفي ضمن ذلك بيان جملة ما اشتمل عليه من العلوم. قوله: **أن أكتب لك**(699)، فيه سؤال كتابة العلم والإجابة له وقد اختلف فيه قديما ، والصحيح أن ذلك الجواز لأمره

أ- في "ع": هي.
ب- في "ع": آخر.
ج- في "أ" و"ج": يرمينني.
د- في "د": الورى.

(695) متن الرسالة ص : 5.
(696) متن الرسالة ص : 140.
(697) شرح الحكم لابن عباد 60/2.
(698) متن الرسالة ص :3.
(699) متن الرسالة ص: 3 .

عليه السلام بالكتاب(أ) لأبي شاه وإذنه لعبد الله بن عمرو بن العاص(700) وأنس بن مالك(701) في كتب ما سمع منه في الغضب والرضى قايلا: "إني لا أقول إلا حقا"(702). وكان من السلف من لا يقول بكتابته ليلا يزهد في الحفظ اتكالا على الكتاب، قال اللخمي: "ولا يختلف اليوم في الجواز لقصور الهمم وقلة حفظ الناس"، [بل كتابته اليوم](ب) فرض إذ لولا تدوينه ما وصل من السلف إلى الخلف. وقوله : **جملة**، هي عبارة عن المسائل(ج) المضموم بعضها إلى بعض بعد أن كانت مفرقة ، ومنه أجملت الحساب إذا جمعت بعضه إلى بعض، وقوله: **مختصرة** ، أي قليلة الألفاظ كثيرة المعاني، وإنما سأله الاختصار لأنه أسهل للحفظ وأقرب للضبط، ومع اختصارها قال الزناتي : "فيها أربعة آلاف مسألة وهي مأخوذة من أربعة آلاف حديث كما في الأقفهسي والشيخ زروق(703) وابن ناجي"(704)، ونقله

أ- في "د" و"هـ": الكتب وفي "ع": بكتبه.

ب- في "أ": وكتابته اليوم.

ج- في "أ": السائل.

---

(700) عبد الله بن عمرو بن العاص الصحابي الجليل ، كان فاضلا حافظا للعلم ، أسلم قبل أبيه، وقد أذن له النبي صلى الله عليه وسلم في الكتابة عنه في الرضى والغضب، اختلف في سنة وفاته فقيل سنة 63 وقيل 67 وقيل 72 هج، ترجمته في الاستيعاب 3/956-959 وأسد الغابة 3/245-247 والإصابة 4/192.

(701) هو الصحابي الجليل أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من المكثرين في رواية الحديث النبوي الشريف، وهو آخر من توفي من الصحابة بالبصرة سنة 93 هج، ترجمته في الاستيعاب 1/109-110 و أسد الغابة 152-1/151 والإصابة 1/126.

(702) أخرجه أحمد في المسند 2/162 و192 وأبو داود في السنن كتاب العلم باب كتاب العلم 4/60 والدارمي في السنن المقدمة الباب رقم 43/ 1/106 رقم 510.

(703) شرح الرسالة لزروق 1/17.

(704) شرح ابن ناجي 1/17.

الحطاب[705] خلافا لابن عمر، وقد أسقط المصنف إسنادها ونسبها[أ] اختصارا، وقد ألف الأبهري كتابا في إسنادها سماه مسند الجلالة في مسند الرسالة ، قال الأجهوري :" ليس المراد أن أربعة آلاف حديث مذكورة فيها، وإنما هي أدلة مسائلها إذ ليس فيها مسألة إلا وهي مأخوذة من حديث ، وقد تقدم ما يفيد هذا"[706]. وتسمى رسالة وجملة وباكورة المذهب، لأنها أول مختصر اختصر في المذهب ، ولم يكن قبلها مختصر سوى الجلاب ، وتسمى باكورة السعد لأنها سعد بها خلق كثير، وتسمى زبدة المذهب، انظر الحطاب[707] . قوله: **من واجب أمور الديانة**[708]، هذا وما بعده بيان لما اشتملت عليه هذه الجملة [وهو ستة أشياء][ب]، والواجب أحد الأحكام الخمسة ما يثاب فاعله امتثالا ويعاقب تاركه غالبا، ويقابله الحرام وهو ما يعاقب فاعله ويثاب تاركه امتثالا، والمكروه هو ما في تركه امتثالا الثواب وليس في فعله عقاب ، وستأتي أقسام المطلوب طلبا غير جازم، وإنما قيدت بغالبا لأن من الواجب ما لا يأثم بتركه، وهو شكر المنعم بنعمة معينة، فإن معنى وجوبه كما قال ابن حجر في شرح الشمائل أنه إذا أتي[ج] به في مقابلة النعمة يثاب عليه ثواب الواجب لا بمعنى أنه يأثم بتركه، وإن أتي به لا في مقابلة شيء أي لم تقصد المقابلة أثيب عليه ثواب المندوب ، كما أن من الواجب ما لا يثاب على فعله وهو معرفة

أ- ساقط من "ب" و"د" و"ع" و"ط".

ب- ساقط من "ع".

ج-في"أ": أوتي.

(705) حواشي الحطاب على الرسالة ص: 5 .

(706) شرح الرسالة للأجهوري الورقة 8.

(707) حواشي الحطاب على الرسالة ص :6 .

(708) متن الرسالة ص : 4.

الله ، بمعنى النظر الأول فإنه لا يثاب عليه كما حققه القرافي قايلا: "إن الثواب يقتضي سبق معرفة المثيب والفرض خلافه"(709)، انظر حواشي شيخ الإسلام على المحلي، وفيما قاله ابن حجر نظر ، إذ هي دعوى تحتاج لدليل كما تقدم، فقد يقال حكمه الندب وإن كان في مقابلة النعمة ويكون الاعتراف بالنعمة عند تذكرها هو القدر الواجب ، فيكون النطق بلفظ من ألفاظ الثناء مندوبا ، ويبقى الوجوب على حقيقته من ترتيب(أ) العقاب على تركه ، قاله شيخنا المحقق في شرحه للحصن الحصين. وفيما قاله ابن حجر أيضا أنه ينقض تعريفهم ، والواجب بما يثاب على فعله ويعاقب على تركه ، اللهم(ب) إلا أن يقال أن هذا الواجب من باب الواجب المخير الذي وضع لتأديته طرق ، فإنه مهما أدي بواحد منها أثيب ثواب الواجب ، ولا يأثم بتركه [وإنما يأثم بترك](ج) جميع تلك الطرق ، ويلزم النقص المذكور في جميع(د) باب الواجب المخير ، قاله بعض نجباء أصحابنا، وإنما قيدت امتثالا في الواجب والمحرم لقول القرافي:"في نفقات الزوجات ورد الديون والغصوب والعواري ونحوها، إذا فعلها المكلف غافلا عن امتثال أمر الله فيها وقعت واجبة مبرية للذمة ولا يثاب على شيء من ذلك كله حتى ينوي امتثال أمر الله فيه، والمحرم الذي لا يثاب على تركه كترك شرب الخمر والزنى والسرقة وقتل النفس وما أشبه ذلك من المحرمات فإنه يخرج عن عهدتها بتركها ولا يثاب على شيء من ذلك كله فعلا كان أو تركا حتى تقترن به النية ويقصد امتثال أمر الله تعالى في الفعل والترك"(710)،

أ- في "ع": ترتيب.

ب- ساقط من"هـ".

ج-ساقط من "ع".

د- ساقط من "ع".

---

(709) ورد معناه في الفروق 1/52-53.

(710) الذخيرة 67661 والفروق 1/120.

انظر الأجهوري[711]. وأمور الديانة مسايلها ، والديانة قال التتائي :"من دان يدين إذا أطاع"[712]، وقال الحطاب الديانة المعاملة ومنه قولهم "كما(86)/تدين تدان"، والمراد ما يدان الله به،أي يعامل به ويعبد به وهو شريعته"[713]. وفي نسخة الديانات ، أي وظائف الدين القولية والفعلية، وأتي بالجمع مع أن الدين واحد باعتبار أنواع العبادات وباعتبار المكلفين، ولما كان الواجب من أمور الديانة لا يخرج عن ثلاثة أشياء أفادها بقوله: **مما تنطق به الألسنة وتعتقده القلوب وتعمله الجوارح**[714]، فهو تفصيل لقوله: **واجب**[أ] **أمور الديانة**[715] . الأول كالشهادتين وقراءة أم القرآن ، والثاني كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والثالث كالطهارة والصلاة وغيرهما، وساير أفعال العباد لا تخرج عن هذه الثلاثة كما قال ابن ناجي[716]. قوله : **وما يتصل بالواجب**[717]، عطف على **واجب**، ومعنى يتصل به يتبعه ويليه في درجة الطلب ولذلك بينه بقوله : **من ذلك السنن**[718](ب) ، وليس المراد بذلك خصوص الرواتب التي تفعل قبل الصلاة أو بعدها. والإشارة في قوله: **من ذلك**، عايدة على أمور الديانات لا على ما تعمله الجوارح كما قيل . وقوله : **من ذلك السنن**، المراد بالسنة في كلام

أ- في "ب": أوجب.

ب- في "أ": الشرع.

ج- في "ب" و"ج" : بمعنى.

(711) شرح الرسالة للأجهوري ورقة 17.

(712) تنوير المقالة للتتائي ص :12 .

(713) حاشية الحطاب على الرسالة ص :3 .

(714) متن الرسالة ص:4.

(715) متن الرسالة ص:4 .

(716) شرح الرسالة لابن ناجي 11/1.

(717) متن الرسالة ص :4 .

(718) متن الرسالة ص:4 .

المصنف هنا المطلوب الغير الواجب، لا السنة بالمعنى المصطلح عليه بدليل أنه فصلها بقوله : **من مؤكدها ونوافلها ورغائبها**[719]، **فهو** بدل من السنن بدل مفصل من مجمل ، ثم إن مرتبة النافلة متأخرة عن مرتبة الرغيبة[أ]، كما أن الرغيبة متأخرة في المرتبة عن السنة، أي باعتبار الثواب والطلب، بدليل افتقارها إلى نية كالسنة وعليه فكان من حق المصنف تقديم الرغايب على النوافل وإن كانت الواو لا ترتب، ثم إن السنن في نفسها متفاوتة كما أن النوافل كذلك متفاوتة، قال في المختصر : "ندب نفل وتؤكدا"[720] الخ، ثم قال :"والوتر سنة أكد"[721] الخ، وقد علمت أن ما دون الواجب إما سنة أو رغيبة أو نفل. والسنة اصطلاحا ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم وأظهره في جماعة وداوم عليه ولم يدل الدليل على وجوبه، كالعيدين والكسوف والوتر ، إلا أن الضابط المتقدم غير صادق على الوتر والله أعلم، لأن المعروف أنه صلى الله عليه وسلم كان يختم تهجده بالوتر ، ولم يداوم عليه الصلاة والسلام على إظهار تهجده في جماعة فانظر ذلك. والرغيبة حدها بعضهم.بما رغب فيه النبي صلى الله عليه وسلم بالقول ولم يفعله في جماعة، قال الأجهوري :"وهو غير مانع لأن بعض المندوب رغب فيه كما يأتي في الرواتب اللهم إلا أن يزاد، وحده عينه في عدد مخصوص"[722] وقال الشيخ عبد الباقي[723] في شرح المختصر :" والأولى أن

أ- في "ج": الراغبة.

---

(719) متن الرسالة ص:4 .

(720) مختصر خليل ص:38.

(721) مختصر خليل ص:38 .

(722) شرح الرسالة للأجهوري الورقة 22.

(723) هو أبو الطاهر إبراهيم بن عبد الصمد بن بشير التنوخي المهدوي الإمام العالم الجليل، الفقير الحافظ، بينه وبين أبي الحسن اللخمي قرابة، وتفقه عليه في كثير من المسائل، ورد عليه في اختياراته، أخذ عن الإمام السيوري وغيره، ألف كتاب "التنبيه على مبادئ=

تبين الرغيبة بالعد لأنه ليس لنا منها سوى[أ] ركعتي الفجر"[724]، أي على أحد القولين فيها وهو قول من يشترط الإظهار في تعريف السنة، ولعل من لا يشترط ذلك لا يفرق بين السنة والرغيبة والكل عنده سنة، ولا بد على هذا أن يزاد قيد وحده في تعريف السنة ليلا يرد أن من النافلة ما هو كذلك، انظر الأجهوري[725]. والنافلة ما عدا السنة والرغيبة والفرض ، وتسمى مستحبا أو فضيلة ومندوبا ، قال الحطاب: "وذلك كصلاة الضحى وقيام الليل، لأن صلاة الليل أظهرها ولم يداوم على إظهارها، وصلاة الضحى داوم عليها ولم يظهرها حتى قالت عائشة :"من حدثك[ب] أنه كان يصلي الضحى فقد كذب"، وصح نقلها عنه عليه السلام من غير وجه"[726]، وفي عبارة ابن بشير[727] إطلاق اسم الفضيلة على الرغيبة ، انظر الحطاب[728]،قوله: **وشيء من الآداب منها**[729]، هو الأمر الثاني مما عطفه المصنف على قوله واجب وهو الثالث من المسؤول والمراد بالآداب في كلامه استعمال ما يحمد ويحسن حالة الإنسان فيما بينه وبين ربه

أ- في "ع": إلا.
ب- في "أ": حدث.

=التوجيه" في أسرار الشريعة، وكتاب جامع الأمهات، والتهذيب على التهذيب (أي تهذيب المدونة) وكتاب المختصر ذكر فيه أنه أكمله سنة 526هـ مات شهيداً رحمه الله تعالى. شجرة النور الزكية ص : 126.

(724) شرح المختصر للزرقاني : 3/2.

(725) شرح الأجهوري على الرسالة الورقة 21.

(726) حواشي الحطاب على الرسالة ص .3 .

(727) هو أبو الطاهر إبراهيم بن عبد الصمد بن بشير التنوخي المهدوي الإمام العالم الجليل، الفقيه الحافظ، بينه وبين أبي الحسن اللخمي قرابة، وتفقه عليه في كثير من المسائل، ورد عليه في اختياراته، أخذ عن الإمام السيوري وغيره، ألف كتاب التنبيه على مبادئ التوجيه، في أسرار الشريعة، وكتاب جامع الأمهات، والتهذيب على التهذيب (أي تهذيب المدونة) وكتاب المختصر ذكر فيه أنه أكمله سنة 526هـ مات شهيداً رحمه الله تعالى. شجرة النور الزكية ص :126 .

(728) حواشي الحطاب على الرسالة ص:3.

(729) متن الرسالة ص:4.

وملائكته وكتبه ، وبينه وبين الناس قولا كان أو فعلا متعلقا بالظاهر أو بالباطن، فيتناول جميع ما ذكره المصنف في آخر الكتاب من آداب الأكل والشرب والسفر واللباس والنوم وغير ذلك، فالآداب كما تطلق على ما كان منوطا بالأكل والشرب ونحوهما من العاديات قد تطلق على غير هذا وعلى ما يشمل هذا وغيره ، وقسمها بعضهم إلى [أ] ثلاثة[ب] أقسام ، قال الشيخ زروق في الحادي عشر من شروح الحكم :"قال أبو نصر السراج[730]: والناس في الأدب[ج] على ثلاث طبقات ، أهل الدنيا وأكثر آدابهم في البلاغة وأخبار الملوك وأشعار العرب، وأهل الدين وأكثر آدابهم رياضة النفوس وتأديب الجوارح وتهذيب الطباع[د] وحفظ الحدود وترك الشهوات واجتناب الشبهات والمسارعة إلى الخيرات ، وأهل الخصوصية من أهل الدين وآدابهم حفظ القلوب ومراعاة الأسرار واستواء السر والعلانية"[731]، المراد منه وقد ألم المصنف بشيء من القسم الثاني والثالث دون الأول ، ولذلك قال : **وشيء من الآداب منها**[732]، ومدار التصوف على هذين القسمين الأخيرين فقد اشتملت الرسالة على العقايد والفقه والتصوف وهي الإيمان والإسلام والإحسان التي هي أقسام الدين كما سيأتي، والضمير في قوله **منها** راجع لأمور الديانات لا للسنن ولا للجملة كما قيل.

أ- في "أ" و"ب": على.

ب- في "هـ": ثلاث.

ج- في "ع": الآداب.

د- في "أ": الطبايع.

---

(730) هو الشيخ أبو نصر محمد بن سهل بن محمد بن أحمد الشاذياخي مسند نيسابور أحد أصحاب أبي نعيم ، توفي سنة 483 هج، ترجمته في السير 529/18 والعبر 303/3 وشذرات الذهب 369/3.

(731) اللمع لأبي نصر السراج ص : 195 .

(732) متن الرسالة ص : 4 .

قوله: **وجمل من أصول الفقه وفنونه**(733)، هذا هو الرابع من المسؤول ، وفيه ثلاثة أوجه من جهة اللفظ، أحدها الجر بالعطف على قوله : **واجب أمور الديانة**(أ)، وهذا(ب) أظهر الأوجه، وعليه فالمراد بالواجب خصوص الواجب من العبادات دون المعاملات لتقع المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه، لأن في الجمل واجبات أيضا ولكنها من مسايل المعاملات ،وأما العطف على السنن كما في التتائي(734) فيقتضي أن ليس في الجمل شيء من الواجبات لأنها حينئذ تكون مدخولة لقوله: **يتصل بالواجب** وليس كذلك، الثاني النصب بالعطف على قوله **جملة** ، قال الحطاب: "وهو أولى ولسيما على ما روي أن الشيخ كتب له أولا باب العقيدة وجملا من الفرائض فما بهذه فراجعه بطلب جمل من أصول الفقه وفنونه"(735)، ويغاير بينهما بما سبق، الثالث الرفع ذكره الشيخ زروق(736) وهو أبعدها لافتقاره إلى تقدير الخبر أي وفيها جمل وهذا لا داعي إليه مع إمكان غيره ، وقوله : **من أصول الفقه**(737)، يحتمل ثلاثة احتمالات أحدها أن يراد بها أمهات المسايل التي ترجع إليها فروعه وهي المراد بالفنون كمسألة بيوع الآجال(ج)/(88) فإنها أصل بالنسبة لما يخرج منها، وكمسألة المكاتب وأم الولد وأمة الشركة يطأها أحد الشريكين ، والدين بالدين وبيع الغائب ونحو ذلك مما تتشعب فيه المسائل [وعلى هذا

أ- في "هـ": الديانات.

ب- في زع": وهو.

ج- في "أ": الأجل.

(733) متن الرسالة ص :4 .

(734) تنوير المقالة ص : 13 .

(735) حاشية الحطاب على الرسالة ص : 4 .

(736) شرح زروق على الرسالة 131.

(737) متن الرسالة ص : 4.

الاحتمال اقتصر الحطاب][أ][738]. الثاني أن يراد بها أدلة من الكتاب والسنة وكلام السلف ، فمن الكتاب قوله تعالى ﴿وأحل الله البيع وحرم الربا﴾[739]، وقوله ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾[740]، ومن السنة كقوله: "ومن ابتاع طعاما فلا يجوز بيعه قبل أن يستوفيه ، ولا يخطب أحد على خطبة أخيه ، ولا يسوم على سومه"[741] ، ومن الآثار عن السلف كقوله : "تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور[742]، ويراد بالفروع ما استنبط من الكتاب والسنة وهو الكثير في كلامه، قال بعضهم وقد سئل المصنف عما أراد بالأصول والفنون فأجاب بأن المراد بالأصول الأحاديث وبالفنون آراء الفقهاء . الثالث أن المراد بها أدلة على ما هو المصطلح عليه عند بعض المتقدمين ، وقد ذكر شيء من ذلك في باب جمل من الفرائض والسنن ، واستعمل فيه طريق القياس المتعارف عند الأصوليين ، فمن ذلك قوله: الخمر حرام، وقوله عليه

أ- ساقط من "د" و"ع".

(738) حاشية الحطاب على الرسالة ص :4-5.

(739) سورة البقرة آية 274.

(740) سورة الأعراف آية 31.

(741) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب البيوع باب الكيل على البائع والمعطي لقول الله تعالى ﴿وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون﴾، 21/3 ومسلم في الصحيح كتاب البيوع باب بطلان بيع المبيع قبل القبض 1159/2 رقم 92 ، وأحمد في المسند 270/1 وأبو داود في السنن كتاب البيوع والإجارات باب بيع الطعام قبل أن يستوفى 7603 رقم 3492 والنسائي في السنن كتاب البيوع باب بيع الطعام قبل أن يستوفى 285/7 رقم 4592 وابن ماجة في السنن كتاب التجارات باب النهي عن بيع الطعام قبل ما لم يقبض 742/2 رقم 2226-2227 والدارمي في السنن كتاب البيوع باب النهي عن بيع الطعام قبل القبض566/2 رقم 2526 ومالك في الموطأ كتاب البيوع باب العينة وما يشبهها 640/2 رقم 40-41-43.

(742) أورده الأنفاسي في شرحه للرسالة ص : 16.

الصلاة[أ] والسلام "كل ما أسكر[ب] كثيره فقليله حرام، وكل ما خامر العقل فأسكر من كل شراب فهو خمر"[743]، أي فهو حرام، وهذا استعمال المقدمات والنتائج . والفقه لغة الفهم، يقال فقه بكسر القاف بمعنى فهم وبفتحها سبق غيره للفهم وبضمها صار الفقه له سجية ، واصطلاحا العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية. قوله : **على مذهب الإمام مالك بن أنس [رحمه الله تعالى]**[ج][744]، هذا هو الخامس من المسؤول ، فالجار والمجرور في محل نصب على الحال من قوله **جملة مختصرة**. والمذهب لغة موضع الذهاب وهو الطريق، والمختار أن المراد به هنا قول مالك ، كما أن المراد بطريقته قول أصحابه الجاري على قواعده فهو مصدر مما أريد به المفعول ، أي ما ذهب إليه من الأحكام ولا يصح حمله على المكان بتعسف[د] ، لأن الأحكام مذهوب إليها لا فيها كما قال[هـ] اللقاني، والمتأخرون يطلقون المذهب على ما تجب به الفتوى لكونه الراجح الأقوى، واختار السايل أن تكون هذه الجملة على مذهب مالك لأمور أحدها أنه متبوع أهل المغرب الذين لا يزالون

أ- ساقط من "د" و"ع" و"هـ".
ب- في "ع": يسكر.
ج- ساقط من "أ".
د- في "أ" و"ب": متعسف.
هـ- في "ب" و"ج": في.

(743) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الأشربة باب ما جاء في أن الخمر ما خامر العقل في الشراب 242/6-243 ومسلم في الصحيح كتاب التفسير باب في نزول تحريم الخمر 2322/3 رقم 33 وأبو داود في السنن كتاب الأشربة باب في تحريم الخمر 78/4 رقم 3669 والنسائي في السنن كتاب الأشربة باب إثبات إسم الخمر لكل مسكر من الأشربة 296/8-297 رقم 5580-5581-5582-5583-5584 مع اختلاف في اللفظ.

(744) متن الرسالة ص: 4 .

ظاهرين على الحق إلى قيام الساعة كما صح في الحديث(745)، وإن اختلفت روايته[أ] والسايل منهم، والثاني أنه عالم المدينة وإمام دار الهجرة في خير القرون ، وقد صح في الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال:" يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل في طلب العلم فلا يجدون عالما أعلم من عالم المدينة"(746)، قال سفيان : "نرى أن المراد بهذا الحديث مالك بن أنس"(747)، قال القاضي عبد الوهاب:" ولم يشتهر بعالم المدينة/ (89) من الأئمة الأربعة غيره، فهم لا ينازعونه[ب] في هذه المزية ، وحمل غير واحد الحديث عليه كابن عيينة(748) وأمثاله، ومن جرى له ذلك قبل مالك لم يدم له ولم يشتهر به شهرته"(749). ومذهبه رضي الله عنه مبني على سد الذرائع واتقاء الشبهات ، فهو أبعد المذاهب عن الشبه ، وقد عصم الله مذهبه من[ج] أن يكون فيه ذو هوى موسوما بالإمامة، فلا تسمع أن أحدا ممن يقلده قال بشيء من هذه البدع، وجل من يعتقد مذهبا من المذاهب فيهم الخارجي والرافضي إلا مذهب مالك ، الثالث أن مالكا جمع بين

أ- في "ع": رواياته.

ب- في "أ": ينازعوه.

ج- ساقط من "أ".

---

(745) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة باب قوله عليه الصلاة والسلام :" لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم" 1523/2 رقم 177.

(746) أخرجه الإمام أحمد في المسند 299/2 والترمذي في السنن كتاب العلم باب ما جاء في عالم المدينة 47/5 رقم 2680 وقال حديث حسن.

(747) التمهيد 84/1.

(748) هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران الإمام الكبير حافظ عصره المجمع على صحة حديثه وروايته ، روى عن الزهري وغيره، توفي سنة 198 هج، ترجمته في تهذيب التهذيب 122-177/4 وميزان الاعتدال 170/2 ووفيات الأعيان 391/2-393.

(749) شرح زروق على الرسالة 131.

شرف[أ] الفقه والحديث ولذلك ملأ البخاري ومسلم صحيحيهما بالرواية عنه، بخلاف الشافعي وأبي حنيفة ولذلك لم يقع لهما ذكر على وجه الرواية عنهما في الصحيحين، وإن كان الشافعي أقوى في الحديث من أبي حنيفة، وبخلاف الإمام أحمد فإنما كان الغالب عليه الحديث، و لم يرو[ب] البخاري عنه إلا في موضعين ، قيل لأنه أدرك أشياخه فاكتفى بهم ، الرابع أنه إمام الأئمة وشيخهم، فأما أبو حنيفة فقد حكى غير واحد أنه لقي مالكا وأخذ عنه، وإن كان أبو حنيفة أكبر سنا منه، وقد ألف الدارقطني[750] كتابا جمع فيه الأحاديث التي رواها أبو حنيفة عن مالك ، ولا غرابة في أخذ الأكابر عن الأصاغر فقد أخذ عنه من هو أكبر سنا من أبي حنيفة وأقدم ، كابن شهاب الزهري وربيعة وغيرهما، وما توفي حتى احتاج إليه من أشياخه من كان يحتاج إليه، قال مالك:"ما أحد ممن نقلت عنه هذا العلم إلا اضطر إلي حتى سألني عن أمر دينه"[751]، وأما الشافعي فقد قال : "مالك أستاذي وعنه أخذت العلم وهو الحجة بيني وبين الله تعالى وما أحد أمن علي من مالك ، وإذا ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب"[752]، وقال ابن الأثير[753] :"كفى مالكا شرفا أن الشافعي رحمه الله تلميذه وكفى

أ- في "ع": شرفي.

ب- في "أ": يروي.

---

(750) هو علي بن محمد بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان البغدادي الدارقطني الشافعي أبو الحسن، محدث حافظ مشارك في العلوم ، صاحب كتاب المؤتلف والمختلف في أسماء الرجال ومؤلفات أخرى عديدة منها كتاب القراءات وفضائل الصحابة ، توفي سنة 385 هج، ترجمته في السير 16/449-461 ووفيات الأعيان 3/297-299 وشذرات الذهب 3/116-117.

(751) مواهب الجليل 1/27.

(752) تزيين الممالك بمناقب سيدنا الإمام مالك للسيوطي 111.

(753) هو علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الموصلي المعروف بابن الأثير الجزري عز الدين أبو الحسن ، مؤرخ محدث نسابة مشارك في العلوم مؤلف الكامل في التاريخ=

الشافعي فخرا أن مالكا شيخه"،[754] وأما الإمام أحمد فقد أخذ عن الشافعي، فهو تلميذ مالك بواسطة قال النووي : "وقد أجمعت طوائف العلماء على إمامة مالك وجلالته وعظيم سيادته وتبجيله وتوقيره والإذعان له في الحفظ والتثبت وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم"[755]، وقال البخاري :"أصح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما"[756]، واعتماده رضي الله عنه على الكتاب والسنة وعمل أهل المدينة ، وهو أعلم الناس[أ] بالناسخ والمنسوخ إذ كانت الأحكام تتجدد إلى وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم. أخذ رحمه الله عن تسعمائة شيخ، ثلاثمائة من التابعين وستمائة من تابعيهم، فمن اختاره وارتضاه[ب] لدينه وفقهه وتيقظه وقيامه بحق ، ولازم ابن هرمز[757]، رضي الله عنه خمس عشرة سنة من الغدو إلى الزوال/(90) في علم قال مالك : "لم أبثه لأحد من الناس"[758]. وقام بمذهبه بعد وفاته جماعة من أصحابه أشهرهم عبد الرحمن بن القاسم العتقي المصري، وتوفي ابن القاسم عام

أ–في "ه": بالناس.

ب– ساقط من "ج" و"ع".

= واللباب في تهذيب الأنساب وأسد الغابة في معرفة الصحابة وغيرها، توفي سنة 630 هج، ترجمته في السير 353/22 ووفيات الأعيان 348/3-350 .

(754) جامع الأصول 180/1.

(755) تهذيب الأسماء واللغات للنووي 75/2-76.

(756) في سنن البيهقي 283/10 رقم 21169 قال: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أنبأنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب حدثنا محمد بن سليمان قال سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: أصح الأسانيد كلها مالك عن نافع عن ابن عمر.

(757) هو أبو بكر عبد الله بن يزيد بن هرمز وقيل اسمه يزيد بن عبد الله بن هرمز، يعد من التابعين ، كان شديد التحفظ قليل الفتيا كثير التعبد، جالسه مالك طويلا، توفي سنة 148 هج، ترجمته في الجرح والتعديل 199/5 وتاريخ البخاري 224/5 والسير 379/6.

(758) مواهب الجليل للحطاب 26/1.

أحد وتسعين ومائة ، وأخذ عن ابن القاسم جماعة منهم سحنون مؤلف المدونة واسمه عبد السلام بن سعيد التنوخي، توفي سنة أربعين ومائتين ، رحم الله الجميع ونفعنا ببركاتهم . ولمالك [رضي الله][أ] عنه تآليف كثيرة عد الحطاب[759] منها ثمانية أفضلها الموطأ الذي لم يسبق إلى مثله وليس بعد القرآن أصح منه ، ومما نقله العلماء من كلامه رضي الله عنه أنه قال : "العلم نفور لا يأنس إلا بقلب تقي خاشع"[760]، وقال:" ينبغي للعالم إذا كان يشار إليه بالأصابع أن يضع التراب على رأسه ويعاقب[ب] نفسه إذا خلا بها، ولا يفرح بالرياسة فإنه إذا اضطجع في قبره وتوسد التراب ساءه ذلك كله"[761]، وقال: "عليك بمجالسة من يزيد في علمك قوله ويدعوك إلى الآخرة فعله، وإياك ومجالسة من يضلك قوله ويدعوك إلى الدنيا فعله"[762]، وقال: " لا يصلح الرجل حتى يترك ما لا يعنيه ويشتغل بما يعنيه فإذا فعل ذلك يوشك أن يفتح الله قلبه"[763]، وقال"ما زهد أحد فيها إلا أنطقه الله بالحكمة"[764]، وقال :" من صدق في حديثه متع بعقله و لم يصبه ما يصيب الناس من الهرم والخرف"[765]، وقال: ' طلب الرزق في شبهة خير من الحاجة إلى الناس"[766]، وقال :"كثرة الكلام تمج العالم وتذله وتنقصه، ومن

أ- ساقط من "ب".
ب- في "ع": يعاتب.

---

(759) مواهب الجليل 30/1.
(760) ترتيب المدارك 60/2.
(761) مواهب الجليل 29/1.
(762) مواهب الجليل 9/1.
(763) مواهب الجليل 29/1.
(764) مواهب الجليل 29/1.
(765) تزيين الممالك للسيوطي 17/1.
(766) مواهب الجليل 30/1.

عمل هذا ذهب بهاؤه"[767]، وقال :" نعم الرجل فلان لولا أنه يتكلم بكلام شهر في يوم"[768]، وكان شديد الورع والتثبت في الفتيا، انظر الحطاب[769]. وقد قال له[أ] يحي[ب] بن يحي[770]، في مرض موته: أوصني ، قال :" أوصيك بثلاث الأولى أجمع[ج] لك فيها علم العلماء ، وهي إذا سئلت عن شيء لا تدري فقل لا أدري ، الثانية أجمع لك فيها طب الأطباء وهي أن ترفع يدك من الطعام وأنت تشتهيه، والثالثة أجمع لك فيها حكمة الحكماء وهي إذا كنت في قوم فكن أصمتهم ، فإن أصابوا أصبت وإن أخطئوا[د] سلمت منهم"[771]، وفيه قال ابن المبارك[772] رضي الله عنه:

صموت إذا ما الصّمتُ زَيّنَ أهلَهُ — وفَتّاقُ أبكار الكلام المختم
وعى ما وعى القرآن من كل حكمة — ونيطت[هـ] له الآداب باللحم والدم[773]

أ-ساقط من "هـ".
ب- ساقط من"أ".
ج- ساقط من "أ".
د-في "أ": خطوا.
هـ- في "ا": وينطت.

(767) مواهب الجليل 30/1.
(768) مناقب سيدنا الإمام مالك للزواوي 41/1.
(769) مواهب الجليل 27/1.
(770) هو أبو زكرياء يحي بن يحي بن بكير التميمي النيسابوري العالم الثبت الثقة ، قرأ على مالك الموطأ ولازمه ، وعن الليث بن سعد وجماعة وعنه البخاري ومسلم وغيرهما، توفي سنة 226 هج، ترجمته في تهذيب التهذيب 296/11 والسير 512/10-519.
(771) شرح الجرداني على الأربعين النووية ص : 105–106 .
(772) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك المروزي الفقيه الإمام المتفق على جلالته علما وزهدا ، اجتمع فيه العلم والفقه والحديث والشعر، توفي سنة 181 هج، ترجمته في السير 378/8 ووفيات الأعيان 32/3-34 والديباج 407/1-408.
(773) سير أعلام النبلاء 133/8.

وكان [أ] له [ب] في مجلسه صمت ووقار وهيبة، وفيه قال عبد الله بن سلام الخياط:

يأبى الجواب فما يراجع هيبة والسائلون نواكس الأذقان
أدب الوقار وعز سُلطانِ التُّقى فهو المهاب وليس ذا

قال ابن المدني:"كان مالك يذهب لقول سليمان بن يسار(775) وسليمان يذهب لقول عمر بن الخطاب"(776)، فمذهب مالك إذا مذهب عمر رضي الله عنه، وقال رحمه الله :" ليس كل من أحب أن يجلس في المسجد للحديث والفتيا جلس ، بل حتى يشاور فيه أهل الصلاح والفضل وأهل الجهة من المسجد، فإن رأوه أهلا لذلك جلس ، وما جلست حتى شهد لي [ج] سبعون شيخا من أهل العلم أني موضع لذلك"(777)، وجلس للناس وهو ابن سبع عشرة سنة، وكان شديد التعظيم لرواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأهل جنابه الشريف، قال مطرف(778) : "كان إذا أتى

أ- في "ه": فكان.
ب- ساقط من "ع".
ج- في "ع": في.

(774) التمهيد 84/1.
(775) هو أبو أيوب وقيل أبو عبد الرحمن سليمان بن يسار أخو عطاء بن يسار ، ولد في خلافة عثمان رضي الله عنه، كان مولى لأم المؤمنين ميمونة وقيل كان مكاتبا لأم سلمة رضي الله عنها، حدث عن زيد بن ثابت وابن عباس وأبي هريرة وجماعة من الصحابة ، توفي سنة 107 هج، انظر تهذيب الكمال 119/8 تهذيب التهذيب 228/4 والسير 444/4.
(776) هو أمير المؤمنين أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل ، من أشراف قريش ، أسلم وكان إسلامه عزا للإسلام وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنه راض، انظر ترجمته في الاستيعاب 1144/3-1159 وأسد الغابة 642/3-678 والإصابة 588/4 وقد خصص له الشيخ جسوس ترجمة وافية فيما يأتي.
(777) تزيين الممالك للسيوطي 8/1.
(778) هو أبو مصعب مطرف بن سليمان بن يسار الهلالي المدني ، صحب الإمام مالكاً سبعة عشر عاما وكان مقدما على غيره من أصحاب مالك، توفي سنة 220 هج، ترجمته في ترتيب المدارك 133/3 وشجرة النور 57/1.

الناس مالكا خرجت إليهم الجارية فتقول : يقول لكم الشيخ تريدون الحديث أو المسائل؟ فإن قالوا المسائل خرج إليهم وإن قالوا الحديث دخل مغتسله واغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا ولبس ساجة وتعمم ووضع على رأسه رداءه، وتلقى له منصة فيخرج فيجلس عليها وعليه الخشوع ، ولا يزال يبخر بالعود[أ] حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلمس، قال غيره : " ولم يكن يجلس على تلك المنصة إلا إذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلمس، قال ابن أبي أويس: "فقيل لمالك في ذلك فقال : أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسل ولا أحدث إلا على طهارة متمكنا"[779]، وقال عبد الله بن المبارك : "كنت عند مالك رحمه الله تعالى وهو يحدثنا فلدغته عقرب ست عشرة مرة وهو يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث رسول الله صلى اله عليه وسلم، فلما فرغ من المجلس وتفرق الناس قلت له : يا أبا عبد الله لقد رأيت منك اليوم عجبا، قال نعم إنما صبرت إجلالا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم"[780]، وكان يكره أن يحدث في الطريق أو هو قائم أو مستعجل. وذكر أن [هشام بن الغاز[781]][ب] سأل مالكا عن حديث وهو واقف فضربه عشرين سوطا ثم أشفق عليه فحدثه عشرين حديثا ، فقال هشام: وددت لو زادني سياطا ويزيدني حديثا"، انظر الشفا [782]. وكان ذا

أ- في "أ" و"ب": بالطيب.

ب- ساقط من "ب".

(779) مناقب الإمام مالك للزواوي 34/1.

(780) فيض القدير 253/3.

(781) هو أبو العباس هشام بن الغاز الدمشقي الإمام المحدث ، روى عن عطاء بن أبي رباح ومكحول والزهري وجماعة وعنه ابن المبارك ووكيع وغيرهما، قال فيه أحمد بن حنبل: صالح الحديث، توفي سنة 156 هج، ترجمته في تهذيب الكمال 279/19 وتهذيب التهذيب 55/12 وميزان الاعتدال 304/4 .

(782) الشفا للقاضي عياض 39/2.

فطنة وذكاء وعقل راجح حتى كان ربيعة إذا جاء مالك يقول جاء العاقل، واتفقوا أنه كان أعقل أهل زمانه، وقال أحمد بن حنبل : "قال مالك ما جالست سفيها قط ، وهذا أمر لم يسلم منه غيره ولا في فضائل العلماء أجل من هذا"(783)، وذكر يوما شيئا فقيل له من حدثك بهذا فقال :" إنا لم نجالس السفهاء"(784). وقد اتفق في زمانه وهو ابن ثلاث عشرة سنة وكان يقرأ الفقه على شيوخه ، وأن امرأة غسلت ميتة فلما وصلت إلى فرج الميتة ضربت بيدها على فرجها وقالت يا فرج ما كان أزناك، فامتسكت[أ] يدها على الفرج والتحمت به فما استطاع أحد إزالة يدها/(92) فسأل فقهاء المدينة ما الحكم في ذلك فمن قايل تقطع يدها ومن قايل يقطع من بدن الميتة قدر ما أمسكت عليه اليد، وطال النزاع في ذلك بين الفقهاء ، أي حرمة أوجب علينا حرمة الميت فلا نقطع منه شيئا أو حرمة الحي فلا نقطع منه؟ فبينما هم كذلك إذ دخل مالك في جملة الصبيان الطلبة ، فقال مالك أرى أن الحكم في ذلك أن تجلد الغاسلة ثمانين جلدة حد الفرية ، فإن كانت افترت فإن يدها تنطلق ، فجلدت الغاسلة حد الافتراء فانطلقت يدها فتعجب الفقهاء من ذلك ونظروا مالكا من ذلك الوقت بعين التعظيم وألحقوه بالشيوخ كما كان عمر بن الخطاب يلحق عبد الله بن عباس بأهل بدر في التعظيم لعظيم[ب] قدره في العلوم(785). وكان رضي الله عنه في أول أمره يأتي المسجد ويشهد الصلاة والجنائز ويعود المرضى ويقضي الحقوق ويجيب الدعوة، ثم ترك ذلك كله فلم يكن يشهد الصلاة في مسجد

أ–في "أ" و"ب": أمسكت.

ب– في" أ" و"ب" و"ج": لعظم.

---

(783) مواهب الجليل 26/1.

(784) مواهب الجليل 26/1.

(785) السير 347/3.

رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الجمعة ، ولا يأتي أحدا يعزيه ولا يقضي له حقا، فاحتمل الناس له ذلك وكانوا أرغب فيه وأشد تعظيما ، وكان ربما قيل له فيقول في ذلك : ليس كل الناس يقدر أن يتكلم بعذره ، فلما حضرته الوفاة سئل عن تخلفه عنه سبع سنين قبل موته، فقال : "لولا أني في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة ما أخبرتكم بسلس بولي ، فكرهت أن آتي مسجد رسول صلى الله عليه وسلم وكرهت أن أذكر علتي فاشكوا ربي"[786]، وقيل كان اعتراه فتق من الضرب الذي ضربه فكانت الريح تخرج منه ، فقال إني أوذي المسجد والناس، والأصح أن ضربه كان في خلافة أبي جعفر المنصور[787] من العباسيين لا في أيام الرشيد[788]، والأشهر أن جعفر بن سليمان[789] هو الذي أمر بضربه في ولايته الأولى في المدينة ، واختلف في سبب ضربه ، فقيل أن أبا جعفر المنصور أو جعفر بن سليمان نهاه عن حديث "ليس على مستكره طلاق"[790]، ثم دس إليه من سأله فحدث به على رؤوس الناس، وقيل أنه أفتى عند قيام محمد بن عبد الله العلوي بأن بيعة أبي جعفر لا تلزم لأنها على الإكراه ، على هذا أكثر الرواة، وقيل إنما ضرب في تقديمه عثمان على

(786) مواهب الجليل 28/1.

(787) هو الخليفة أبو جعفر بن عبد الله بن عمر بن علي الهاشمي العباسي المنصور، كان ذا رأي وحزم وشجاعة ، ورأى البلاد وطلب العلم ، قيل رأى ما يدل على دنو أجله فسار للحج، ومات مبطونا سنة 158 هج، انظر تاريخ الطبري 154/9 وتاريخ بغداد 10/53-54 والبداية والنهاية 55/11.

(788) هو الخليفة أبو جعفر هارون بن المهدي ، من أنبل الخلفاء العباسيين ذو شجاعة وجهاد ورجاحة عقل وسداد رأي، توفي سنة 193 هج انظر تاريخ بغداد 14/5-13 والسير 295-286/9 وشذرات الذهب 334/1-337.

(789) هو جعفر بن سليمان بن علي بن حبر الأمة عبد الله بن عباس الأمير أبو القاسم العباسي، توفي سنة 174 هج ، ترجمته في سير أعلام النبلاء 239/8-240.

(790) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الطلاق باب الطلاق في الإغلاق والمكره والسكران والمجنون 168/6.

علي رضي الله عنهما ، واختلف في مقدار ضربه من ثلاثين إلى مائة ، ومدت يداه حتى انخلعت كتفاه وبقي بعد ذلك مطلق اليدين لا يستطيع أن يرفعهما ولا أن يسوي رداءه ، ولما حج المنصور أقاده من جعفر بن سليمان فقال:" أعوذ بالله والله ما ارتفع منها سوط عن جسمي إلا وأنا أجعله في حل ذلك[أ] الوقت لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم"[791]، وقيل : حمل مغشيا عليه فلما أفاق ودخل الناس عليه قال : "أشهدكم أني جعلت ضربي[ب] في حل"، ثم قال في اليوم الثاني : "قد تخوفت أن أموت أمس (93)/ فألقى النبي صلى الله عليه وسلم فأستحيي منه أن يدخل بعض آله النار بسببي"[792] ، فما[ج] كان إلا مدة حتى غضب المنصور على ضاربه[د] فضربه ونيل منه أمر شديد، قال الداروردي[793]: "سمعته يقول حين ضربه : اللهم اغفر لهم فإنهم لا يعلمون"[794]. وكان ضربه سنة وأربعين ومائة، وقيل سنة سبع وأربعين، وكان يقول ضربت فيما ضرب فيه محمد بن المنكدر[795] وربيعة وابن

أ-في "هـ": ذاك.

ب-في "ع" و"هـ": ضاربي وهو الأصوب.

ج- في "ه": فلما.

د- ساقط من "ج".

---

(791) مواهب الجليل 1/28-29.

(792) مواهب الجليل 1/29.

(793) هو أبو محمد بن عبيد الله الجهني الداروردي مولاهم المدني، قيل أصله من قرية بخرسان، روى عنه جماعة منهم شعبة وإسحاق بن راهويه ، توفي بالمدينة سنة 187 هج، ترجمته في تهذيب التهذيب 353/6 وميزان الاعتدال 633/2 والسير 366/8.

(794) مواهب الجليل 29/1.

(795) هو محمد بن المنكدر الإمام شيخ الإسلام أبو عبد الله القرشي التيمي المدني، سمع أبا هريرة وابن عباس وجماعة من الصحابة، وروى عنه مالك والسفيانان وغيرهم توفي سنة 180 هج، ترجمته في تهذيب الكمال 26317 وتهذيب التهذيب 317/10 وتذكرة الحفاظ 127/1

المسيب[796]"[797] ويذكر قول عمر[أ] بن عبد العزيز : "ما أغبط أحدا لم يصبه في هذا الأمر أذى[798]. قال الجياني[ب] : " مازال مالك بعد ذلك[ج] الضرب في رفعة من الناس وإعظام حتى لكانت تلك الأسواط إلا حليا حلي به رحمه الله تعالى"، انظر الحطاب[799]. وهو رحمه الله مالك بن أنس وكان فقيها ابن مالك وكان من كبار التابعين ، وهو أحد الأربعة الذين حملوا عثمان رضي الله عنه إلى قبره ليلا وغسلوه ودفنوه، ابن أبي عامر الصحابي واسمه أنس، شهد المغازي كلها إلا بدرا، الأصبحي نسبة إلى ذي أصبح بطن من حمير، وهو من العرب حلفه من قريش في بني تميم رهط أبي بكر الصديق[800] رضي الله عنه، كان جده حليف[د] طلحة بن عبيد الله[801][هـ]، أحد العشرة

أ–في "ا": محمد.
ب–في "هـ": الجباني.
ج– ساقط من "ج".
د–في "أ": حالف.
هـ– في "هـ" : عبد الله.

(796) هو سعيد بن المسيب بن أبي وهب أبو محمد القرشي المخزومي عالم أهل المدينة وسيد التابعين في زمانه ، سمع من عدد من الصحابة كعثمان وأبي هريرة رضي الله عنهم وروى عنه خلق كثير، توفي سنة 93 وقيل 94 هج، ترجمته في تهذيب التهذيب 4/84-88 والسير 4/217-246 ووفيات الأعيان 2/375-378.

(797) مواهب الجليل 1/29.

(798) الجامع لابن أبي زيد ص : 156 .

(799) مواهب الجليل 1/29.

(800) هو أبو بكر عبد الله بن عثمان بن أبي قحافة، صاحب رسول الله في الغار وفي الهجرة وأول الخلفاء بعده ، ترجمته وأخباره مبسوطة في كتب التراجم ، منها أسد الغابة 3/205-231 والإصابة 7/44 وقد خصص الشيخ جسوس لأخباره حيزا في هذا المصنف.

(801) هو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم القرشي التيمي ، الصحابي الجليل شهد أحدا وما بعدها من المشاهد وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، خرج لقتال علي يوم الجمل إلا أنه رجع عن ذلك كما صنع ابن الزبير إلا أنه رمي بسهم فقتله والذي رماه هو مروان بن الحكم ، ترجمته في الاستيعاب 2/766 وأسد الغابة 2/467 والإصابة 3/529.

رضي الله عن جميعهم[أ] وهو تيمي[ب]، والصحيح أنه من تابعي التابعين وما قيل أنه من التابعين لأنه أدرك عائشة رضي الله عنها بنت سعد بن أبي وقاص[802] وهي صحابية، فالصحيح أنها ليست بصحابية لأن الكلاباذي ذكرها في التابعيات[803] ولم يذكرها ابن عبد البر[804] في الصحابيات. واختلف في ولادته من ثلاثة وتسعين إلى سبعة وتسعين، قال التتائي[805]: "وتوفي على الصحيح يوم الأحد لتمام اثنى عشر يوما من ربيع الأول سنة ست وسبعين ومائة"[806]، بتقديم السين على الباء والمعروف أنه توفي سنة تسع وسبعين ومائة، وقاله ابن عبد البر[807] وغيره، وقاله القلشاني[808] وإليه أشار العلامة سيدي أحمد المقري بقوله:

أ-في "أ": عنهم أجمعين.

ب- في "أ" : تميمي.

---

(802) عائشة بنت سعد بن أبي وقاص ، ثبت في الصحيحين عن سعد بن أبي وقاص أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لما عاده وهو مريض : لا يرثني إلا ابنة لي. وقيل أنها تابعية تأخرت حتى لقيها مالك وقد رأت ستا من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وقد روت عن أبيها وعنها مالك بن أنس وجماعة ، ترجمتها في تهذيب الكمال 378/22 والإصابة 21/8.

(803) مواهب الجليل 24/1.

(804) هو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم الأندلسي المالكي صاحب التصانيف المفيدة منها الاستذكار والتمهيد والاستيعاب وغيرها، ترجمته في السير 163-153/18 ووفيات الأعيان 66/7-72 والديباج 367/2-370.

(805) هو محمد بن إبراهيم التتائي المصري المالكي الفقيه ، تولى القضاء بمصر ثم تركه وأقبل على التصنيف، من مصنفاته شرحه على الرسالة وشرح الإرشاد لابن عاشر وغيرها، توفي سنة 937 هج، ترجمته في نيل الابتهاج ص : 588–589 وشذرات الذهب 224/8 وشجرة النور الزكية 272/1.

(806) تنوير المقالة للتتائي ص : 14.

(807) التمهيد لابن عبد البر 87/1.

(808) تحرير المقالة للقلشاني 1ورقة 7.

قد رمز الشيخ ابن غازي الماهر وفاة مالك بقول ظاهر
وذاك قعط غير أن[لا تورية][أ] نجفيه[ب] ولا إشارة لتعمية
فقلت لما أن رأيت ذلك تاريخه قولك فان مالك[ج]

ودفن رضي الله عنه بالبقيع وعليه قبة وإلى جانبه قبر لنافع، قال السخاوي(809) : "إما نافع القارئ أو نافع مولى ابن عمر(810)"(811)، ولما مات رثاه الرجال والنساء فمن ذلك قول عثمان بن كنانة رحمه الله :

ألا إن فقد العلم في فقد مالك فلا زال فينا صالح الحال مالك
فلولاه ما قامت حقوق كثيرة ولولاه لاشتدت علينا المسالك

ومن ذلك ما حكاه أصبغ(812) عن امرأة أنها رثته بقولها/(94) :

أ–في "أ" ألا توريه وفي "هـ" : توريه.
ب–في "أ": منه.
ج– في "هـ" : ماك وفي "ط" : ملك.

---

(809) هو شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان السخاوي الأصل القاهري المولد الشافعي المذهب، فقيه مقرئ محدث مؤرخ ، من مؤلفاته الضوء اللامع في التراجم والمقاصد الحسنة في الأحاديث الجارية على الألسنة وغيرها ، توفي سنة 907 هج، ترجمته في فهرس الفهارس 989/2 وشذرات الذهب 15/8.

(810) هو أبو عبد الله القرشي نافع مولى ابن عمر رضي الله عنه الإمام الثبت عالم المدينة ، روى عن ابن عمر وأبي هريرة وجماعة من الصحابة، وعنه خلق كثير منهم الزهري وحميد الطويل ، توفي سنة 117 وقيل 120 هج، ترجمته في تهذيب الكمال 32/19 وتهذيب التهذيب 412/10 والجرح والتعديل 45. 1/8

(811) مواهب الجليل 28/1.

(812) هو أبو عبد الله أصبغ بن الفرج بن سعيد بن نافع المصري الإمام الثقة الفقيه المحدث العمدة، روى عن زيد بن أسلم وعبد الله بن وهب وجماعة وعنه البخاري ويحي بن معين وغيرهما، من مصنفاته كتاب الأصول وكتاب الرد على أهل الأهواء وغيرها، توفي سنة 225 هج، ترجمته في السير 656/10-658 وشذرات الذهب 56/2 والديباج 301-299/1

بكيت بدمع واكف فقد مالك ففي فقده ضاقت علي المسالك
ومالي لا أبكي عليه وقد بكت عليه الثريا والنجوم الشوابك[أ]
حلفت بما أهدت وقريش وهللت صبيحة عشر حين تقضى المناسك[ب]
لنعم وعاء العلم والفقه مالك إذا عد مفقود من الناس هالك

وفضائله وأحواله كثيرة وما ذكرناه منها قل من كثر ، انظر جماعة منها في الحطاب[813] إن شئت.

قوله: **مع ما سهل سبيل ما أشكل من ذلك**[814]، هذا هو السادس من المسؤول ومع ظرف راجع لقوله جملة ، وتقدير الكلام أن أكتب لك[ج] جملة مصاحبة ما سهل أي هون وبين طريق ما أشكل مما تقدم من أمور الديانة وأصول الفقه وفنونه ، أو من الجملة أو من المذهب ، والأول أصوب[د] لأنه بما بعده أنسب ، وأشار لبيان قوله ما سهل بقوله : من تفسير الراسخين وبيان المتفقهين[815]، كأنه أشار بالتفسير إلى تأويل الآيات الموهمة ، فإن في الكتاب العزيز آيات محكمات هن أم الكتاب وفيه آيات أخر[هـ] متشابهات ، منها ما يوهم الجارحة كالوجه والعين واليد ﴿ويبقى وجه ربك﴾[816]،﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾[817]، ﴿تجري

أ- في "ج" و"ع": السوالك.
ب- في "هـ": المساك.
ج- ساقط من "ب"
د- في "ب": أقرب.
هـ- ساقط من "أ".

(813) مواهب الجليل من 30241.
(814) متن الرسالة ص : 4 .
(815) متن الرسالة ص :4 .
(816 سورة الرحمن آية 25.
(817) سورة القصص آية 58.

بأعيننا﴾(818)، ﴿واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا﴾(819)، ﴿لما خلقت بيدي﴾(820)، ومنها ما يوهم الجهة، ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾(821)، ﴿ثم استوى على العرش﴾(822)، ﴿الرحمن على العرش استوى﴾(823)، ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾(824)، ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾(825)، ﴿ونحن أقرب إليه منكم﴾(826)، ﴿وجاء ربك والملك صفا صفا[أ]﴾(827) . [وفي الحديث من المتشابه كثير][ب]" ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا يقول هل من داع فأستجيب له ... الحديث"(828)، وقد

أ- ساقط من "ع".
ب- في "هـ": الحديث من ذلك كثير.

(818) سورة القمر آية 14.
(819) سورة الطور آية 46.
(820) سورة ص آية 74.
(821) سورة الزخرف آية 84.
(822) سورة الأعراف آية 53 وسورة يونس آية 3 وسورة الرعد آية 2.
(823) سورة طه آية 4.
(824) سورة فاطر آية 10.
(825) سورة الحديد آية 4.
(826) سورة الواقعة آية 88.
(827) سورة الفجر آية 24.
(828) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب التهجد باب الدعاء والصلاة من آخر الليل وقال عز وجل ﴿كانوا قليلا من الليل ما يهجعون﴾ أي ما ينامون ﴿وبالأسحار هم يستغفرون﴾ 2/47 ومسلم في الصحيح كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الترغيب في الدعاء والذكر آخر الليل والإجابة فيه 1/521-522 رقم 168-169-170-171، وأحمد في المسند 2/264/265/267/282/419/487/504، والترمذي في السنن كتاب الصلاة باب ما جاء في نزول الرب عز وجل إلى السماء الدنيا كل ليلة 2/307-308 رقم 446 وأبو داود في السنن كتاب السنة باب في الرد على الجهمية 5/100-101-102 رقم 4733 وابن ماجة في السنن كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب ما جاء في أي ساعات الليل أفضل 4351 رقم 13671366 بلفظ مختلف، والدارمي في السنن كتاب الصلاة باب ينزل الله إلى السماء الدنيا 1/286 رقم 1486-1487-1488-1489-1492 ومالك في الموطأ كتاب القرآن باب ما جاء في الدعاء 1/214 رقم 30.

تعرض العلماء لتأويل ذلك وبيان محامله مع التنزيه عن ظاهرها المستحيل، وفي الكتاب العزيز أيضا ظواهر كثيرة توهم نقصا في حق الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وكذلك في حق الملائكة عليهم السلام، وقد ذكرها الشيخ السنوسي(829) في [شرحه لصغرى](أ) الصغرى(830) وبين تأويلاتها ومحملها فانظره. ومن لأجل الآيات والأحاديث الموهمة لما هو مستحيل في حق الله وفي حق سائر المعصومين من الأنبياء والمرسلين والملائكة المطهرين طلب الشيخ محرز من المصنف أن يبين في هذا الكتاب شيئا من تلك(ب) التأويلات والله أعلم. وأشار بالبيان إلى ما فسر به الفقهاء الآيات والأحاديث المحتملة لمعان متعددة، وقد ذكر الفاكهاني(831) ما حاصله أن مرجع التفسير إلى تعيين المعنى المراد من اللفظ المحتمل للمعاني المتعددة وأن مرجع البيان(ج) إلى تبيين المعنى الذي عينه المفسرون وإيضاحه، وأن المصنف إنما أضاف الأول للراسخين دون الثاني لأن الفضل والمزية لكاشف(د)/(95) المراد من أصله دون المعبر عنه ، ويحتمل أن المصنف تفنن في العبارة فقط، ومثلوا للراسخين أي الثابتين في العلم بعبد

أ-في "ج": شرح الصغرى.
ب- في "ج": ذلك.
ج- في"أ" و"ب" و"د": المعاني.
د- في "أ" و"ب": لمكاشف.

(829) هو محمد بن يوسف الحسني السنوسي أبو عبد الله ، عالم تلمسان وشيخ العلماء والزهاد فيها المشارك في العلوم، له عدة مصنفات منها العقائد الكبرى والوسطى والصغرى وشروحه عليها والمقدمات وشرح أسماء الله الحسنى وغيرها، توفي سنة 895 هج، ترجمته في نيل الابتهاج ص572-563 : وتوشيح الديباج ص : 235-236 : ودرة الحجال 142-141/2.

(830) شرح صغرى الصغرى ص : 206.

(831) التحرير والتحبير للفاكهاني ورقة 12.

الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن سلام[832] وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن مسعود[833] وغيرهم، ومثلوا للمتفقهين بأصحاب مالك كعبد الرحمن بن القاسم وأشهب[834] وابن وهب ، ومثل الحطاب في حاشيته[835] للأولين بأصحاب مالك والآخرين بسحنون وابن أبي زيد. ومن بيانهم قولهم في حديث "لا يخطب أحدكم على خطبة أخيه"[836]، أن محمل ذلك على ما إذا ركنا[أ] وتقاربا. وقولهم في خبر "البينة على المدعي واليمين على

أ-في "ج": تراكنا.

(832) هو الصحابي الجليل عبد الله بن سلام بن الحارث الأنصاري ، يكنى أبا يوسف وهو من المبشرين بالجنة، كان اسمه الحصين في الجاهلية ولما أسلم سماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله، توفي بالمدينة سنة 43 هج، ترجمته في الاستيعاب 921/3-923 وأسد الغابة 160/3 والإصابة 118/4.

(833) هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب أبو عبد الله الهذلي ، كان يدخل على الرسول صلى الله عليه وسلم ويلبسه نعليه ويمشي أمامه ويستره إذا اغتسل ، شهد بدرا والحديبية وهاجر الهجرتين وصلى إلى القبلتين وشهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة ، توفي سنة 32 هج بالمدينة ودفن بالبقيع، ترجمته في الاستيعاب 987/3 أسد الغابة 280/3-286 والإصابة 233/4.

(834) هو أبو عمر أشهب بن عبد العزيز القيسي العامري المصري ، روى عن مالك والليث وانتهت إليه الرياسة بمصر، توفي سنة 204 هج، ترجمته في ترتيب المدارك 262/3 ووفيات الأعيان 78/1.

(835) حاشية الحطاب على الرسالة ص : 5.

(836) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب النكاح باب لا يخطب أحد على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع 136/6 ومسلم في الصحيح كتاب النكاح باب تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها في النكاح 1028/2 رقم 38 وص : 1033 رقم 45 ، وأحمد في المسند 122/2-130 والترمذي في السنن كتاب النكاح باب ما جاء أن لا يخطب الرجل على خطبة أخيه 440/3 رقم 1134 وأبو داود في السنن كتاب النكاح باب كراهية أن يخطب الرجل على خطبة أخيه 564/2-565 رقم ,2080-2081 والنسائي في السنن كتاب النكاح باب سوم الرجل على سوم أخيه 258/7 رقم 4499 وابن ماجة في السنن كتاب النكاح باب لا يخطب الرجل على خطبة أخيه 600/1 رقم 1867-1868 ، والدارمي في السنن كتاب النكاح باب النهي عن خطبة الرجل على خطبة أخيه 4584572 رقم 2181 ومالك في الموطأ كتاب النكاح باب ما جاء في الخطبة 523/2 رقم 1-2.

من أنكر"(837) أن محمل ذلك إذا ثبتت الخلطة أو الظنة وغير ذلك[أ] ، قيل والفقيه هو الحافظ الجاهل بالقياس والاستنباط، [والمتفقه هو الحافظ العالم بالقياس والاستنباط][ب].

قوله: **لما رغبت فيه من تعليم ذلك للولدان**(838)، لما فرغ من بيان الأمور الستة التي سأله الشيخ محرز أن يكتبها له مختصرة لما تقدم من أن الاختصار [أقرب للحفظ][ج] وأسهل للضبط ، أو سبب كونها مشتملة على ما سهل سبيل ما أشكل وفي ذلك مناسبة لحال الولدان لصغرهم، والتشبيه في قوله : كما تعلمهم حروف القرآن(839) ، إنما هو في الكيفية بان يذكر لهم صغار مسائل العلم قبل كبارها، كما أنه في تعليمهم القرآن أول ما يعلمهم الحروف الدالة على معرفة قراءته لا في الحكم التي يرد عليه ما قاله ابن عمر(840) من أن مقتضى التشبيه أن تعليم حروف القرآن آكد من تعليم العقائد والشرائع ، مع أنه إنما يتأكد عليه حفظ[د] أم القرآن والسورة

أ- في "ع": ذاك.
ب- ساقط من "أ".
ج- في "ع": أقرب إلى الحفظ وفي "هـ": أقرب للفهم.
د- في "أ" فقط.

(837) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الرهن باب إذا اختلف الراهن والمرتهن ونحوه فالبينة على المدعي واليمين على المدعى عليه 116/3 ومسلم في صحيحه كتاب الأقضية باب اليمين على المدعى عليه 1336/2 رقم 1-2 بلفظ مختلف، والترمذي في السنن كتاب الأحكام باب ما جاء في أن البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه 626/3-627 رقم 1341-1342 وابن ماجة في السنن كتاب الأحكام باب البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه 778/2 رقم 2321 و 2322 مع اختلاف في اللفظ.
(838) متن الرسالة ص : 4 .
(839) متن الرسالة ص : 4 .
(840) شرح ابن عمر الأنفاسي على الرسالة ص : 18.

فقط ، وإنما أضاف الحروف إلى القرآن لأنه كما يطلق على المعنى الأزلي يطلق أيضا على اللفظ المنزل للإعجاز بسورة منه إطلاقا حقيقيا، بل هذا هو الإطلاق الكثير فسقط قول ابن عمر انظر لأي شيء قال حروف القرآن، والقرآن كلام الله القديم الذي هو صفة من صفاته ليس بحرف ولا صوت، والترغيب في تعليم الولدان العلم وارد في الحديث. ذكر ابن الجوزي(841) في باب إيثار الشباب على الأشياخ بالعلم يسنده عن زيد بن ثابت(842) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "استودعوا(أ) العلم الأحداث إذا رضيتموهم". ومن أبي نعيم(843) في رياض المتعلمين عن شهر بن حوشب :" كنا نأتي أبا سعيد ونحن غلمان نسأله فكان يقول: مرحبا بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم "سيأتيكم قوم يتفقهون ففقهوهم وأحسنوا تعليمهم".

أ- في "هـ": استعلموا.

(841) هو عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله القرشي البغدادي المعروف بابن الجوزي جمال الدين أبو الفرج، محدث مفسر حافظ فقيه، من مصنفاته تلبيس إبليس وكتاب الموضوعات وغيرها، توفي سنة 597 هـج، ترجمته في السير 21/365-385 ووفيات الأعيان 3/140-142 وغاية النهاية 1/375.

(842) هو زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد الأنصاري النجاري يكنى أبا خارجة، كان أحد كتبة الوحي وأحد الذين جمعوا القرآن، قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلمس أفرض أمتي زيد بن ثابت ، استخلفه عمر على المدينة ثلاث مرات، توفي سنة 42 وقيل 43 وقيل 45 هج، ترجمته في الاستيعاب 2/537-540 وأسد الغابة 2/126-127 والإصابة 2/5920.

(843) هو أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى أبو نعيم الأصبهاني الشافعي، محدث حافظ من مصنفاته حلية الأولياء ودلائل النبوة وغيرها، عرف بالزهد والورع والعلم ، توفي سنة 430 هج، ترجمته في السير 17/453-464 ووفيات الأعيان 1/91-92 وشذرات الذهب 3/245.

ثم يبين وجه تخصيص الولدان بالذكر بقوله: **ليسبق إلى قلوبهم من فهم دين الله وشرائعه ما ترجى لهم بركته وتحمد لهم عاقبته**(844) (أ)، فأخبر أن وجه ذلك فراغ قلوبهم من الشرور(ب) والأشغال(ج) الدنيوية ، فتنتهز(د) فرصة فراغها بتعليمهم الخير الذي تحمد لهم عاقبته، قبل أن يسبق إليها الشر فيشتد تمكنه منها ويعظم جهلها وقساوتها وتسوؤهم عاقبته، وفي تعبيره بالفهم الذي هو إدراك مبادئ الأشياء دون العلم الذي هو إدراك حقائقها مناسبة لحال الولدان لقصور عقولهم عن إدراك الحقائق ومعرفتها على ما هي عليه.

والدين اسم لمجموع الأعمال القلبية والجوارحية ، فهو اسم لما يرجع إلى الاعتقادات وهو المسمى بالإيمان،ولما يرجع إلى الأعمال وهو المسمى بالإسلام ، ولما يرجع إلى الآداب اللائقة بين يدي الله تعالى حال العبادة وهو المسمى بالإحسان، بدليل قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث سؤال جبريل عن(هـ) الإيمان والإسلام والإحسان الذي قيل فيه أنه حقيق بأن يسمى [أم السنة](و) كما سميت الفاتحة بأم القرآن، "فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم" فأطلق الدين على مجموع الثلاثة ، وأما قوله تعالى ﴿ إن الدين عند الله الإسلام﴾(845) فليس المراد به مقابل الإيمان والإحسان، بل الاستسلام والانقياد لله تعالى بالظاهر والباطن الشامل للثلاثة ، فهو بمعنى

أ- ساقط من "ب".
ب- في "ج": الشر.
ج- في "أ" و"ب": الاشتغال.
د- في "ب": فتنتهم.
هـ-في "أ" و"ب": على.
و- ساقط من "د".

(844) متن الرسالة ص : 4.
(845) سورة آل عمران آية 19.

الشرع المبعوث به الرسول المبني على التوحيد ، فقوله على هذا **وشرائعه** من عطف الخاص على العام ، فإن حمل الدين في كلامه على الأعمال القلبية والشرائع على الأعمال الظاهرية كان من عطف المتغايرين ، وما من قوله **ما ترجى** هي الفاعل بقوله ليسبق وقوله **من فهم دين الله** الخ، بيان لها فهو من تقديم البيان على المبين وهو جائز خلافا لمن قال أن الجار والمجرور اعتراض بين الفعل وفاعله ، والرجاء تعلق القلب بمطموع في[أ] حصوله في المستقبل مع الأخذ في عمل محصل[ب] له، فإن تجرد عن العمل فهو طمع وهو قبيح، والرجاء حسن، وفي الحكم: " الرجاء ما قارنه عمل وإلا فهو أمنية"[846] فأشار إلى الرجاء الصادق وهو الذي يبعث على الاجتهاد في الأعمال لأن من رجا شيئا طلبه، وأما الرجاء الكاذب الذي يفتر صاحبه عن العمل ويجرئه[ج] على معاصي الله عز وجل، فليس هذا [من الرجاء][د] عند العلماء وإنما[هـ] أمنية واغترار بالله تعالى ، فالمتمني مع سوء فعله إنما يضرب في حديد بارد ﴿فخلف من بعدهم خلف ورثوا... ﴾ الآية[847] ، وفي الإحياء :" من أعظم الاغترار انتظار زرع الجنة ببذر النار ، وطلب دار المطيعين بالمعاصي والأوزار، والبركة الخير وزيادته، وعاقبة الشيء آخره ، ولاشك أن دين الله إذا تمكن من قلوب الولدان قبل البلوغ ثبت فيما بعد بلوغهم وسهل عليهم ما يحاولونه من أمور الدين ، فعملوا بما علموا وإذا عملوا به حصل لهم بركة ذلك في الدنيا والآخرة ، لأن أوقات عمرهم

أ- ساقط من "أ".
ب- في "أ": ما حصل.
ج-في "أ": ويجره.
د- في "أ" الرجاء وفي "هـ": بالرجاء.
هـ- في "أ" و"ب": ولكنه.

(846) الحكم ص : 120.
(847) سورة الأعراف آية 169.

كلها في الطاعات لنشأتهم في عبادة /(97) الله ، وقد عد في الحديث الصحيح من السبعة الذين يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله الشاب الذي ينشأ في عبادة الله، قال عبد الحق: الغالب أن من كان على حالة حسنة لا يبدل به عند الموت وإنما يبدل بمن كان على حالة سيئة"[848].

وهنا انتهى سؤال محرز وسبب سؤاله، ونبه المصنف على جوابه على طبق سؤاله بقوله: **فأجبتك**[849] ، أي أسعفتك بمرادك وهذه الجملة معطوفة على جملة السؤال في قوله سألتني ، قال ابن عمر :" وإجابة المصنف له على جهة الاستحباب لقوله لما رجوت ولأنه لا يجب على أحد تأليف إذا سئل"[850] ، وقد ذكر الجزولي[أ][851] أنه يجب على العالم أن يجيب إذا سئل بأربعة شروط، الأول أن يسأل السائل عما يجيب عليه، الثاني أن يخاف فوات النازلة ، الثالث أن يكون المسؤول عالما بحكم الله تعالى في تلك[ب] النازلة ، فإن كان مجتهدا أفتى بما غلب على ظنه، وإن كان مقلدا أفتى بنص مقلده، الرابع أن يكون السائل والمسؤول بالغين ، وقد نظم ذلك بعض شيوخنا رحمهم الله في بيتين وهما:

وسائل عن فرضه مكلف لمثله بعلم ذاك[ج] يوصف
مطلبه يخشى عليه الفوتا جوابه حتم عليه بتا

أ- في "ع": البرزلي.
ب- في "ب": حكم تلك.
ج- في "أ" و"ب" و"ج" و"د": ذلك.

---

(848) إحياء علوم الدين /1514.
(849) متن الرسالة ص: 4.
(850) شرح ابن عمر على الرسالة ص :18.
(851) هو عبد الرحمن بن عفان الجزولي أبو زيد العالم المتقن المعروف بالصلاح والورع، صاحب التقاييد المعروفة على الرسالة ، توفي سنة 741 هج، ترجمته في نيل الابتهاج ص: 244 وشجرة النور 218/1.

قال التتائي : "وإذا وجب عليه الجواب لم يجز له أن يأخذ عليه أجرة ، وإذا لم يجب فقال الزناتي جاز له أخذها"[852] ، وأجاز بعض أخذ الأجرة إذا كان الجواب بالكتابة لا باللسان ولو وجب عليه الجواب، انظر الفائق[853] فقد ذكر في أخذ الأجرة اختلافا ، وذكر عن الشيخ أبي علي بن علوان أنه كان يأخذ الأجر الخفيف في بعض فتاويه، وعن الشيخ أبي الخير بركات الجزائري أنه كان يأخذ الأجر على الفتوى بتلمسان وكان من العلماء الجلة الأعلام، وممن وضع على فروع ابن الحاجب شرحا في سبعة أسفار، ونقل في الفائق أيضا عن ابن عرفة[854] : "أن ذلك عنده خفيف إذا كان يشغله عن جل تكسبه وتعذر عليه بيت المال وأن ذلك[أ] محمل [ما نقل عن][ب] ابن علوان من أخذه الأجرة على الفتوى"[855] انظر الحطاب[856]. وأما بحث التتائي في الشرط الرابع بقوله :"إن الصغير المأمور بالصلاة إذا سأل عما لا يعلمه ليتعلمه وجب على المكلف تعليمه كفاية إن كان هناك غيره وإلا تعين عليه"[857] ، فهو بحث ساقط كما يظهر لمن تأمل إذ من جملة الشروط كون المسؤول عنه واجبا ، والصبي لا يجب عليه شيء لا تعلم ولا غيره فلا يجب تعليمه ، واعلم أن المدار على أنه لا يجب الجواب إلا إذا كان تركه موقعا في محرم والله أعلم. كما أنه لا يجب الجواب بالتأليف كما تقدم في كلام ابن عمر خلافا للتتائي[858] أنه يؤخذ وجوبه من كلام

أ- في "أ": ما نقله " وفي"ج": نقل عن .

ب-

(852) تنوير المقالة ص.16 :

(853) المنهج الفائق للونشريسي ص : 30.

(854) مختصر ابن عرفة ورقة 432.

(855) الفائق للونشريسي ص : 30.

(856) مواهب الجليل 33/1.

(857) تنوير المقالة للتتائي ص : 16.

(858) تنوير المقالة ص :16.

الجزولي في /(98) الشرط الأول فتأمله، والإشارة بقول المصنف **إلى ذلك** عائدة على المسؤول وهو كتب الجملة المشتملة على ما تقدم .

وقوله : **لما رجوته لنفسي ولك فيه**[أ]– أي في الجواب– **من ثواب من علم دين الله أو دعا إليه**[859] ، تعليل لقوله **فأجبتك** ، وفيه تنبيه على أنه لا ينبغي بل ولا يجوز للمعلم أن يقصد بتعليمه إلا ما عند الله تعالى دون رياسة الدنيا والذكر والصيت واستمالة القلوب والأركان من الخاسرين في تجارتهم قال عليه السلام "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه"[860] ، وقوله **من ثواب من علم دين الله** بيان لما الموصلة فقي قوله **لما رجوت** ، قال الشيخ زروق : "والثواب الوارد هو ما أشار إليه بعد بقوله **فإنه روي أن تعليم الصغار لكتاب الله يطفئ غضب الله**"[861] ، وقد ورد في ثواب التعليم خير كثير، ويكفي في ذلك أن التعليم حرفة النبيين والمرسلين ، قال صلى الله عليه وسلم "إنما بعثت معلما"[862]، ومما ورد "إن الله وملائكته وأهل السماوات

أ–لفظ **"فيه"** ساقط من نسخة الرسالة المعتمة في هذا البحث .

(859 متن الرسالة ص : 4 .

(860) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقول الله جل ذكره ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾ 2/1 وكتاب العتق باب الخطأ والنسيان في العتاق والطلاق ونحوه 119/3 وكتاب مناقب الأنصار باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة 252/4 ، ومسلم في الصحيح كتاب الإمارة باب قوله صلى الله عليه وسلم إنما الأعمال بالنية وأنه يدخل في الغدو وغيره من الأعمال 651/2 رقم2201 والنسائي في السنن كتاب الطهارة باب النية في الوضوء 58/1-59 رقم 75 وابن ماجة في السنن كتاب الزهد باب النية 1413/2 رقم 4227.

(861) متن الرسالة ص : 4 .

(862) أخرجه ابن ماجة في المقدمة باب فضل العلماء والحث على طلب العلم 83/1 رقم 922 ، قال في الزوائد إسناده ضعيف.

وأهل الأرض حتى النملة[أ] في جحرها والحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير"[863]، وورد "من حدث حديثا فعمل به فله أجر ذلك العمل"، وفي المستظرف عن ابن مسعود : "من تعلم بابا من العلم ليعلمه الناس ابتغاء وجه الله أعطاه الله أجر سبعين نبيا"[864] ، وفي المدخل أخرج القرطبي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :"خير الناس وخير من مشى على جريد الأرض المعلمون ، كلما خلق الدين جددوه، أعطوهم ولا تشاجروهم[ب] فتحرجوهم[ج] ، فإن المعلم إذا قال للصبي قل بسم الله الرحمن الرحيم فقال الصبي بسم الله الرحمن الرحيم كتب الله تعالى براءة للصبي وبراءة للمعلم وبراءة لأبويه من النار"[865]. وفي المستظرف عن ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "على باب الجنة شجرة تحمل ثمارا كثدي النساء يخرج من تحتها عين ماء يشرب منها العلماء والمتعلمون مثل اللبن الحليب والناس عطاش"[866]، وفيه أيضا "سأل رجل رسول الله صلى الله عليه عن أفضل الأعمال فقال العلم بالله والفقه في دينه فكررها عليه فقال يا رسول الله أسألك عن العمل فتخبرني عن العلم فقال :إن العلم ينفعك معه قليل العمل وإن الجهل لا ينفعك معه كثير العمل"[867]، وقال عليه السلام "حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف

آ–في "أ": النمل.

ب– في "أ": تشاحوهم "ج": تساجروهم .

ج– في "ج" و"هـ": فتجرحوهم.

---

(863) أخرجه الترمذي في السنن كتاب العلم باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة 50/5 رقم 2685 وقال حديث غريب.

(864) المستظرف في كل فن مستطرف 21/1.

(865) المدخل لابن الحاج 308/2.

(866) المستظرف 21/1.

(867) أورده في المستظرف 20/1 ورواه في ابن عبد البر في التمهيد 43/19 ، قال العجلوني في كشف الخفاء 111/2 رقم 1827 : رواه ابن عبد البر بسند ضعيف .

ركعة". وورد في التعليم أيضا أحاديث منها سوى ما تقدم "من جاء مسجدا ليتعلم علما أو يعلمه رجع غانما كالمجاهد في سبيل الله، ومن جاءه الموت وهو يطلب العلم لم/ (99) يكن بينه وبين النبيين إلا درجة واحدة"[868]، وفي البخاري "من سلك طريقا يطلب فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة"[869].

وقد نص العلماء على أن حضور مجالس العلم من باب الهجرة إلى الله وإلى رسوله ، ثم اعلم أن فضل العلم لا يختص بمن تجرد للعلم وأكب عليه ليله ونهاره، بل يشمل المتجردين له وغيرهم ممن يسأل[أ] عن أمور دينه ليكون على بصيرة من[ب] دينه[ج]، قال شيخنا في شرحه للحكم: "ومن كمال إيمان المؤمن أن يتلذذ بحضور مجالس العلم ويستعذبه ويستحليه[د] ويجد له في قلبه موقعا وحلاوة وطلاوة، ويعظم فرحه وسروره به ويعرف مقداره ويعتقد أنه غنيمة العمر وربح العيش، ويشكر الله تعالى على دفعه إليه وإلهامه له وإقداره عليه" اعملوا ولا تتكلموا فكل ميسر لما خلق له"

أ- في "ج" سأل.
ب- ساقط من "ب" وفي"هـ": فيها .
ج- ساقط من "هـ".
د- في "ب؛ و"ج" و"د" يستخصه وفي "ط": يستحصيه.

---

(868) أخرجه أحمد في المسند 3502 و418 بلفظ آخر وابن ماجة في السنن المقدمة باب فضل العلماء والحث على طلب العلم 83821 رقم 227.

(869) أخرجه البخاري كتاب العلم باب العلم قبل القول والعمل لقول الله تعالى ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾، فبدأ بالعلم وأن العلماء هم ورثة الأنبياء 25/1 ومسلم في صحيحه كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر 2074/3 رقم 38 وأحمد في المسند 252/2 و407 و190/5 والترمذي في السنن كتاب العلم باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة 49485 رقم 2682 وأبو داود كتاب العلم باب الحث على طلب العلم 57/4 رقم 3641 وابن ماجة في السنن المقدمة باب فضل العلماء والحث على طلب العلم 52/1 رقم 225.

وكم من متمرد ذو بطال يقطع تلك الأوقات فيما يهلكه أو في لا شيء، ومن وجد خيرا فليحمد الله تعالى"(870). قال الحطاب في حواشيه : "وما أحسن قول المصنف لما رجوت ، وإن كان ثواب التعليم مع حسن النية محققا ، لكنه تأدب[أ] بنسبة التقصير إلى نفسه وكأنه لم يأت بذلك العمل من جميع جهاته وما يستحقه ، وهكذا ينبغي لكل عامل أن يرى أنه لم يعبد الله حق عبادته طرفة عين ولو أفنى جميع عمره في عبادته "(871) . **وأو في** قوله: أو **دعا إليه**، يحتمل أن تكون على بابها ويكون مع قوله **لنفسي ولك** [لفا ونشرا مرتبا][ب]، ويحتمل أن تكون بمعنى الواو لأن كلا منهما داع ومعلم، أما الشيخ محرز فداع ومعلم حقيقة ، وأما المصنف فلأن التأليف تعليم ودعاء إلى الخير من جهة المعنى ، وعلى هذا الاحتمال اقتصر الفاكهاني(872)، والضمير المجرور بإلى يعود إلى التعليم المفهوم من قوله **علم** أو إلى دين الله أو إلى **الله**.

قوله: **واعلم أن خير القلوب أوعاها للخير وأرجى القلوب للخير ما لم يسبق الشر إليه**(873)، توطئة لما ذكره بعد من الحث على تعليم أولاد المومنين وأنه أولى ما تعب[ج] فيه الناصحون فهو خطاب للشيخ محرز وتغبيط له في تعليمه للأولاد وإرشادهم، وخير الأول اسم تفضيل وأصله أخير.

أ- في "ج" و"د": تأدب.

ب- في "د": لفا ونشرا، وساقط من "ج".

ج- في "ج": تصب.

(870) نحوه في شرح الحكم لابن زكري ورقة 88.

(871) حاشية الحطاب على الرسالة ص : 5.

(872) التحرير والتحبير للفاكهاني ورقة 12.

(873) متن الرسالة ص : 4.

وغالبا أغناهم خير وشر   عن قولهم أخير منه وأشر

وأما الثاني والثالث فمقابل الشر ، **وأوعى** بمعنى أحفظ وذلك بأن يتأثر بما يلقى إليه من العلم وينتقش فيه[أ] وينطبع[ب] به، حتى تجري الجوارح على مقتضاه، وقوله **أرجى** بمعنى أقرب [معطوف على خبر فهو مدخول لأن][ج]، وقوله **للخير** على حذف مضاف أي أوعى الخير، وما واقعة على **القلب** أي قلب لم يسبق الشر إليه وهو قلب الصبي ، وإنما كانت القلوب التي لم تتلبس بشر أرجى القلوب لقبول الخير لأن القلب إذا سبق/(100) إليه شر قسا و لم يتأثر بالموعظة، وعظمت الحيلة في إزالته كالآنية الجديدة يجعل فيها القطران فلا تزول منها رائحته إلا بعد تعب ومشقة، ولذلك قال العلماء : أهم على الولي أن يجنب الصبي أقران السوء لأن الطبع يسرق من الطبع لخبر "المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل"[874]، ولأن من خالط العلماء حسب منهم ومن خالط السفهاء حسب منهم، وقد أوصى الشيخ أبو إسحاق البلفيقي ابنه بقوله:

إذا شئت أن تحظى بوصلي وقربتي   فجانب قرين[د] السوء واصرم[هـ] حباله
وسابق إلى الخيرات واسلك سبيلها   وحصل علوم الدين واعرف رجاله

أ- ساقط من "أ".
ب- في "د" و"هـ": ينصبغ.
ج-ساقط من "ع".
د- في "أ" و"ب": قربى.
هـ- في "ج": واحرم.

(874) أخرجه أحمد في المسند 303/2 و334 والترمذي في السنن كتاب الزهد باب رقم 589/4 45 رقم 2378 وأبو داود في السنن كتاب الأدب باب من يؤمر أن يجالس 168/5 رقم 4833.

بخلاف ما إذا لم يسبق الشر إليه فإنه يقبل ما يرد عله من الخير أسرع قبول، إذ ليس هناك مانع ولا قاطع، وما أحسن قول القائل :

أتاني هواها قبل أن أعرف[أ] الهوى فصادف [ب] قلبا خاليا فتمكنا[875]

وهذا هو السر في قوله صلى الله عليه وسلم :" مروا أولادكم بالصلاة لسبع ...الحديث" ، حتى تتمكن حلاوة الدين من[ج] قلوبهم ويرسخ في أفئدتهم ، فجزى الله نبينا صلى الله عليه وسلم خيرا .

قوله: **أولى**[877]، أي أحق وأفضل ويعني بعد أداء الفرايض والحقوق الواجبة وما لا بد منه من نوافل الخيرات وراجع ما تقدم عن الغزالي في آخر التنبيه الأول عند قول المصنف : **ووقفوا عند ما حد لهم**[878]، وقوله أولى عطف على قوله: **خير القلوب**[879] ، فهو مدخول لأن، وقوله **ما عني به** بالبناء للمفعول بمعنى شغل، وفي نسخة [عني فيه][د] بالبناء للفاعل بمعنى تعب كما في الجزولي.

أ- في "أ"و"ب" و"ج": نعرف.

ب- في "أ": فصدف.

ج- في "أ" و"ب": في.

د- في "أ" عيني به وفي "هـ": غنى به.

---

(875) فيض القدير /5095.

(876) أخرجه الترمذي في السنن كتاب الصلاة باب متى يؤمر الصبي بالصلاة 259/2 رقم 407 بلفظ آخر وأبو داود في السنن كتاب الصلاة باب متى يؤمر الغلام بالصلاة -333-334 332/1 رقم 494-495.

(877) متن الرسالة ص : 4 .

(878) متن الرسالة ص : 3 .

(879) متن الرسالة ص : 4.

وقوله: **الناصحون**(880) أي المرشدون للخير[أ] المحذرون من الشر ، نائب أو فاعل، والنصيحة شأن كل مؤمن، وقال صلى الله عليه وسلم "الدين النصيحة"(881)، وقوله : **ورغب في أجره**(882) عطف على **عني**، وقوله: **الراغبون**، فاعل رغب أي الطالبون للخير ، وقوله: **إيصال**[ب] **الخير** خبر أن أي بتبليغه ، وقوله: **إلى أولاد إلى قلوب أولاد المومنين**(883) ، الشيخ زروق : "وكونه إلى قلوب أولاد المومنين لكونها قابلة بخلاف أولاد الكفار ولو أمكن لوجب"(884)، ومراده أنه يجب حينئذ[ج] أن يلقى إليهم ما يرجى به إسلامهم فيلقى إليهم محاسن الشريعة ويبين لهم بطلان ما هم عليه ولا يمكنون من تعلم القرآن لأنه ربما أدى إلى مفسدة إهانتهم له ، ودرء المفاسد مقدم، ولذلك لا يسافر بالمصحف إلى أرض العدو خشية أن يسقط فتناله أيدي العدو وهم نجس و﴿ لا يمسه إلا المطهرون﴾(885)، قال مالك :" ومن

أ- في "أ" و"ب" و"ج": إلى الخير.

ب- في "أ": أيضا.

ج- ساقط من "ب"و "ج".

---

(880) متن الرسالة ص : 4.

(881) جاء به البخاري في ترجمة الباب 42 من كتاب الإيمان 20/1 والباب هو: قول النبي صلى الله عليه وسلم " الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"، وقوله تعالى ﴿إذا نصحوا لله ورسوله﴾، وأخرجه أحمد في المسند 351/1 و297/2 و301-201/4 ، والترمذي في السنن كتاب البر والصلة باب ما جاء في النصيحة 324/4 رقم 1926 وقال هذا حديث حسن صحيح وأبو داود في السنن كتاب الأدب باب في النصيحة 140/5 رقم 4944 والنسائي في السنن كتاب البيعة باب النصيحة للإمام 156/7 رقم 4194 والدارمي في السنن كتاب الرقائق باب الدين النصيحة 618/2 رقم 2757.

(882) متن الرسالة ص : 4 .

(883) متن الرسالة ص : 4.

(884) شرح زروق على الرسالة 17/1.

(885) سورة الواقعة آية 82.

علمهم القرآن فذلك جرحة[أ] في حقه وشهادته وإمامته"/(101)، وأجاز ذلك أبو حنيفة وتردد فيه الشافعي ، واعلم أنه قد عورض بين قوله هنا **وأولى ما عني به** الخ، وقوله في آخر الكتاب: **ما عمل آدمي عملا أنجى له من عذاب الله من ذكر الله**[886]، وأجيب بأن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص فإن ما يأتي أولى بالنسبة [لمن فتح][ب] له في باب الذكر وتيسرت عليه أسبابه وكان عمل السر أليق بحاله من عمل الجهر ، وما هنا أولى بالنسبة لمن كان قويا وفتح له باب التعليم ما لم يفتح له في غيره، ورزق نية صالحة لاسيما في هذا الزمان الذي قل فيه العلم وكثر فيه الجهل ، وصارت السنن بدعا والبدع سننا نسأل الله السلامة والعافية ، ونظير هذا ما قيل في اختلاف أجوبة النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل أي العمل أفضل من أنه صلى الله عليه وسلم طبيب القلوب، فكان يجيب كل أحد بما يناسب حاله، فقال لبعض الصلاة لوقتها لما رأى فيه من التقصير ، وقال لآخر بر الوالدين ، وقال لآخر الجهاد في سبيل الله، وقد نقل الحطاب في ديباجة شرح المختصر عن السيوطي[887] في حاشية الموطا[888] في كتاب الجهاد أن عبد الله العمري كتب إلى مالك يحضه على الانفراد والعمل وترك اجتماع الناس عليه في العلم، فكتب إليه مالك: "إن الله قسم الأعمال كما قسم الأرزاق ، فرب رجل فتح له في الصلاة و لم يفتح له في الصوم، وآخر

أ- في "أ": فرحة.

ب- في "ع": فتح الله له.

---

(886) متن الرسالة ص : 145 .

(887) هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر بن عثمان المصري الشافعي، أخذ العلم عن جماعة من العلماء ثم اعتزل الناس وتفرغ للتأليف، من مصنفاته تفسير القرآن والتحبير وتنوير الحوالك شرح موطأ مالك، توفي سنة 911هج، ترجمته في الضوء اللامع 70-65/4 والكواكب السائرة 1/226-231 وشذرات الذهب 8/51-55.

(888) تنوير الحوالك شرح موطأ مالك 313/1.

فتح له في الجهاد و لم يفتح له في الصلاة. ونشر العلم وتعليمه من أفضل أعمال البر ، وقد رضيت بما فتح الله لي من ذلك وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه، وأرجو أن نكون كلنا على خير ، ويجب على كل واحد منا أن يرضى بما قسم الله له والسلام"(889). قلت وقد يقال أن التعليم بنية صالحة ذكر لله تعالى وكذا سائر الأعمال الصالحات، بل الذكر بالأعمال أفضل من الذكر باللسان، وسيقول المصنف: **أفضل من ذكر الله باللسان ذكر الله عند أمره ونهيه**(890)، وأيضا المنفعة المتعدية لا شك في كونها أفضل من القاصرة ، كالذكر فإن منفعته قاصرة على الذاكر ، بخلاف تعليم العلم والله أعلم .

قوله : **ليرسخ فيها**(891) تعليل لقوله: **إيصال الخير** ، أو لقوله أولى والله أعلم، وتقدم وجه ذلك، وأيضا فإن العلم نفيس لا ينبغي أن يوضع إلا في محل نظيف لم يتنجس بدنس المخالفات[أ] ، وليس إلا قلوب أولاد المومنين أو من عرف بالخير والدين، ولهذا قال سيدي أبو عبد الله بن عباد رحمه الله في شرح الحكم :"وعلى المعلم أن يتفقد أحوال من يتعلم منه فلا يبذل علمه إلا لمن توسم فيه الخير والصلاح/(102)، وإذ بذلك تستقيم له النيات والمقاصد التي ذكرناها ولا يبذله لمن سوى هذا ممن علم حاله أو جهله[ب]"(892)، ثم قال:" وفي قوله عز وجل ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم﴾(893) تنبيه على أن حفظ العلم ممن يفسده ويستضر به أولى كما قيل:

أ- في "أ" و"ب": المخالفة.
ب- في "د": جهل.

---

(889) مواهب الجليل 291.
(890) متن الرسالة ص : 145 .
(891) متن الرسالة ص : 4 .
(892) شرح الحكم لابن عباد 53/2.
(893) سورة النساء آية 5.

ومن منح الجهال علما أضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم

وقد حكي عن بعض الأمم السالفة[أ] أنهم كانوا يختبرون المتعلم مدة في أخلاقه فإن وجدوا فيه خلقا رديا منعوه التعلم أشد المنع، وقالوا أنه يستعين بالعلم على مقتضى الخلق الردي فيصير العلم آلة شر في حقه، وقد قالت الحكماء : زيادة العلم في الرجل السوء كزيادة الماء في أصول الحنظل كلما ازداد ريا ازداد مرارة ، وهذا كله صحيح مجرب"[894]. ثم قال :" قال بعضهم رأيت سفيان الثوري حزينا فسألته عن ذلك فقال [وهو برم][ب]: ما صرنا إلا متجرا لأبناء الدنيا قلت وكيف؟ قال يلزمنا أحدهم حتى إذا عرف بنا وحمل عنا جعل عاملا أو جابيا أو قهرمانا[ج] فيقول حدثنا سفيان الثوري"[895]، وقد ورد "لا تؤتوا الحكمة غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم"[896]. ثم ذكر رحمه الله: "أن تعليمهم مفاسد تتعدى منهم إلى غيرهم ومن الأولى تقوية صفاتهم الذميمة لاستشعارهم التوصل بعلمهم إلى جميع المطالب الدنيوية على الكمال[د]، فتنتعش نفوسهم حتى يظهر آثار ذلك على ظواهرهم من التكالب[هـ] على الدنيا والركون إلى من هي عنده من أبنائها المترفين ، في فيتوسلون به إليهم ويحتالون على تحصيل إقبالهم عليهم بأنواع الحيل ، ولا يسلمون في ذلك من الرياء والتصنع والنفاق والدهان وغير ذلك من

أ- كذا في "ع" و"ط" وفي باقي النسخ السابقة.
ب-ساقط من "ج".
ج- في "أ" قهرامانا وساقط من "ج".
د- في "أ" الكمان.
هـ- في "أ" المتكالب.

(894) شرح الحكم لابن عباد [53/2.
(895) أورده في قوت القلوب 133/1.
(896) تفسير القرطبي 185/2.

ضروب[أ] العصيان وأنواع الذل والهوان، وأن المفاسد الثانية وقوع الاغترار للجهلة بهم لأنهم يشاهدونهم قد حازوا من رتب الدنيا ما أرادوه ويتوهمونهم قد نالوا شرف الآخرة مما أفادوه واستفادوه، فيحملهم ذلك على الاقتداء بهم في طلب العلم فيقعوا فيما وقعوا، أو يؤديهم ذلك إلى محبتهم واستحسان حالهم [فيخرج بهم][ب] إلى الداء الدفين[ج] وهو مسارقة[د] طباعهم الدنية فيبطل في حقهم ما هو مقصود بعثة الرسل من التزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة وحب الفقر والمسكنة وإيثار التواضع والذلة ، والتخلق بأخلاق الإيمان والإسلام وشدة الحذر من ارتكاب المناهي والآثام، ثم يؤول بهم ذلك إلى الشرك الخفي والجلي ويحيق بهم المكر السيئ ويكون وبال ذلك راجعا إلى المعلم لتيسر أسباب ذلك على يديه ، ولقد صدق(103)/ ابن المبارك رحمه حيث يقول:

وهل أفسد الدين إلا الملوك — وأحبار سوء ورهبانها
فباعوا النفوس ولم يربحوا — ولم تغل في البيع أثمانها
لقد رتع القوم في جيفة — يبين لذي العقل انتانها[897]

انتهى بحذف بعض كلامه فانظره. ونقل في تنبيه الغافل عن الفاكهاني في شرح الرسالة ما نصه: "وينبغي للعالم أن لا يمتنع من تعليم أحد لكونه غير صحيح النية فإنه يرجى له حسن النية ، وربما عسر في كثير من المبتدئين

أ- ساقط من "أ" و"ج".
ب-في "ه": يخرجهم ذلك.
ج- في "ب": الدافق.
د- في "هـ": مسارعة.

(897) شرح الحكم لابن عباد 2/53-54-55.

الاشتغال بتصحيح النية لضعف نفوسهم وقلة أنسهم بموجبات تصحيح النية، فالامتناع من تعليمهم يؤدي إلى تفويت كثير من العلم ، مع أن العلم يرجى ببركته تصحيحها إذا أنس بالعلم ، وقد قالوا طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله، ومعناه أنه كان عاقبته أنه صار لله"[898]، وقال شيخنا المحقق في شرح الحكم : "ما ذكروه من أنه لا يبذل المعلم علمه إلا لأهل الخير والصلاح مرادهم والله أعلم أنه إذا علم من أحد فساد النية وخبث الطوية وتمكن القسوة[أ] من قلبه وأنه لا تنفع فيه الموعظة ولا تفيد فيه التذكرة ، فالواجب عليه أن يقصيه ويجانبه ويحبس عنه علمه وإن كان من كان، لأنه لا يزداد بع إلا شرا إن أمكنه ذلك من غير مفسدة [تترتب عليه][ب]، وإلا فقد نصوا على أنه لا يمتنع من تعليم الطلب لعدم خلوص نيته"[899]، ثم نقل عن شرح المهذب[900] مثل ما تقدم عن الفاكهاني والله الموفق. قلت وهذا هو الذي يفهم من قول المصنف الآتي : **والعلم دليل إلى الخيرات وقائد إليها**[901]، وقد قال تعالى ﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المومنين﴾[902] ، وقال ﴿فذكر إن نفعت الذكرى﴾[903]، أي بأن يكون الوعظ بالقرآن للمومنين لا للكافرين، فهذا كقوله ﴿فذكر بالقرآن من يخاف وعيد﴾[904]، وقد تقدم قول من قال : "قرأنا العلم لغير الله فأبى أن

أ- في "ب": القساوة.

ب- ساقط من "أ" و"ب" و"ط".

---

(898) التحرير والتحبير للفاكهاني ص : 7.

(899) شرح الحكم لابن زكري ورقة 209.

(900) شرح المهذب 30/1.

(901) متن الرسالة ص : 152.

(902) سورة الذاريات آية 55.

(903) سورة الأعلى آية 9.

(904) سورة ق آية 45.

يكون إلا لله"، وتقدم كلام الناس عليه وتقدم كلام شيخنا المحقق في هذا الزمان الخ.

قوله: **وتنبيههم**(905) عطف على إيصال الخير وكأنه تفسير لمعنى الإيصال، أي إيقاظهم من سنة الغفلة والجهالة. وقوله : **على معالم الديانة**(906)، هي مسائل عقائد الدين ويحتمل أن يريد بالمعالم الآثار التي تدل على العقائد، لأن المعلم في الأصل هو ما يجعل إمارة على الطريق ثم صار يطلق على كل ما يوصل إلى غيره فهو يعلم به الشيء فيكون كقوله فيما تقدم : **ونبهه بآثار صنعته**(907). والمراد بقوله : **وحدود الشريعة**(908) الأحكام المتعلقة [بأفعال المكلفين](أ)، فليس هو عين ما قبله. وقال الحطاب :"المعنى تنبيههم على قواعد الشريعة ودلائلها، وحدود الشريعة أي الأمور التي حدها الشارع وأمر/(104) بالوقوف عليها"(ب)(909). وقوله: **ليراضوا عليها**(910) ليذللوا لها(ج) وينقادوا إليها من قولك رضت الدابة بمعنى ذللتها حتى استأنست بما يراد منها وألفته وصار طبعا لها.

وقوله : **وما عليهم أن تعتقده من الدين قلوبهم وتعمل به جوارحهم**(911)، ما اسم موصول عطف على معالم أو على الضمير في قوله عليها خلافا لمن

أ-في "هـ": بالمكلفين.
ب-في "د": عندها.
ج- في "ع": عليها.

---

(905) متن الرسالة ص : 4.
(906) متن الرسالة ص : 4 .
(907) متن الرسالة ص: 3 .
(908) متن الرسالة ص : 4 .
(909) حاشية الحطاب على الرسالة ص : 5.
(910) متن الرسالة ص : 4 .
(911) متن الرسالة ص : 4 .

بأنها استفهامية ونافية ، وهذا كعطف التفسير على ما قبله فهو زيادة بيان وتقرير.

وقوله : **فإنه روي أن تعليم الصغار لكتاب الله يطفئ غضب الله**[912]، استدلالا على قوله : أولى ما عني به الناصحون الخ، وما قيل من أن هذا الدليل أخص من الدعوى لأن تعليم القرآن هو بعض الخير فلا يتم به الاستدلال، ويجاب عنه بأن المصنف ارتكب هنا قياس الأخروية لأنه إذا كان تعليم حروف القرآن ولفظه دون أحكامه ومعانيه موجبا لهذا الفضل فمن باب أولى [أن يكون][أ] تعليم شرائع الدين ومسائل الاعتقاد الذي هو أكبر من تعليم حروف القرآن موجبا لذلك، وهذا أولى ما يجاب به ، والمراد بالصغار أولاد المومنين فقط ، والإطفاء الإخماد، والغضب لغة غليان الدم واستشاطة النفس لإرادة التشفي والانتقام، قال العلقمي[913] في شرح الجامع: " قال بعض العلماء : خلق الله الغضب من النار وجعله غريزة في الإنسان ، فمهما نوزع في أمر ما اشتعلت نار الغضب حتى يحمر الوجه والعينان من الدم ، لأن البشرة تحكي ما وراءها ، وهذا إن غضب على من دونه واستشعر القوة عليه ، وأما إن غضب على من فوقه فإنه يتولد منه انقباض الدم [عن ظاهر الجلد][ب] إلى جوف القلب فيصفر اللون حزنا، وإن كان الغضب على النظير تردد الدم بين انقباض وانبساط فيحمر

أ– ساقط من "أ"" و"ج".

ب–في "أ" و"ب": من ظاهر الجسد وفي "ج": من ظاهر الجلد.

(912) متن الرسالة ص : 4 .

(913) هو محمد بن عبد الرحمن بن علي بن أبي بكر العلقمي القاهري الشافعي شمس الدين، فقيه محدث مدرس بالأزهر الشريف، من مصنفاته شرح الجامع الصغير للسيوطي وحاشية على تفسير الجلالين، توفي سنة 963 هج، ترجمته في شذرات الذهب 339-338/8 والكواكب السائرة 41/2.

ويصفر". والغضب بهذا[أ] المعنى مستحيل في جانبه تعالى فيحمل على لازمه وهو نفس الانتقام والعذاب ، لا إرادته كما قيل لأنه لا يناسب قوله **يطفئ** لأن الإرادة صفة قديمة ، ويجوز وصفه تعالى بالرضى كما يوصف بالغضب، وليس معناه في حقه سكون النفس وميل الطبع بل إثابة المرضي عليه أو إرادتها ، ومعنى الحديث أن تعليم الصبيان يرد عذاب الله على من استحقه من آبائهم أو عمن تسبب في تعليمهم أو عنهم فيما يستقبل ، أو المجموع أو عن المحل الذي هم به ، أو يرد العذاب عموما ، ولذلك يقال : الصبيان في المكاتب شفعاء الكبار ذوي المعايب، والمعنى أن الله تعالى إذا نظر إلى الصبيان في المكاتب رفع العذاب عمن استحقه من أهل المعايب، قال الجزولي : "والحديث موقوف على علي رضي الله عنه لكنه في حكم المرفوع لأن مثله لا يقال من قبل الرأي".

وقوله : **وأن تعليم الشيء في الصغر كالنقش في الحجر**[914]، استدلال على قوله ليرسخ فيها ، والحديث أخرجه الطبراني[915] [في الكبير بسند][ب] ضعيف مرفوعا[ج]/ (105) بلفظس مثل الذي يتعلم في صغره كالنقش في الحجر ومثل الذي يتعلم في كبره كالذي يكتب على الماء"[916] ، والتشبيه في كلام المصنف يحتمل أن يكون في مجرد الرسوخ ، ويحتمل أن يكون فيه

أ- في "ا" و"ب" و"د": في هذا.
ب- ساقط من "ع".
ج- ساقط من "ب".

(914) متن الرسالة ص.4 :
(915) هو أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني ، محدث حافظ ولد بطبرية سنة 260 هج، ورحل في طلب الحديث إلى الشام والعراق ومصر، من مصنفاته المعاجم الثلاثة الكبير والأوسط والصغير وتفسير القرآن وغيرها، توفي بأصبهان سنة 360 هج، ترجمته في غاية النهاية 311/1 وشذرات الذهب 3/03.
(916) قال الهيثمي في مجمع الزوائد 125/1 : فيه مروان بن سالم الشامي وهو ضعيف.

وفيما يلحق ناقش الحجر من العناء والتعب، لأن معلم الصبيان يلحقه في إلقاء العلم إليهم عناء ومشقة لعدم تمام عقولهم ، فإذا ألقي إليهم ورسخ في قلوبهم وثبت لفراغها من أشد دواعي النسيان الذي هو الهم، والكبار بعكس ذلك فإنهم لتمام عقولهم يفهمون ما يلقى إليهم سريعا لكنه لا يرسخ فيها لأنها معمورة بهموم الدنيا وأشغالها[أ] ، ولأن الغالب على الكبار الركون إلى الدعة والبطالة والاستعصاء، ولذلك قيل :

علم [بنيك صغارا][ب] قبل كبرتهم   فليس ينفع بعد الكبرة الأدب
إن الغصون إذا قومتها اعتدلت   ولن تلين إذا قومتها الخشب

وقيل:

وما العلم إلا بالتعلم في الصبا   وما الحلم إلا بالتحلم في الكبر[917]
وما العلم بعد الشيب إلا تعسفا   إذا كل قلب المرء بالسمع

ولأجل فراغ قلوب السلف الصالح من أشغال[ج] الدنيا وهم الرزق وخوف الخلق وجمع هممهم على الآخرة لم يحتاجوا إلى تدوين[د] الكتب اتكالا على حفظهم لرسوخ ما سمعوه في قلوبهم ، وقد قال الشافعي رضي الله عنه: "لو كلفت شراء بصلة ما حفظت حديثا واحدا"، وقال سحنون: "لا يصلح العلم لمن يهتم بغسل ثوبه ولا لمن يأكل حتى يشبع"، والحديثان يدلان على فضل تعليم الولدان ، الأول من جهة المعنى والثاني من جهة الحسن. تنبيهان: الأول في المعيار "إذا رأى الشيخ الطالب لا

أ- في "أ" اشتغالها.
ب- في "هـ": صغار بنيك.
ج- في "ب": اشتغال.
د- في "ب": تداير.

(917) فيض القدير 5/509.

قابلية فيه فلا ينبغي أن يشتغل به وليشتغل بمن فيه قابلية لأن الاشتغال بتعليم الأول تضييع وقت بغير فائدة"، الثاني قال الدماميني(918) على حديث "أما علمت أن آل محمد لا يأكلون الصدقة"(919) ، فيه أن للأطفال إذا نهوا عن شيء عرفوا لأي شيء نهوا عنه ليكبروا على العلم فيأتي عليهم وقت التكليف وهم على علم من الشريعة"، على أن مالك رضي الله عنه كره أن يعجل بتعليم الطفل للقرآن وأنكر لما قيل له عن طفل جمع القرآن وهو(أ) ابن سبع سنين، ونحوها قال ابن المنير(920) : "وما أراه والله أعلم كره ذلك إلا خشية أن ينطق به على خلاف ما ينبغي من الإقامة للحروف وإخراجها عن(ب) مخارجها ، وأن في إعجاله(ج) إكراها له وتعذيبا بالملازمة ووضعا من حظه الذي ينبغي أن يفسح له فيه من اللهو المقيم لبنية الأطفال المروح لأنفسهم"، المراد منه فينبغي أن يرفق بالصغير ولا يكلف من العمل ما لا يطيق، وفي الحديث "إن الله يحب الرفق في الأمر كله"(921) .

أ-ساقط من "د" و"ط" و"هـ" .

ب-ساقط من "د"و"ط".

ج-في "أ" تعجيله.

(918) هو محمد بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر بن عمر الدماميني القرشي الإسكندري المالكي ، وتولى قضاء المالكية بمصر ودرس بالأزهر، من مصنفاته شرح مغني اللبيب وتسهيل الفوائد وغيرها، توفي بالهند سنة 827 هج، ترجمته في الضوء اللامع 7/184-187 وشذرات الذهب 7/181-182 ونيل الابتهاج ص : 488 —489 .

(919) أخرجه البخاري كتاب الزكاة باب أخذ صدقة التمر عند صرام النخل وهل يترك الصبي فيمس تمر الصدقة 2/626 رقم 1388 والبيهقي في السنن الكبرى 7/29 رقم 13011.

(920) هو أحمد بن محمد بن منصور بن أبي القاسم بن مختار الجذامي الإسكندري المالكي المعروف بابن المنير ناصر الدين أبو العباس ، عالم مشارك في بعض العلوم كالنحو والفقه والتفسير وغيرها، من مصنفاته البحر الكبير في بحث التفسير والانتصاف من صاحب الكشاف ، توفي سنة 683 هج، ترجمته في بغية الوعاة 1/384 وطبقات المفسرين 1/89-91.

(921) أخرجه البخاري كتاب استتابة المرتدين المعاندين وقتالهم باب إذا عرض الذمي وغيره بسب النبي صلى الله عليه وسلم و لم يصرح نحو قوله السام عليكم 6/2539 ومسلم في=

قوله: **وقد مثلت لك**[922] أي صورت لك ، والمراد أنه صور مسايل هذا الكتاب في ذهنه ثم وضعها في الخارج ولذلك(106)/ عبر بالمثال وعبر أيضا بالماضي لوقوع التمثيل في ذهنه قبل الخارج وبدليل قوله وفي باب جامع الصلاة شيء من مسايل التيمم، وقوله في باب الأقضية شيء من هذا ، فلا ينافي قوله وسأفصل لك لأنه بالنسبة لما في الخارج، والإشارة بقوله **من ذلك**[923]، عائدة على معالم الديانة وحدود الشريعة ، هذا هو الظاهر ، أو على الذي سأل أن يكتب وعليه اقتصر الحطاب.[924]

وقوله : **ما ينتفعون إن شاء الله بحفظه**[925] ، ما موصولة أو نكرة بمعنى شيء ، وذكر المشيئة تبركا لأن كل شيء بمشيئة الله، أو إشارة إلى أن الانتفاع بما يحفظه الإنسان قد يكون وقد لا يكون وأنه لا ملازمة بين الحفظ والانتفاع ، وقد تقدم أثناء التعريف بالمصنف قول الشيخ زروق:"وقد ظهرت بركتها على العامل بها الخ"[926] فراجعه وجعل متعلق النفع الحفظ لأن تحصيل العلم إنما يكون بالحفظ وهو تحصيل صورة المسألة في الذهن ، وقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعيد الكلمة ثلاثا لتعقل عنه، ولذلك قال بعضهم :

قالت مسائل سحنون لقارئها ... بالكد يدرك منا كل ما استترا
لا يدرك العلم بطال ولا كسل ... ولا ملول ولا من يألف البشرا

= الصحيح كتاب السلام باب ابتداء أهل الكتاب بالسلام 1706/4 رقم 2165 والترمذي في السنن كتاب الاستئذان باب ما جاء في التسليم على أهل الذمة 60/5 رقم 2701 وأبو داود في السنن كتاب الأدب باب في الرفق 2544 رقم 4807 والدارمي في السنن كتاب الرقائق باب في الرفق 416/2 رقم 2793 ومالك في الموطأ كتاب الاستئذان باب ما يؤمر به من العمل في السفر 979/2 رقم 1767.

(922) متن الرسالة ص : 4.

(923) متن الرسالة ص :4 .

(924) حاشية الحطاب على الرسالة ص : 5.

(925) متن الرسالة ص : 4.

(926) شرح زروق على الرسالة 423/2.

ولابد بعد الحفظ من المذاكرة حتى يحصل الفهم لأن الفهم هو المقصود من الحفظ، ولذلك زاد المصنف : **ويشرفون بعلمه**(927) ، وقد قيل : [حفظ سطرين خير من سماع وقرين وفهم حرفين خير من هذين](أ)، وقيل:

إذا لم يذاكر ذو العلوم بعلمه ولم يستفد علما نسي ما تعلما
فكم جامع للكتب في كل مذهب يزيد مع الأيام في جهله عما

وما أحسن قول بعضهم في شروط تحصيل العلم وآدابه:

[قل للمحاول رتبة من غير كد ذا محال
فابغ المعالي بالعنا فبذاك تكتسب(ب) المعال
وادرس لترأس يا فتى واحفظ ليحفظك الرجال
وذوي المعالي سَلْهُمُ فالعلم يدرك بالسؤال
وعليك حال تأدب معهم فذلك خير حال
وَتَوَقَّ ما اسْطَعْتَ(ج) الخنا والهزل جنب في المقال
واصحب من الناس الأولى يَرِدُون محمود الخصال
وإذا تعذر هؤلاء فاختر سلامة الاعتزال
والخير أجمعه لذي قوى المهيمن ذي الجلال
تمت نصيحة ناصح تحكي عن الجيد اللئال](د)

فقوله : **ويشرفون بعلمه**(928) أي بفهم معناه ، وشرف الإنسان ورفع منزلته بالعلم أمر معلوم عند كل عاقل ، ولذلك يدعيه من لا يحسنه ويفرح

أ–في "أ" : فهم سطرين خير من حفظ وقرين ومذاكرة اثنين خير من هاتين.
ب–في "ع": تكسب.
ج–في "ب" استطمعت.
د– في "أ" و"ب" : الأبيات على ثلاثة أشطر وفي باقي النسخ على شطرين.

(927) متن الرسالة ص: 4 .
(928) متن الرسالة ص : 4.

به من[أ] ينسب[ب] إليه وذلك باعتبار الدنيا والدين ، أما فضيلته باعتبار الدنيا فمما هو مشاهد أنه يكبر به قدر الصغير ويرتفع به شأن الحقير ، والجهل على العكس ، كما قيل:

تعلم فليس المرء يولد عالما وليس أخو علم كمن هو جاهل
وإن كبير القوم إن كان جاهلا صغيرا إذا التفت عليه المحافل(929)
وإن صغير القوم إن كان عالما كبيرا إذا ردت إليه المسايل

وفي الحديث "العلم يزيد الشريف/(107) شرفا[ج] ويرفع المملوك حتى يدرك مدارك الملوك"(930) . وأما اعتبار الدين فلأن بالعلم يبلغ العبد منازل الأخيار ومرافقة الأبرار وبه توصل الأرحام وتفصل الأحكام ويعرف الحلال والحرام ، وبه يعرف الله ويوحد ويطاع ويعبد ، قال بعضهم:

العلم في الصدر مثل الشمس في الفلك والعلم للمرء مثل التاج للملك
اشدد يديك بحبل العلم معتصما فالعلم للقلب[مثل الماء][د] للسمك

وإلى فضيلته[هـ] الأخروية أشار بقوله : **ويسعدون باعتقاده والعمل به**(931) .
تنبيه: قد تقدم أن شرف العلم ومزيته إنما تحصل لمن عرف حقه وأنزله منزله ولم يتخذه سلما يتوصل به إلى أبواب الظلمة وطريقا لحطام الدنيا، وإلا

أ–في "أ" و"ب": مولا.
ب– في "ج" و"د" : ينتسب .
ج– في "هـ": شريفا.
د– في "ب": كالماء.
هـ–في "أ": فضيلة .

---

(929) تهذيب الكمال 391/18.
(930) روي نحو هذا القول عن ابن عباس في الجرح والتعديل 510/3 والسير /208. 4
(931) متن الرسالة ص : 4.

حل به في ذلك من الذل والهوان ونزل به من أنواع المحظورات وضروب العصيان ما يكل عن وصفه اللسان كما هو مشاهد بالعيان، قال بعضهم : العالم طبيب هذه الأمة والدنيا داؤها[أ] ، فإذا كان الطبيب يطلب الداء فمتى يقع لغيره الشفاء. وقال وهب بن منبه[932] رضي الله عنه لعطاء الخرساني[933] : كان العلماء قبلنا قد استغنوا بعلمهم عن دنيا غيرهم وكان[ب] أهل الدنيا يبذلون لهم دنياهم رغبة في علمهم فأصبح أهل العلم فينا اليوم يبذلون لأهل الدنيا علمهم رغبة في دنياهم ، فأصبح أهل الدنيا قد زهدوا في علمهم لما رأوا سوء موضعه عندهم"[934]. وقال فضيل بن عياض:" لو أن أهل العم أكرموا أنفسهم وشحوا على دينهم وأعزوا العلم وصانوه وأنزلوه حيث أنزله الله لخضعت لهم رقاب الجبابرة وانقاد لهم الناس وكانوا لهم تبعا وعز الإسلام وأهله، ولكنهم أذلوا أنفسهم و لم يبالوا بما نقص من دينهم إذا سلمت لهم دنياهم، فبذلوا علمهم لأبناء الدنيا ليصيبوا بذلك ما في أيدي الناس ، فذلوا وهانوا على الناس"[935]. ولله در

أ- في "أ": دواؤها.

ب- في "ج" و"د" و"ه": كانوا.

---

(932) هو وهب بن منبه بن كامل أبو عبد الله، الإمام العالم ، أخذ عن ابن عباس وجابر والنعمان بن بشير وغيرهم، وعنه ولده عبد الله وجماعة وهو تابعي ثقة كان على قضاء صنعاء، توفي سنة 110 وقيل 114 هج، ترجمته في تهذيب التهذيب 11/166-168 والحلية 4/23 والسير 4/544-557.

(933) هو عطاء بن أبي مسلم الخرساني المحدث الواعظ، أرسل عن أبي الدرداء وابن عباس وطائفة من الصحابة، وروى عنه شعبة وسفيان وجماعة، وثقه ابن معين وغيره وكان يدلس، ، توفي سنة 135 هج، ترجمته في تهذيب الكمال 13/66 وتهذيب التهذيب 7/212 والسير 6/140-143.

(934) تهذيب الكمال 1/147.

(935) المستظرف 1/20.

القاضي العلامة أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني[936] حيث يقول:

يقولون[أ] لي فيك انقباض وإنما	**رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما[937]**
إذا قيل هذا مورد قلت قد رأى	**ولكن نفس الحر تحتمل الظما**
ولم أبتذل في خدمة العلم مُهْجَتي	**لأخدم من لاقيت لكن لأخدما**
أأغرسه عزا وأجنيه ذلة	**إذا فاتباع الجهل قد كان أحزما**
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم	**ولو عظموه في النفوس لعظما**
ولكن أهانوه فهان ودنسوا	**محياه بالأطماع حتى تجهما**

وما أحسن قول القائل:

لا تركن[ب] إلى أهل الإمارة في شيء	**يؤمل واقطع دونهم أملا**
وإن راودوك يوما على عمل	**كل التراب ولا تعمل لهم عملا**

اللهم وفقنا يا مولانا لعمل ما ترضى به عنا يا أرحم الراحمين. فقوله: **ويسعدون باعتقاده[938]** أي/ (108) يكونون من السعداء بالإيمان به بقلوبهم، وحذف المشيئة من الثاني والثالث لدلالة الأول. وقوله: **والعمل به[939]** أي بجوارهم، فالمراد اعتقاد ما هو من المعتقدات وعمل ما هو من العبادات، والسعادة هي المنفعة اللاحقة في العقبى وهي دخول الجنة وما يكون

أ- في "ب؛: يقول.

ب- في "أ" و"هـ":لا تركنن.

---

(936) هو علي بن عبد العزيز بن الحسن الجرجاني الشافعي أبو الحسن، فقيه مؤرخ مشارك في بعض العلوم، ولي القضاء بالري، من تصانيفه تهذيب التاريخ وتفسير القرآن الكريم وغيرها، توفي سنة 366 هج، ترجمته في السير 17/19-21 ووفيات الأعيان 3/278-281 وشذرات الذهب 3/56-57.

(937) هذا البيت ورد في السير 17/20.

(938) متن الرسالة ص :4.

(939) متن الرسالة ص :4 .

بعده، وقد تقدم طرف من ذلك عند قوله: **ووقفوا عند ما حد لهم**(940) وما أحسن قول بعضهم:

[العلم شيء حسن فكن له ذا طلب وابدأه بالنحو وخذ
من بعده في الأدب فإن أردت أن ترى جاها وهز منصب
فاقرأ أصول مالك واحفظ فروع المذهب فإن قال مالك
سلسلة من ذهب واعمل بما حفظته تحظى بأعلى الرتب](أ)

وقول بعضهم:

لولا التعلم كان الناس كالحمر وأي فضل بغير العلم للبشر
لا ترحمن وليدا قد أضر به ضرب المعلم والتغليس في البكر
فالمرء كالسيف لولا ضرب مقمعة ولدغ نار وصقل كان كالحجر](ب)

قوله : وقد جاء أن يؤمروا بالصلاة لسبع سنين ويضربوا عليها لعشر ويفرق بينهم في المضاجع(941)، رواه بغير هذا اللفظ أبو داود والترمذي والنسائي عن سمرة بن جندب(942) وقال حسن صحيح، واللفظ الوارد "مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في

أ-هذه الأبيات في "ج" و"د" و"هـ": على شطرين وفي باقي النسخ على ثلاثة أشطر.
ب-ساقط من "هـ".

---

(940) متن الرسالة ص : 3 .
(941) متن الرسالة ص :4-5 .
(942) هو سمرة بن جندب بن هلال بن جريج أبو عبد الله وقيل أبو سليمان،الصحابي الجليل وقد كان من الحفاظ المكثرين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت وفاته بالبصرة سنة 58 هج بسبب سقوطه في قدر مملوء ماء حارا، وكان ذلك تصديقا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم له ولأبي هريرة وآخر معهما، آخركم موتا في النار، ترجمته في الاستيعاب 653/2-655 وأسد الغابة 302/2-303 والإصابة 178/3.

المضاجع"(943)، ولأبي داود أيضا إذا عرف الصبي يمينه من شماله فمروه بالصلاة"(944) ، ونقل ابن الجزري(945) (أ) عن ابن السني(946) في عمل اليوم والليلة "اضربوه على الصلاة لسبع وزوجوه لسبعة عشر فإذا فعل ذلك فليجلسه بين يديه ثم ليقل لا جعلك الله على فتنة"(947)، قال وإذا أفصح الولد فليعلمه لا إله إلا الله ، وكان إذا أفصح الولد من بني عبد المطلب علموه ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ... ﴾ الآية(948). ثم الأمر بالصلاة أمر بالأمر بما تتوقف صحتها عليه وهو معرفة من يعبد بها، فلا بد من معرفة العقائد ومعرفة صفة الصلاة المشتملة على فرائضها وسننها ومستحباتها ومكروهاتها ، كما لا بد من معرفة شروطها طهارة الحدث والخبث ونواقضها ، ومبطلات الصلاة وستر العورة واستقبال القبلة ،

أ-في "ع": ابن الجوزي.

---

(943) أخرجه أحمد في المسند 180/2 والترمذي في السنن كتاب الصلاة باب ما جاء متى يؤمر الصبي بالصلاة 2592 رقم 409 وأبو داود في السنن كتاب الصلاة باب متى يؤمر الصبي بالصلاة 332/1 رقم 494 والدارمي في السنن كتاب الصلاة باب متى يؤمر الصبي بالصلاة 273/1 رقم 1438.

(344) أخرجه أبو داود في السنن كتاب الصلاة باب متى يؤمر الغلام بالصلاة 335/1 رقم 497.

(945) هو محمد بن محمد بن يوسف العمري الدمشقي ثم الشيرازي الشافعي شمس الدين ، فقيه مؤرخ مشارك في العلوم ، تولى القضاء بشيراز ودرس الحديث والقراءات ، من تصانيفه غاية النهاية ورسالة في الوقف و وكتاب الحصن الحصين وغيرها ، توفي سنة 833 هج، ترجمته في الضوء اللامع 255/9-260 والبدر الطالع 257/2-259 وشذرات الذهب 204/7-206.

(946) هو الإمام الحافظ الثقة أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم الهاشمي الجعفري مولاهم الدينوري المشهور بابن السني ، ارتحل في طلب العلم وسمع من عدد من لشيوخ وجمع وصنف كتابه عمل اليوم الليلة، وهو من المرويات الجيدة، توفي سنة 364 هج، ترجمته في السير 255/16 والوافي بالوفيات 362/7 والعبر 150/2.

(947) عمل اليوم والليلة لابن السني ص126 : رقم 428.

(948) سورة الإسراء آية 110.

ولأجل كثرة مسائل الصلاة واتساعها أمر النبي صلى الله عليه وسلم بها قبل البلوغ حتى يتمرن بها قبل البلوغ ، فلا يتهاون بها بعد البلوغ، فإذا تعلم أحكامها في فسحة الصبا فلا يأتيه البلوغ إلا وقد عرف كثيرا من أحكامها، وعلى هذا فينقض وضوءهم بالقبلة والمباشرة واللمس للذة كالبالغين ، وكذا الغسل بالوطء لأنهم إنما طولبوا بذلك للتمرين لا لأنهم مكلفون بشيء من ذلك. وفي المختصر: "وندب لمراهق"(949). ثم اعلم أن(أ) في خطاب الولي قولين، بالوجوب والندب ، وينبني على القولين التأثيم وعدمه، قال الحطاب : "والمشهور الثاني، أي القول بالندب، كما للجزولي والشيخ يوسف بن عمر(950) /(109) والأقفهسي وغيرهم"(951)، وأما أمر الصغار فقال التتائي :" هو أمر ندب وإرشاد على المشهور وقال ابن بطال(952) على الوجوب".(953) . وكتب عليه بعض أصحابنا ما نصه: انظر قول ابن بطال بالوجوب كيف يدخل في حقيقة الواجب ، ثم وجدت منقولا من الجزولي ما نصه : "وهل هو واجب أولى"، ويعني والله أعلم خطاب الولي ، فمن قال بالوجوب يكون الأب أو الوصي آثما بتركه الأمر بالصلاة وهو الذي قاله(ب) ابن بطال ألزم الله العباد أن يعلموا الصبيان ما يجب عليهم من اعتقادهم إلى غير ذلك من أمور دينهم ، ومن

أ-ساقط من "أ".
ب-في "ع": قال .

---

(949) مختصر الشيخ خليل ص : 18.

(950) شرح ابن عمر على الرسالة ص : 22.

(951) حاشية الحطاب على الرسالة ص : 6.

(952) هو علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي المالكي أبو الحسن ، محدث فقيه ، عني بعلم الحديث عناية كبيرة، وقد صنف شرحا على صحيح البخاري ، توفي سنة 449 هج، ترجمته في السير 18/47-48. والديباج 2/105-106 وشذرات الذهب 283/3.

(953) تنوير المقالة للتتائي ص : 18 .

قال أن الأمر غير واجب عليهم فلا إثم عليهم. وسبب الخلاف الأمر بالأمر هل هو أمر أو ليس بأمر ، وظاهر الكتاب أنه ليس بواجب بدليل قوله: **فكذلك ينبغي**(954) ، فإن كانت هذه العبارة هي معتمد هذا الشيخ في النقل فذلك لا يظهر لأن مراده ما يجب عليهم من بعد البلوغ والله أعلم، ولا يقال يمكن أن يدخل في حد الواجب لأن في تركه عقابا وقد لحقه بالضرب لأنا نقول أن المراد بالعقاب في الحد ما ينشأ عن المعصية من الإثم من استحقاقه في الآخرة إن لم يعف عنه كما هو ظاهر ، تأمله وحرره في نص البعض المتقدم ،وما قاله كان الله له ظاهر موافق للقواعد ، وفي قوله **بالصلاة**(955) إشارة إلى عدم أمرهم بالصوم وهو كذلك لضعفهم عنه ولعدم تكرره كالصلاة ، وقوله **لسبع**(956) قال الحطاب بعد أن جلب نصوصا ما نصه :" الذي يفهم من هذه النصوص كلها أن المراد ببلوغه لسبع دخوله فيها لا إكمال السبع وإكمال العشر ونصوصهم المتقدمة كالصريحة في ذلك"(957)، قوله: **ويضربوا**(958) الخ، وكذلك للزوج ضرب الزوجة[أ] على تركها، والضرب غير محدود عند ابن القاسم(959) وإنما هو للزجر غير مبرح، وقيل ثلاثة[ب] أسواط بسوط لين على الظهر فوق الثياب أو على باطن القدمين مجردين ، وما زاد على ذلك أو خرج على الصفة فالقصاص في غير الأبوين، انظر التتائي(960) . واعلم أن ثواب أعمالهم لهم كما يدل

أ-في "ب": زوجته .
ب- في "ع": بثلاثة.

(954) متن الرسالة ص:5 .
(955) متن الرسالة ص:4.
(956) متن الرسالة ص :4.
(957) مواهب الجليل 413/1.
(958) متن الرسالة ص :4.
(959) شرح ابن عمر على الرسالة ص :22 .
(960) تنوير المقالة ص : 18.

لذلك ما ورد في اختلاف مراتبهم في الجنة على حسب اختلافهم في الأعمال ، وإنما للأمر أجر الأمر[أ] ، وأما رفع القلم عنهم فإنما هو باعتبار ما عليهم لا باعتبار ما لهم، فالسيئات لا تكتب عليهم والحسنات تكتب لهم ويدل لذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الصبي :" ألهذا حج؟ قال نعم ولك أجر[961] "، وقول من قال أن ثوابه لوالديه إنصافا أو للأم الثلثان وللأب الثلث غير مستقيم ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾[962]، [وقوله نعم لهما أجر التسبب لأنه من سعيهما][ب]. وقوله ويفرق بينهم[963]، الأصح ما قاله ابن وهب[964] "أن التفرقة /(110) إذا بلغوا عشر سنين" [965]، فيكون قوله في الحديث "وفرقوا[ج] بينهم" راجعا لقوله "واضربوهم الخ"، خلافا لقول ابن القاسم:"أن التفرقة إذا بلغوا سبع سنين"[966]، والمراد بالتفريق هنا التفريق بالثياب وإن كانوا في لحاف واحد، وفاقا لابن حبيب وخلافا للخمي في قوله أن المراد يكون لكل واحد فراش مخصوص، ثم التفرقة على سبيل الاستحباب أيضا.

أ- في "أ" : للأمر.

ب-ساقط من "ع" و"ط".

ج- في "ج": فرق.

---

(961) أخرجه الترمذي كتاب الحج باب ما جاء في حج الصبي /2643-265 رقم 924 وأبو داود في السنن كتاب المناسك باب حج الصبي 352/2 رقم 1736 وابن ماجة في السنن كتاب المناسك باب حج الصبي /971 2 رقم 2910.

(962) سورة النجم آية 38.

(963) متن الرسالة ص : 4.

(964) هو أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي الحافظ الحجة ، سمع مالك وصحبه وتفقه به، له مصنفات عظيمة النفع منها موطأه الكبير والصغير وجامعه الكبير وغيرها، روى عنه سحنون وابن عبد الحكم وجماعة ، توفي سنة 195 هج، ترجمته في ميزان الاعتدال 521/2 والسير 223/9-234 وشذرات الذهب 347/1-348.

(965) شرح الرسالة لزروق 18/1.

(966) شرح ابن ناجي على الرسالة 18/1.

قوله: **فكذلك[أ] ينبغي أن يعلموا ما فرض الله على العباد**[967] ،الإشارة إلى الأمر بالصلاة قبل البلوغ أي كما أمروا بالصلاة قبل البلوغ فكذلك ينبغي أن يعلموا ، وكان المصنف رحمه الله ارتكب في هذا القياس باب[ب] لا فارق ، قيل وذلك لا يصح هنا لأن هذا من الأمور التي لا ينبغي أن يقدم عليها إلا بنص من الشارع والنص إنما ورد في الصلاة فقط فلا يقاس[ج] عليها غيرها، وتأمل هذا القيد، فإن المصنف إنما قال ينبغي أن يعلموا الخ ولم يقل ينبغي أن يصوموا رمضان أو يحجوا أو يجاهدوا كما توهم هذا الباحث في قياس المصنف ، وقد نقل في المعيار عن الشيخ أبي الفرج :"أن الصبيان كالبالغين في الأمر والنهي في المأكل والمشرب والملبس ، قال فيحرم عليهم لباس الحرير والذهب والفضة وأكل المحرم وشربه ، قال فالأمر بالصلاة أصل المأمورات والأمر بالتفريق[د] في المضاجع أصل في المنهيات، وقد قال صلى الله عليه وسلم للحسن :كخ كخ أما علمت أنا لا نأكل الصدقة"[968]،[969] وقد تعرض لرد ما أخذه أهل المذهب من كلام المدونة من أن مالكا استخف[هـ] تحلية الصغير بالفضة وكره الذهب[970]

أ- في "أ" و"ب": وكذلك.

ب-في "أ": من باب.

ج-في "ب": قياس.

د- في "أ": في التفريق.

هـ- في "هـ": استحب.

---

(967) متن الرسالة ص : 5.

(968) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الزكاة باب ما يذكر في الصدقة للنبي ﷺ 135/2 أحمد في المسند 2/409-444 و476 والدارمي في السنن كتاب الزكاة باب الصدقة لا تحل للنبي ﷺ ولا لأهل بيته 325/1 رقم 1649-1650.

(969) المعيار للونشريسي 309/6-310.

(970) المدونة 912/2.

واستشكلوا تفرقته بين الذهب والفضة فانظره. والمراد بالعباد المكلفون لا فرق بين حر وعبد ومسلم وكافر على الأصح من أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة كما يدل له قوله تعالى ﴿ما سلككم في سقر﴾[971] فهم مكلفون بتحصيل الفروع وبما تصح به وهو الإيمان.

قوله: من قول أو عمل[972]، الكثير إطلاق العمل على ما يتناول عمل اللسان كحديث "إنما الأعمال بالنيات"، وقد يستعمل في مقابلة النطق كما في حديث "اللهم إني أسألك الجنة وما يقرب إليها من قول أو عمل وأعوذ بك من النار وما يقرب إليها من قول أو عمل"[973]، فيحتمل أن يكون كلام المصنف من عطف العام على الخاص بناء على الاستعمال الكثير ويحتمل أن يكون من عطف المغاير بناء على القليل، وأما الفعل فلا يطاق على ما يعم النطق[أ] إلا قليلا كقولهم في الحمد العرفي فعل ينبئ الخ، من أن الفعل يتناول فعل القلب واللسان وسائر والجوارح.

قوله: **ليأتي عليهم البلوغ**[974]، فيه حذف أي/(111) ليأتي عليهم أول البلوغ، لقوله ليأتي عليهم ولم يقل ليأتيهم فضمنه معنى مر، والمرور يقتضي الانصرام والانقطاع وهو غير مناسب. والبلوغ قال المازري :"قوة تحدث، في الصبي يخرج بها من حال الطفولة إلى الرجولية، وتلك القوة خفية لا يكاد أحد يعرفها فنصب الشارع لها علامات تعرف بها ويستدل

أ- في "ج": القول.

---

(971) سورة المدثر آية 41.

(972) متن الرسالة ص : 5 .

(973) أخرجه ابن ماجة في السنن كتاب الدعاء باب جوامع الدعاء 1264/2 رقم 3846 والحاكم في المستدرك 702/1 رقم 1914 وقال هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه.

(974) متن الرسالة ص : 5 .

بها عليها وهي خمسة ثلاثة في الذكور والإناث الإنبات والاحتلام والسن واثنان في الإناث الحيض والحمل". واعلم أن المكلفين باعتبار وقت التكليف ثلاثة أقسام ، قسم كلف بأول نشأته وهم الملائكة وآدم وحواء، وأول ما كلفا به عدم الأكل من الشجرة ، وقسم لم يكلف إلا بعد البلوغ وهم بنو آدم، وقسم تردد فيه العلماء وهو الجن واستظهر بعض العلماء أنه كالقسم الأول.

قوله: **وقد تمكن ذلك من قلوبهم**(975)، جملة حالية ، وعبر بمن دون في إشارة إلى أنه يصير كبعض قلوبهم أي كالجزء منها. قوله: **وسكنت إليه أنفسهم**(976)، أي ارتاحت إليه وألفته ، والنفس هنا الروح ويأتي الكلام عليها إن شاء الله . قوله: **وأنست بما يعملون به من ذلك جوارحهم**(977) ، هذا كقوله فيما تقدم : **ليراضوا عليها**(978) أي لتنقاد إلى ذلك طباعهم ، كالبهيمة التي تراض للتعليم فيدربون [في جميع](أ) أحوالهم مما(ب) يحتاجون إليه من أمور دينهم ودنياهم ، فليس ذلك لأنهم مكلفون بل للتمرين ، ويقال آنس أنسا بمعنى تأنس ضد الوحشة، وآنس إيناسا بمعنى أبصر ومنه قوله تعالى ﴿ءانس من جانب الطور نارا﴾(979).

أ–في "أ" و"ب": بجميع.
ب– في "هـ": لما.

---

(975) متن الرسالة ص :5 .
(976) متن الرسالة ص:5 .
(977) متن الرسالة ص:5 .
(978) متن الرسالة ص4 .
(979) سورة القصص آية 29.

مطبعة النجاح الجديدة
الدار البيضاء

